



دَعْوَةُ الْإِسْلَامِ

رابطة العالم الإسلامي  
إدارة الثقافة والإعلام

# لهذا أسلموها

د. منقذ بن محمود السقار

العدد ٢٥٦  
السنة السادسة والعشرون ١٤٣٤هـ

# لهذا أسلموا

د. منقذ بن محمود السقار

## مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه واتبع هداه إلى يوم الدين، وبعد:  
في جنات مكة المكرمة، وفوق ثراها المبارك الطهور؛ انطلقت دعوة الإسلام، الدين الذي ارتضاه الله للبشرية ديناً، لتعلن ميلاد أمة جديدة ستشيد في قادم الأيام حضارةً خالدة على مر العصور.

ما أن بزغ فجر الإسلام على الدنيا حتى تداعت الجاهلية بقضها وقضيضها تسعى لحجب هذا النور بغيرها، فعيون ألفت الظلام تعشى بانبلاج النهار، فلم تأل جحافلها جهداً في عدااء الدين الجديد؛ بإيذاء النبي ﷺ وقتل أصحابه والتفنين في تعذيبهم ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (البروج: ٨).

وبعد ثلاث عشرة سنة من الألم والصبر خرج النبي ﷺ من مكة مهاجراً إلى المدينة المنورة، يصحبه ما يقارب المائة من أصحابه؛ خرج ﷺ وهو يرجو للدعوة الوليدة مقاماً تلوذ به وتأرز إليه، فيحميها من سياط الباطل ولهيب بطشه، وقبل أن تقرر أركانه فيها أنبأه ربه بخبر حق وميعاد صدق ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٨) هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴿١﴾ (الصف)، فانطلق ﷺ يبشر أصحابه بموعد

الله «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدبر ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يُعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر»<sup>(١)</sup>.

ثم لبى النبي ﷺ نداء ربه، ورحل عن الدنيا ولما تكتحل عيناه برؤية ما بشره الله به من انتشار دعوته وسؤدد أمته، لكن أصحابه الكرام رأوا بأمر أعينهم مصداق ما أخبرهم به ﷺ، ففي خطفة من الزمان بلغت رسالة الإسلام الآفاق، وتكسرت تحت معاول بيانها قلاع الكفر والوثنية في فارس والروم، فلم يمت أبو الطفيل الليثي رضي الله عنه - آخر الصحابة وفاة<sup>(٢)</sup> - إلا والإسلام ترفرف راياته على الأندلس غرباً، والصين شرقاً، ليسجل التاريخ ظاهرة غير مسبوقه في سرعة انتشار دين ونشوء حضارة، وأئى حضارة!.. حضارة فريدة جمعت بين سمو الروح ومطالب الجسد، حضارة كاملت بين الدنيا والآخرة؛ في حين كان الآخرون يعيشون حالة صراع بغيض يُخيّر الإنسان بين جسده وروحه، وبين دنياه وأخراه.. شقاق لم يعرفه الإسلام ولم يعترف به.

وعلى مدى تاريخها الطويل، مرت الأمة المسلمة بالكثير من الظروف والمنعطفات، وساد حالها ما لا يخفى

(١) رواه أحمد ح (١٦٥٠٩).

(٢) انظر : الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر (٥٢٩/٢).

من المتغيرات؛ صعوداً ونزولاً، عزاً وذلة، فبعد أن قادت ركب الحضارة الإنسانية باقتدار ثمانية قرون ترنحت إلى آخر السلم، وقبعت فيه سنينَ طوال ، خيل لأبنائها أنها الدهر .. تتلظى بجراحاتها، وتَشْرُقُ بغصصِ يكاد المرء يحار لتكاثرها وكثرتها.

شيء واحد لم يتبدل رغم هذه المتغيرات جميعاً، إنه انتشار الإسلام في كل يوم وفي كل فج، فهديه ما زال يشرق على قلوب لطلما تلهفت إلى الحق، وبلاد أشقاها تخبطها في ظلمات الكفر ونكد أحواله، فقد لاح أمام ناظرها بواطله وهذمة رجاله وأحاييلهم التي لا تنطلي إلا على من رضي بأسار عقله وقيد فكره.

وأما من انقشعت غشاوة أوهامه، وانعتق من كبول الفهم القطيعي، وانتقل من ضحضاح الفكر إلى طمطامه، مصيخاً السمع لنداء العقل والضمير، فلا بد له من أن يتصالح مع الفطرة بالإسلام الذي يطلع فجره في كل يوم على المزيد من الظالمين إلى الحقيقة، فيهديهم إليها بنور الله الذي يعطيه كل من صدق في عبوديته لله وأخلص في طلب رضاه ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ (المائدة).

واليوم - ورغم ما تعانيه الأمة المسلمة من الضعف

والتردي - فإن الإسلام أوسع الأديان انتشاراً، ويمكننا الوقوف على الإحصاءات العالمية التي تقرر هذا بوضوح، ففي حين كان المسلمون في عام ١٩٠٠ يمثلون ١٥% من سكان العالم؛ فإن نسبتهم مع مطلع القرن الواحد والعشرين بلغت ٢١,٦%، ثم ارتفعت نسبتهم في نهاية العشرية الأولى إلى ٢٣,٤%، وتتوقع دوائر الرصد والإحصاء أن يصلوا عام ٢٠٣٠م إلى نسبة ٢٦,٤%، وأن يتجاوزوا نسبة الـ ٣٠% خلال عقود قليلة قادمة<sup>(١)</sup>.

ولعلنا نتذكر الهلع الذي أصاب بعض الدوائر التي أقض مضجعها تسارع إقبال الناس على الإسلام في أوروبا، فكان حرق القس رولاند ويزلبرغ نفسه - في دير أوغستين في مدينة أيرفيرت الألمانية<sup>(٢)</sup> - صرخة نذير - بعد فوات الأوان - لتحذير أوروبا من انتشار الإسلام فيها، أو إنذارها مما سماه «أسلمة أوروبا».

وفي ظروف تاريخية مشابهة؛ اجتاح التتار العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري، ودخلوا عاصمة

---

(١) انظر على سبيل المثال؛ لا الحصر: التقرير الإحصائي الموثق الذي نشرته (Pew Research Center) في موقعها ([www.pewforum.org](http://www.pewforum.org)) ، وذلك في شهر كانون الثاني من عام ٢٠١١م، وانظر ملخصه بعنوان «مستقبل السكان المسلمين في العالم» في الرابط التالي:

[www.pewforum.org/The-Future-of-the-Global-Muslim-](http://www.pewforum.org/The-Future-of-the-Global-Muslim-)

[.Population.aspx](#)

(٢) انظر: صحيفة التايمز البريطانية، في عددها الصادر في يوم الجمعة ٣ نوفمبر

م.٢٠٠٦

الخلافة الإسلامية بغداد، وقتلوا فيها ما يقارب المليون مسلم، لكن سرعان ما أذهلهم الإسلام بحضارته وفريد عطائه، فبين الحق والباطل برزخ لا تخطئه عينان.. دخل التتار إلى ربوع الإسلام أفواجا<sup>(١)</sup>.. حدث لا أخ له في التاريخ الإنساني الذي لم يسجل أبداً دخول الأمة الغالبة في دين الأمة المغلوبة، لكن المغلوب حينذاك هم المسلمون؛ لا الإسلام الذي بقي وبقى غالباً بحجته وناصر برهانه.

ومن قبل أدرك هرقل ملك الروم خصائص الحق الذي يكتنزه الإسلام عندما سأل أبا سفيان - قبل إسلامه - عن النبي ﷺ ودينه، وكان من أسئلته لأبي سفيان أن سألته عن المسلمين «أيزيدون أم ينقصون؟» فلما أجابه أبو سفيان: «بل يزيدون»، قال هرقل بلسان حكيم: «وكذلك أمر الإيمان حتى يتم.. فإن كان ما تقول حقاً؛ فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أنني أعلم أنني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه»<sup>(٢)</sup>.

وحدثنا عن هرقل الذي عرف الحق ولم يتبعه؛ يذكرني بضرورة الاعتراف بشجاعة المؤمنين الجدد الذين اعتنقوا الإسلام بعد أن انشروا صدورهم له، ولم يحل بينهم وبينه

(١) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (٤٠١/١٣).

(٢) أخرجه البخاري ح (٧).

ما سيتعرضون له - في سبيل هذا الاختيار الموفق - من أذى واضطهاد وقتل في بعض الأحيان، فلقد آثر المهتمون أن يعيشوا أغراباً بين أهلهم وذويهم .. خسروا وفق كل قوانين الجغرافيا والرياضيات، علاوة على نسيان التاريخ .. الإسلام لم يقدم لهم مالاً ولا جاهاً، بل كان صريحاً حين أحالهم إلى جزاء الله وفضله في الآخرة فحسب، ففي بيعة العقبة بايع الأنصار النبي ﷺ على الإسلام وبذل الغالي والرخيص في سبيل نصرته وحمايته، ثم قالوا للنبي ﷺ: «فما لنا إذا فعلنا ذلك؟» فأجابهم النبي ﷺ بوضوح وصراحة: «لكم الجنة»<sup>(١)</sup>، فقط الجنة.. في مقابل حلقة السبيل ومضايق الطريق.. جنة الله التي حفت بالمكارة والبذل والتضحية؛ لا الشهوات والرغبات ﴿الْمَ ۙ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ (العنكبوت).

في هذه الصفحات نقف على نماذج من أخبار أعيان الداخلين إلى الإسلام، المهتمين إلى الحق بعد تخط في دياجير الكفر .. انصدعت قلوبهم على غير ميعاد .. نحاول من خلالها قراءة ظاهرة انتشار الإسلام وسريان نوره وهدهاء في الكون؛ لتنجلي الحقيقة كما ينجلي الليل الأدهم

(١) أخرجه أحمد ح (١٦٦٣٠).

بنور الشمس.

ستتعرف على الأسباب التي دفعت هؤلاء الأماجد إلى هجر أديانهم والخروج عن إلفهم إلى اعتناق دين جديد يخالف كثيراً مما نشؤوا عليه من ثقافة، وما تربوا عليه من فُتات الأوهام، فلكل واحد منهم قصة تختزن الكثير من المعاني التي نود رصدّها وسبر أغوارها، ونقلها إلى القارئ الكريم؛ ليفيد منها في إعادة اكتشاف واستحضار المزيد من معالم الإيجابية في ديننا وما يرشد إليه من مبادئ وشرائع وقيم وأخلاقٍ اجتذبت هؤلاء المهتمين، واستصحابها في مسيرتنا الدعوية قد يفتح لنا بعض العقول الموصدة .. فكم في الإسلام من خصائص عظيمة نذهل عنها بسبب الفناء واعتيادنا، بينما يبهر الآخرين ضوءها، وحين يعجزون عن إدراك عظمتها، لا يسعهم إلا الإيمان بالإسلام العظيم.

تدارسنا لقصص هؤلاء المهتمين يذكرنا بحق الكثيرين ممن لم يعرفوا الإسلام بعد .. بعضهم لم يسمع عنه، أو سمع تلك الشنينة التي ملتها أسماعنا ، وضحكت أقلامنا منها عجباً .. كيف يصدق العقلاء تلك الهمهمات والتمتمات!.. حق البشرية في رقابنا أن نبلغهم ما عرفنا من الحق، وأن نحاسب في ذلك عظيم الأجر وسابغ الثواب ، قال ﷺ لعليّ رضي الله عنه: «ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يُهدى بك رجلٌ واحد خيرٌ لك من

حَمْرِ التَّعَمِّ»<sup>(١)</sup>.

وقد اخترت من قوافل المهتمين هذه العينة الكريمة، وفاتني الكثير والكثير من الأماجد الذين تضيق مثل هذه الصفحات عن استيعاب قصصهم مع الهداية، فلهم مني الحب والاعتذار.

وقد رتبت قصص المهتمين بحسب ميلادهم في الإسلام، فاللحظة الفارقة في حياة كل واحد منهم كانت نطقه بالشهادتين، وانضمامه إلى ركب المؤمنين.

وقد جهدت في الاختصار وأنا أعرض - على قارئتي - قصص هؤلاء المهتمين، وحاولت إطلاعه - باختصار - على شخصية المهتمدي وتعريفه ببيئته قبل الإسلام، وأسهب - من غير إطالة - في التركيز على أهم المسائل والقضايا التي أبعدت المهتمدي عن دينه القديم، وساقته إلى رحاب الإسلام؛ آملاً أن يكون في التأكيد على هذه المسائل ما يضيء الطريق لغيره من الباحثين عن الحق.

بقي أن ننبه إلى أن المهتمدين الجدد وافدون إلى الإسلام من ثقافات مختلفة، وإيمانهم نجح في صهر معظمهم في بوتقة الإسلام وثقافته ورؤاه، لكن بعضهم حين أسلم؛ حاول المزاجية بين الإسلام وثقافته وطرائق تفكيره القديم، فأصاب وأخطأ، وذكرى لبعض هؤلاء في هذا الكتاب لا يعني الرضا عن أفكارهم وزلاتهم التي

---

(١) أخرجه البخاري ح (٢٩٤٢).

خالفوا فيها ثوابت الإسلام، فالله أسأل أن يغفر زلتهم، فقد  
جهلوا ما علمنا.

وأسأله تبارك وتعالى أن ينفع بهذا الجهد كل باحث  
عن الحقيقة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

\* \* \*

## لماذا أسلم السابقون إلى الإسلام؟

بعث النبي ﷺ في أرض كثيبة ترزح تحت عذابات ما أسماه القرآن الكريم ﴿الظلمات﴾، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (الأحزاب: ٤٣)، فالظلمات أدق الأوصاف وأدلها على عالم ظالم لنفسه، يكفر بالله الواحد، أو يعبد معه الحجر والشجر، فلكل قوم في نواحيه صنمهم ومعبودهم، ولربما صنعوه من التمر، ثم جاعوا فأكلوه، فيا هؤلاء ﴿تَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ (٤٥) ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٦٦) (الصفات)، لذا نظر الله إلى أهل الأرض، فمقتهم جميعاً؛ عربهم وعجمهم؛ إلا آحاداً من أهل الكتاب تناثروا هنا وهناك، جمعهم توحيد الله والإخلاص لعبادته.

حين واجه النبي ﷺ بركان الجاهلية؛ خرج من تحت حممها ومن بين ركامها أناس أشرعوا سفنهم في تحدي أمواج الجاهلية والتصدي لزخرفها بالإيمان، فقد آمنوا بالنبي ﷺ، ورضوا بالحياة الآخرة، وآثروها على الدنيا، فاستخفوا بما أصابهم من المحن والإحن، فلهه درهم من رجال.

وهنا يحضرنا سؤال نبحت عن إجابته في طيات التاريخ والسير: لماذا أسلم هؤلاء الأماجد؟ وكيف؟

ونبدأ بالنفر الأول السابقين إلى الإسلام الذين شهد الله لهم بالفضل، ووعدهم بالحسنى ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا  
أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴿التوبة﴾، فالآية تحكي فضل  
السادة الأوائل الذين سبقوا إلى الإيمان بالنبى ﷺ: خديجة  
وأبي بكر وعلي وزيد، ثم من آمن بعدهم من أصحاب  
النبى ﷺ، ورضي الله عنهم أجمعين، فقد سبقوا غيرهم  
إلى فضل عظيم.

فأما أم المؤمنين خديجة؛ فكانت أعرف الناس بصاحب  
الرسالة محمد ﷺ، كيف لا؟ وهي ألصق الناس به، وأعرفهم  
بسريره، هل يخفى أمر رجل على زوجته التي تقاسمه بيته  
ولحافه وطعامه وشرابه خمس عشرة سنة؟

لقد عرفت خديجة رضي الله عنها كل ما يمكن لامرأة  
أن تعرفه عن زوجها، فكانت أخبر الناس به، وبالبحري  
أسرعهم إلى التصديق بنبوته؛ لما نزل من غار حراء مخبراً  
إياها بالحدث الجلل الذي اعتراه فأخافه، إذ ليست له عادة  
في لقيا الملائكة وكلامهم، فكيف إذا لقي عظيمهم في مكان  
لم يعتد رؤية البشر فيه؛ فضلاً عن غيرهم، فأصابته المخاوف  
من غريب ما وجد، وطلب الأمان عند زوجته خديجة «لقد  
خشيت على نفسي»، فسارعت إلى طمأنته حتى ذهب عنه  
الروع: «كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم،  
وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين  
على نوائب الحق»، نعم، فمن كانت هذه حاله فإن الله  
يحميه، بل وهو أهل لأن يصطفيه برسالاته وكلامه.

وزاد اطمئنانها ورسخ يقينها ما سمعته من ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان من علماء أهل الكتاب: «هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك.. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزرًا»<sup>(١)</sup>.

وقد روي في بعض الأخبار أن خديجة رضي الله عنها كانت تنتظر هذا الخبر السعيد وتشوف له، فقد جمعها مع بعض النسوة عيد لقريش في الجاهلية يجتمع فيه النساء دون الرجال، فوقف عليهن يهودي، وقال لهن: «يا معشر نساء قريش، يوشك أن يبعث فيكن نبي، فأئكِّن استطاعت أن تكون له أرساً [أي زوجة] فلتفعل». فحصبته، ووقر ذلك في نفس خديجة حتى حققه الله لها، فكانت أول من آمن به ﷺ<sup>(٢)</sup>.

دخلت خديجة وبنياتهما في الإسلام لما عرفنه من حال الرسول، فهو الزوج والوالد الذي أقنعهن بعظم الرسالة، وانضم إليهن نزيل بيتهم الفتى علي بن أبي طالب، ابن عم النبي ﷺ، وصهره من بعد، وقد ضمه النبي ﷺ إلى عياله تخفيفاً على عمه لما كثرت عياله، وقلَّت أرزاقه، فلم يزل في بيت رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً، فاتبعه علي وآمن

(١) أخرجه البخاري ح (٤)، ومسلم ح (١٦٠).

(٢) أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (١٩٨/١).

به، وعمره حينذاك دون العشر، فعرف الإسلام في يومه الثاني، إذ رأى النبي ﷺ يصلي مع خديجة رضي الله عنها، فقال: ما هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: دين الله الذي اصطفى لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته، وكفر باللات والعزى، فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمراً حتى أحدث به أبا طالب.

وكره رسول الله ﷺ أن يفشي سره قبل أن يستعلن أمره، فقال له: يا علي، [إذا] لم تسلم فاکتم، فمكث علي تلك الليلة، ثم أصبح وقد شرح الله صدره بالإيمان فأسلم، وآمن بالنبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

ويدعو النبي إلى الإسلام صاحبه وأنيس شبابه عبد الله بن أبي قحافة، فما أن سمع بخبر النبوة حتى بادر إلى الإسلام بلا تردد ولا تلكؤ، يقول ﷺ: «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة ونظر وتردد؛ إلا ما كان من أبي بكر رضي الله عنه ما عكّم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه»<sup>(٢)</sup>، وقد أغناه عن النظر ما سبق إليه من معرفة بالصادق الأمين، كيف لا يصدق من ترك الكذب على الناس أربعين سنة، وصدق هرقل لما قال: «أعرف أنه لم

(١) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين أحمد المقرئ (٩٤/٩).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٩١/٢).

يكن ليدر الكذب على الناس ويكذب على الله»<sup>(١)</sup>.

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجْوًا مِنْ أَخِي ثِقَّةً

فَاذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا

خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَتَقَاهَا وَأَعْدَلَهَا

بعد النبي وأوفاهما بما حملا

الثَّانِي اثْنَيْنِ وَالْمَحْمُودَ مَشْهُدُهُ

وَأَوَّلَ النَّاسِ طُرَا صَدَّقَ الرُّسُلَا<sup>(٢)</sup>

وغير بعيد عن بيت النبوة؛ أسلم زيد بن حارثة مولى

النبي ﷺ، وكان قد اختار العبودية في بيت النبوة على

الحرية بين الإخوة والأخوات، فعبودية في بيت محمد لا

يعدها فخر فوق الأرض وتحت أديم السماء.

وممن سارع إلى الإسلام عمرو بن عبسة رضي الله

عنه، فكان كما يقول: «رأيتني وأنا رابع أربعة فأسلمت»<sup>(٣)</sup>،

أسلم عمرو لما رأى جلال الرسالة وتفحص عظيم

موضوعها، يقول: أتيت رسول الله ﷺ وهو بمكة مستخفياً

فقلت: وما أنت؟ قال: نبي.

قلت: وما نبي؟

قال: أرسلني الله.

---

(١) أخرجه البخاري ح (٧)، ومسلم ح (١٧٧٣).

(٢) انظر سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي (٣٠٣/٢).

(٣) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ح (١٤١٠).

فقلت: وبأي شيء أرسلك؟  
قال: أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد  
الله لا يشرك به شيء).  
وفي رواية لأحمد أن عمرًا قال: نعم ما أرسلك به،  
وأشهدك أنني قد آمنت بك وصدقتك»<sup>(١)</sup>.  
وفي رواية أنه سأل النبي ﷺ: ما الإسلام؟ فأجابهُ ﷺ:  
«لين الكلام، وإطعام الطعام.  
قلت: ما الإيمان؟ قال: الصبر والسماحة.  
قلت: أي الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من  
لسانه ويده.

قلت: أي الإيمان أفضل؟ قال: خلق حسن»<sup>(٢)</sup>.  
وأما عمر الفاروق رضي الله عنه فخرج من بيته  
وحمايل سيفه تتسابق إلى الشر مع شرر عينيه، قصد النبي  
ﷺ يريد قتله، فتعثر في بيت أخته فاطمة، حين بلغه خبر  
إسلامها، فأراد الفتك بها قبل أن يكمل الطريق إلى بيت  
رسول الله ﷺ، ففتكت بشيطانه حين قرأت عليه آيات من  
صدر سورة طه: ﴿طه ١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا  
نَذِيرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾  
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا  
بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى

(١) أخرجه مسلم ح (٨٣٢) وأحمد في المسند ح (١٦٥٦٨).

(٢) رواه أحمد ح (١٨٩٤٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (٥٥١).

﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ (طه) (١).

أصاخ عمر السمع وأبلم، فما جاوز عتبة البيت إلا مؤمناً، أخذ الحق بمجامع قلبه، رضي الله عنه وأرضاه. وكذلك سبق الغفاري أبو ذر رضي الله عنه إلى الإسلام، فحين بلغه بعثة النبي ﷺ، أرسل أخاه أنيساً إلى مكة ليأتيه بخبره، فعاد أنيس وقال لأبي ذر: «والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير، وينهى عن الشر» (٢)، وفي رواية في البخاري: «رأيت يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر» (٣).

وفي رواية لمسلم أن أبا ذر سأل أخاه: «فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر كاهن ساحر، لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت على أقرء الشعر فلم يلتئم، وما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، وإنه لصادق، وإنهم لكاذبون» (٤).

فلم يقنع أبو ذر بجواب أخيه المجمل، فسافر إلى النبي ﷺ بنفسه، ولقيه وسمع منه، فأسلم رضي الله عنه وأرضاه.

وأما حمزة عم النبي ﷺ، فقد أسلم ابتداءً حمية لابن أخيه، لما بلغه أن أبا جهل قد آذى النبي ﷺ وشتمه، أنه

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١٩٠/٢).

(٢) أخرجه البخاري ح (٣٥٢٢).

(٣) أخرجه البخاري ح (٣٨٦١).

(٤) أخرجه مسلم ح (٢٤٧٣).

حمزة فضربه وشجه، وقال له: «أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟»، قال ذلك، ولمَّا يدخل في الإسلام بعد، لكنها كلمات أنطقه الله بها في وقت غضبه على أبي جهل.

ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال: أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك؟ للموت خير لك مما صنعت.

فدعا حمزة: اللهم إن كان رشداً فاجعل تصديقه في قلبي، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجاً.

ثم غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي، إني قد وقعت في أمر، ولا أعرف المخرج منه، وشديداً إقامة مثلي على ما لا أدري ما هو، أرشد أم هو غي؟ فحدّثني حديثاً فقد اشتفيت يا ابن أخي أن تحدّثني، فأقبل رسول الله ﷺ، فذكره ووعظه، وخوّفه وبشّره.

فألقي الله في قلبه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ، فقال: أشهد أنك الصادق شهادة الصدق، فأظهر يا ابن أخي دينك، فوالله ما أحب أن لي ما أظلته السماء وأني على ديني الأول.

ثم أنشد يقول:

حمدت الله حين هدى فؤادي

إلى الإسلام والدين الحنيف

لدين جاء من رب عزيز

خبير بالعباد بهم لطيف

إذا تليت رسائله علينا  
تحدّر دمع ذي اللب الحصيف  
رسائل جاء أحمد من هداها  
بآيات مبيّنة الحروف<sup>(١)</sup>  
\* \* \*

---

(١) الروض الأنف، السهيلي (٤٣/٢).

## لهذا أسلم أهل الشام ومصر وسمرقند

### وسائر البلدان

لقد كان الانتشار السريع للإسلام في العالم القديم حدثاً مدوياً، تجاوز ما عرفته البشرية من زحف بطيء للأديان، وهي ظاهرة حيرت علماء الاجتماع والتاريخ؛ فزعم من زعم منهم أن الإسلام انتشر بحد السيف! وخلطوا بين توسع الدولة المسلمة بالفتوحات وبين انتشار الإسلام بسيف الحجّة والمعاملة الحسنة، وما درى هؤلاء - بل لعلهم يدرون - أن السيف يقتل القلوب ولا يفتح مغاليق الروح، وأن العقائد محلها الضمائر التي لا سلطان لأحد عليها.

لَمْ لَا يَتَسَاءَلُ هَؤُلَاءِ: هَلْ يَعْقِلُ أَنْ يُكْرِهَ الْمُسْلِمُونَ غَيْرَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس)، وكيف يُتصور وقوع الإكراه على الدين من أتباع النبي الذي قال له ربه: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة: ٢٧٢)، وقال أيضاً: ﴿فَاتَّمَا عَلَيَّكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (الرعد: ٤٠).

إن أمثال هذه النصوص تمنع المسلم من التفكير في إكراه الناس على الإسلام، وتقرر قاعدة قرآنية مهمة ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، ولذلك

فإن المسلمين طوال تاريخهم كانوا أبعد ما يكونون عن هذا الفعل المشين، فلم تسجله عليهم أي من كتب التاريخ، بل نقلت عنهم ما أثار عجب المؤرخين واستحسانهم، وسأكتفي هنا بنقل شهادة المستشركة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها الممتع "شمس العرب تسطع على الغرب"، حيث تقول: «العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام»<sup>(١)</sup>.

وإذا أردنا أن نعرض لبعض المشاهد لدخول أهل البلدان في الإسلام فإننا نستحضر الكثير من النماذج التي يكفي بعضها عن الآخر، فمن أراد معرفة سبب تحول أهل الشام من النصرانية إلى الإسلام، فما عليه إلا أن يتأمل النقلة الحضارية التي أحدثها الإسلام في ذهنية الأمم التي دخلت تحت سلطانه، فقد أشعرهم بكرامتهم وكيونوتهم التي لم يشعروا بها تحت حكم أهل ملتهم ودينهم، فنصارى حمص كتبوا إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: «لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم»، ثم أغلقوا أبواب المدينة في وجه الروم إخوانهم في العقيدة<sup>(٢)</sup>.

وأما النصارى الأرثوذكس في مصر فذاقوا من حكامهم الروم الكاثوليك أصناف العذاب والنكال،

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ص (٣٦٤).

(٢) ذكره البلاذري في فتوح البلدان ح (١٨٧).

وشاعت أخبار ذلك في كتب المؤرخين النصارى كساويرس ابن المقفع في كتابه «تاريخ البطارقة»، ثم وجد أهل مصر الأمان والعدل عند المسلمين وقد سبقهم إلى ظلاله إخوانهم في الشام ، فالمسلمون هم من أعطوا الأمان للبابا الأرثوذكسي بنيامين بعد اختبائه من بطش إخوانه الروم الكاثوليك، فخرج من مخبئه بأمان المسلمين، وعاد إلى كنيسته مكرماً، وهو موقف دفع بطريك بيت المقدس في القرن التاسع للكتابة إلى أخيه بطريك القسطنطينية حاكياً عن العرب: «إنهم يمتازون بالعدل، ولا يظلموننا البتة، وهم لا يستخدمون معنا أي عنف»<sup>(١)</sup>.

وتتجلى الكرامة الإنسانية التي حرسها الإسلام وسانها في قصة القبطي الذي ضربه ابن والي مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه، فلم يجد القبطي في وعشاء الطريق وطوله ما يمنعه من السفر من مصر إلى المدينة المنورة ليثأر لكرامته التي أهدرها ابن أمير مصر، إذ لا يُقبل مثل هذا في عهد الإسلام ودولته العادلة.

ولما دخل القبطي على الخليفة عمر رضي الله عنه، قال: يا أمير المؤمنين، عائد بك من الظلم. فأجابه الخليفة: عُدت معاذاً، فقال القبطي: سابتُ ابن عمرو بن العاص فسبقتُه ، فجعل يضربني بالسوط، ويقول: أنا ابن الأكرمين.

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، ص (٣٦٤).

وتثور مكانم العدل الإسلامى فى صدر الخليفة عمر رضي الله عنه، كيف يحصل هذا فى مملكته، وهو الذى سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول: «من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس؛ فأنا حجيجه يوم القيامة»<sup>(١)</sup>، فأمر الخليفة بإحضار أمير مصر وابنه إلى المدينة المنورة، ليقترض القبطى بسوطه من ابن الأكرمين على مرأى من الناس ومسمع.

ثم قال عمر لواليه مقولة عدل أصبحت مثلاً خالداً يتغنى به المسلمون وغيرهم: «يا عمرو، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟»<sup>(٢)</sup>.

وعمر رضي الله عنه هو الذى كان قد كتب لواليه على مصر: «واعلم يا عمرو أن الله يراك ويرى عملك .. وأن معك أهل ذمة وعهد، وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم، وأوصى بالقبط فقال: «استوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً»، ورحمهم أن أم إسماعيل منهم، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته؛ فأنا خصمه يوم القيامة» احذر يا عمرو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لك خصماً، فإنه من خصمه خصمه»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود ح (٣٠٥٢)، ونحوه فى سنن النسائي ح (٢٧٤٩)، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود ح (٢٦٢٦).

(٢) انظر: تاريخ عمر، ابن الجوزى (١٢٩-١٣٠)، وفتوح مصر، لابن عبد الحكم، ص (١٩٥).

(٣) ذكره المتقى الهندي فى كنز العمال ح (١٤٣٠٤).

لمثل هذه الشواهد دخل أهل الشام ومصر في دين الله أفواجاً، فقد رأوا من عدل الإسلام ما لم يروه من قبل في أمة من الأمم، يقول المؤرخ غوستاف لوبون: «إذا حدث أن انتحل بعض الشعوب النصرانية الإسلام، واتخذ العربية لغة له؛ فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس عهد بمثله»<sup>(١)</sup>.

وشواهد عدل المسلمين مع أهل ذمتهم كثيرة، منها العدل معهم في خصومتهم مع الخلفاء والأمراء، ومنه خصومة الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام مع يهودي في درعه التي فقدها ثم وجدها عند يهودي، فاحتكما إلى شريح القاضي، فحكم بها لليهودي، فأسلم اليهودي وقال: «أما إنني أشهد أن هذه أحكام أنبياء! أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه، فيقضي لي عليه! أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، الدرع درعك يا أمير المؤمنين، اتبعت الجيش وأنت منطلق من صفين، فخرجت من بعيرك الأورق»، فقال علي عليه السلام: «أما إذ أسلمت فهي لك»<sup>(٢)</sup>.

وقبل أن تغرب شمس القرن الهجري الأول؛ انساحت جيوش المسلمين تفتح بلاد ما وراء النهر بقيادة القائد العظيم قتيبة بن مسلم الباهلي، فتكسرت على نصالهم جيوش طالما كانت سبباً في غياب رسالة الإسلام.

(١) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص (١٢٧).

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٤١/٤) بإسناد ضعيف، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٨ - ٥).

وفي أواسط آسيا - فيما يسمى اليوم جمهورية أوزبكستان - تربض مدينة محصنة منيعة الأسوار تدعى سمرقند، غزاها قتيبة بعد دخوله إلى مدينة بخارى ، خاف منه أهل السغد (سكان سمرقند)، وطلب ملكهم طرخون الصلح مع المسلمين، فوافق قتيبة، وانصرف كل من الجيشين إلى حاله.

لكن هذا الصلح لم يقنع قتيبة، فمازال يطمع في دخول تلك المدينة العصية بحصونها على الفاتحين، لكن لو قدر للمسلمين حصارها لتجمدت أطرافهم من البرد القارس الذي يعسر على جيش الصبر عليه، فهيئات لمثل هذه المدينة أن تسقط إلا بالأي وبلاء.

وذات يوم دخل المُجشّر بن مزاحم السلمي على قتيبة، وأشار عليه بدهم سمرقند على حين غرة من أهلها، ففعل وحاصرهم ، فصالحوه على أن يدفعوا له جزية، وأن يفتحوا له مدينتهم، فيصلي فيها ثم يخرج منها.

فلما دخل قتيبة سمرقند، أخذ منهم جزيتهم، وأخبرهم أنه غير خارج من مدينتهم هو وجنوده، فسقط في أيديهم، وظنوا أنهم طويت صفحتهم وضاع حقهم بغدرة قتيبة رحمه الله لهم.

لكن مثل هذا لا يدوم في دولة الإسلام .. فعندما ولي إمام العدل الخليفة عمر بن عبد العزيز أقام رسوم الشريعة، فرد المظالم، وأقام العدل، فشاعت أخباره، فأرسل إليه أهل سمرقند يلتمسون عدل الإسلام، وقالوا: «قتيبة ظلمنا،

وغدر بنا، فأخذ بلادنا، وقد أظهر الله العدل والإنصاف، فأذن لنا، فليقدم منا وفد على أمير المؤمنين».

وهكذا كان، فاستمع عمر إلى شكاة الوفد، وأرسل إلى واليه سليمان: إن أهل سمرقند شكوا ظلماً وتحاملاً من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي، فلي نظر في أمرهم، فإن قضى لهم فأخرج العرب إلى معسكرهم كما كانوا قبل أن يظهر عليهم قتيبة.

فأمر سليمان جميع بن حاضر القاضي أن يحكم بين المسلمين وأهل سمرقند، فقضى أن يخرج المسلمون من سمرقند إلى معسكرهم.

يا للروعة، قاضي المسلمين يحكم لصالح الوثنيين، وعلى من؟ على إخوانه المسلمين. إنه مشهد من مشاهد العدل التي تحفز للتأمل والاعتبار في دين يحكم قاضيه لصالح خصومهم وأعدائهم.

وهنا يقف التاريخ على أطراف أصابعه ويرمق بعين فاحصة، هل يمكن لحكم هذا القاضي بخروج جيش الإسلام من سمرقند أن يجد سبيله إلى التنفيذ؟ أم أن الأحكام العادلة هي حبر على الورق، يتغنى بها أصحابها في صفحات التاريخ، من غير أن ينعم بها المظلومون بأكثر من رؤية أحبارها؟.. لكن هيهات أن يصنع المسلمون ذلك ورسولهم ﷺ يقول: «لا قدس الله أو كيف يقدر الله أمة

لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها وهو غير متعّع»<sup>(١)</sup> أي يتلجلج في شكاته وتتخبط الحروف بين شفّيته من الخوف والرعدة.

وقبل أن تغيب شمس ذلك اليوم بدأت طلائع الجيش الإسلامي تستعد للخروج من سمرقند إنفاذاً لحكم الإسلام العادل، ثم لم يخرجوا لأن أهلها قرروا تجديد الصلح مع جيش الأمة العادلة التي تمثل أمر دينها، وقد رأوا من حسن معاملتهم وطيب معشرهم ما لم يعهدوه في الفاتحين ممن قبلهم<sup>(٢)</sup>.

إنهم أتباع محمد ﷺ الذي أمره ربه بالعدل حتى في حال الخصومة والعداوة ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوِّمِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٨)، فالآيات القرآنية ترسم للمؤمنين طريقة التعامل العادل حتى مع أعدائهم الكافرين الذين يحاربونهم في دينهم ويصدونهم عن قبلتهم، فتأمر بالعدل وتنهى عن الظلم الذي حرمه الله على نفسه العلية، وحرمه أيضاً على عباده ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ

---

(١) أخرجه ابن ماجه ح (٤٠١٠)، والبيهقي في الشعب ح (١١٢٣٢)، واللفظ له.

(٢) انظر قصة فتح سمرقند في: الكامل في التاريخ، لأبي الحسن الشيباني (٣٢٧/٤).

وَالنَّقَوِيُّ <sup>ط</sup> وَلَا نَعَاوَنُوكُمْ عَلَى الْإِيمَةِ وَالْعُدْوَانِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ  
الْعِقَابِ ﴿ (المائدة: ٢).

ولمثل هذه الآيات حكم القاضي المسلم جميع بن  
حاضر على جيشه وأمته، فماذا كان أثر هذا الحكم على  
أهل سمرقند والمناطق المجاورة لها؟

لقد سارعت الجموع إلى الدخول في الإسلام، لا بل  
تحولت إلى حارسة لأحد مصدريه، وهي السنة التي  
حفظها الله بجهود علماء أماجد من أهل تلك البقعة  
المباركة التي شهدت عدل الإسلام، وفي مقدمتهم  
البخاري والنسائي والترمذي، علاوة على غيرهم من علماء  
الفنون الشرعية الأخرى كالزمخشري والنسفي وأبي الليث  
السمرقندي وأبي منصور الماتريدي وغيرهم من العلماء  
الذين حفظوا للأمة دينها، جزاء وفاقاً لما رأوه من عدل  
الإسلام والتزام المسلمين.

ولو استعنا بكتاب المستشرق توماس أرنولد «الدعوة  
إلى الإسلام» لرأينا العشرات من الشواهد الرائعة التي  
تحكي قصة انتشار الإسلام في ربوع الأرض وهو ينتشر  
بسيف الحجّة والبيان.

يحدثنا أرنولد عن إسلام بركة خان من أمراء المغول  
في القرن الميلادي الثالث عشر: «وقد قيل في سبب  
إسلامه إنه تلاقى يوماً مع عير للتجارة آتية من بخارى،  
ولما خلا بتاجرين منهم سألهما عن عقائد الإسلام،  
فشرحها له شرحاً مقنعاً انتهى به إلى اعتناق هذا الدين

والإخلاص له، وكاشف أصغر إخوته أول الأمر عن تغييره لدينه واعتناقه الإسلام، وحبب إليه أن يحذو حذوه، ثم أعلن بعد ذلك اعتناقه لهذا الدين»<sup>(١)</sup>.

وأحياناً كان منظر المسلمين وهم يمارسون شعائرهم كافياً لاجتذاب من يعيش حولهم إلى الإسلام، وقد سجل هذا الفيلسوف أرنست رينان في كتابه «الإسلام والعلم»: «ما دخلت مسجداً قط، دون أن تهزني عاطفة حادة، أو بعبارة أخرى، دون أن يصيبني أسف محقق على أنني لم أكن مسلماً»، ويتابع أرنولد بالقول: «كان من اليسير أن ندرك كيف أن منظر التاجر المسلم في صلاته، وسجداته الكثيرة، وعبادته للإله الذي لا يراه، في سكينه واستغراقه، قد يؤثر في الإفريقي الوثني، الذي وُهب إدراكاً قوياً للقوى الخفية، كما يقترن هذا الإدراك عادة بدرجة منحطة من المدنية. وقد يحفز حب الاستطلاع على البحث بطبيعة الحال. وإن معارف الإسلام التي عرفها الناس على هذا النحو قد تجذب أحياناً فرداً يدخل في الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

ويلفت أرنولد النظر إلى أن الإسلام دين كثير التكاليف، وفي شرائعه ما يشق على العابثين المستهترين، وينقل عن الناقد الأسكتلندي الساخر توماس كارليل قوله عن الإسلام: «ليس بالدين السهل؛ فإنه بما فيه من صوم قاس، وطهارة، وصيغ معقدة صارمة، وصلوات خمس كل

(١) الدعوة إلى الإسلام، السير توماس أرنولد، ص (٢٥٩).

(٢) المصدر السابق، ص (٤٥٩).

يوم، وإمساك عن شرب الخمر، لم يفلح في أن يكون ديناً سهلاً»، ويعلق أرنولد بأن هذا ما «يدحض النظرية القائلة بأن الإسلام نظام ديني يجذب الناس عن طريق مراودتهم في ملذاتهم الشخصية»<sup>(١)</sup>.

ويحكي أرنولد عن انتشار الإسلام في أوروبا الشرقية على يد أسير مسلم يرسف في قيوده، لكن وطأتها وذل الأسر لم يكن ليمنعه من التعريف بدينه، يقول أرنولد: «حتى المسلم الأسير، يغتنم الفرص في المناسبات لدعوة أسريه أو إخوانه في الأسر إلى دينه، وقد تسرب الإسلام إلى أوروبا الشرقية أول الأمر بفضل ما قام به فقيه مسلم، سيق أسيراً.. وجيء به إلى بلاد بتشنج Pechenegs في مستهل القرن الحادي عشر، وقد بسط بين يدي كثير منهم تعاليم الإسلام، فاعتقدوه في إخلاص، حتى إنه أخذ في الانتشار بين هذا الشعب»<sup>(٢)</sup>.

ولذلك لا يمكن لمنصف أن يقرأ بصدق ظاهرة الإقبال على الإسلام ودخول الأمم فيه؛ إلا إذا اعترف بما يملكه هذا الدين من عوامل التفوق التي أدخلته إلى كل مدينة وقرية؛ وقد صدق المؤرخ الشهير وول ديورانت حين قال: «وعلى الرغم من خطة التسامح الديني التي كان ينتهجها المسلمون الأولون، أو بسبب هذه الخطة؛ اعتنق الدين الجديد معظم المسيحيين وجميع الزرادشتيين

(١) المصدر السابق، ص (٤٥٩).

(٢) المصدر السابق، ص (٤٥٣).

والوثنيين إلا عدداً قليلاً منهم .. واستحوذ الدين الإسلامي على قلوب مئات الشعوب في البلدان الممتدة من الصين وأندونيسيا إلى مراكش والأندلس، وتملأ خيالهم، وسيطر على أخلاقهم، وصاغ حياتهم، وبعث آمالاً تخفف عنهم بؤس الحياة ومتاعبها»<sup>(١)</sup>.

لقد أدرك وول ديورانت وغيره الحقيقة، فلم تغشهم موجات التضليل السافر والكذب المتواصل على هذا الدين؛ فمقصود هؤلاء المضللين اصطناعُ هُوةٍ تحُولُ بين العالم وفهم الإسلام والوقوف على حقائقه العظيمة، فالإسلام دين يتناغم مع الفطرة، ويتواءم مع العقل، ويضمن لمعتنقه سعادة الدنيا ونعيم الآخرة ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٧).

ولمثل هذا دخل الناس في الإسلام أفواجاً.

\* \* \*

---

(١) قصة الحضارة، وول ديورانت (١٣/١٣٣).

## (أحمد) فارس الشدياق

فارس الشدياق واحد من أعيان القرن التاسع عشر، وعلم من أعلام اللغة والأدب العربي، وهو «الفاريق» كما يحلو له أن يسمي نفسه بالجمع بين أول اسمه وآخر لقبه. ولد فارس في لبنان في عام ١٨٠٥م لعائلة كاثوليكية، وتسميتها بالشدياق نسبة إلى كلمة يونانية تشير إلى لقب ديني مرموق، ودرس في الكتّاب، ثم على يد أخيه الكبير أسعد، وكان من أهل اللغة والأدب، ثم توفي والده، فعمل في صناعة نسخ الكتب مستغلاً ما حباه الله من خط جميل.. مهنة جعلته صديقاً دائماً للكتاب، فصقلت مواهبه، والتي كان من بينها معرفته بالإنجليزية والفرنسية والتركية إضافة إلى براعته بالعربية، فقد كتب في قواعد الإنجليزية كتابه «الباكورة الشهية في نحو اللغة الإنجليزية»، و«المحاورة الإنسية في اللغتين العربية والإنجليزية»، وكتب أيضاً «سند الراوي في النحو الفرنسي».

تنقل الشدياق بين - ما سيمى فيما بعد- لبنان وسوريا في زمن طفولته، ثم قصد مالطا - قلعة التنصير حينذاك - ليتعلم فنون التبشير بالنصرانية على يد الإرساليات الأنجليكانية، وفيها كتب أول كتبه «الواسطة في معرفة أحوال مالطة»، ثم ارتحل إلى مصر، وعمل محرراً في جريدة الوقائع المصرية، كما لقي بعض علماء الأزهر كالعلامة نصر الله الطرابلسي والشيخ محمد شهاب

الدين الحلبي، وتعلم منهم ومن غيرهم المزيد من علوم العربية.

كان من أهم الأحداث الفارقة في حياة الشدياق مصرع أخيه الكبير أسعد وهو أسير في دير قنوبين، فقد احتجز فيه ست سنوات لتركه الكاثوليكية وانتقاله منها إلى مذهب البرتستانت، وهو حدث مهم ترك جرحاً غائراً في قلب الشدياق، فكان ينزف حبراً في سطور كتبه التي حَبَّرَ فيها الصفحات الطوال في ازدراء رجال الدين النصارى، والتهمك عليهم، من ذلك أنه حكى مرة عن إقامته في دير مع بعض الرهبان «كنت أرى من عناد الرهبان وتفريق آرائهم، وطعن بعضهم في بعض، وشكواهم الدائمة للرئيس من أمور باطلة ... وزد على ذلك كله جهل الجميع؛ إذ لم يكن في الدير كله من يحسن كتب رسالة في معنى من المعاني؛ حتى إن الرئيس نفسه أدام الله عزه [أي رئيس الدير] لم يكن يعرف أن يكتب سطرًا واحداً بالعربية!!»<sup>(١)</sup>.

وفي موطن آخر كتب « انظر كم عندنا في بلادنا من دير!! وعلى كم تشتمل هذه الأدبار من الرهبان، ولم أرَ أحداً منهم نبغ في علم، ولا من أثرت عنه مكرمة، بل لا تسمع عنهم إلا ما يشين الإنسان في عقله وعرضه»<sup>(٢)</sup>.

(١) الساق على الساق، أحمد فارس الشدياق، ص (٩٧).

(٢) المصدر السابق، ص (٨٠).

وكتب يشكو جهل رجال الدين، مستدلاً بركاكة الترجمة العربية للكتب المقدسة، ف«الزبور وهو كتاب حشوه اللحن والخطأ والركاكة ، لأن معربه لم يكن يعرف العربية، وقس عليه سائر الكتب التي طبعت في بلادكم .. أتحسبون أن الركاكة من شعائر الدين ومعالمه وفرائضه وعزائمه، وأن البلاغة تفضي بكم إلى الكفر والإلحاد والبدعة والفساد؟ أم حسبتم أن تلك الأبيات العاطلة قد أفحمت ذلك المسلم العالم عن المجادلة والمناضلة؟ أما بعروقكم دم يهيجكم إلى حب الكلام الجزل الفخم؟... أدمغتكم قد سُقيت اللحن والركاكة من وقت ذهابكم إلى الكُتَّاب وقرءتكم فيه كتاب الزبور إلى أن تصيروا كُهلاً ثم شيوخاً»<sup>(١)</sup>.

كُرهُ الشدياق لرجال الكنيسة، وتندرته بجهلهم وتعصبهم قاده إلى نقد طقوس الكنائس المسيحية والتعجب مما يُتعجب منه فيها «لأهل الكنائس عادة أن يخرجوا في أيام معلومة بما في كنائسهم من الدُمي والتمائيل على ثقلها وضخمها، يحملونها على أكتاف المتحمسين في الدين، فيجرون بها في الشوارع وهم ضاجُّون، وأغرب من ذلك أنهم يوقدون أمامها الشموع حين يود كل إنسان أن يأوي إلى كهف في بطن الأرض من شدة توهج الشمس، وغير ذلك كثير مما حمل الفارياق

---

(١) المصدر السابق، ص (١٦).

على العجب»<sup>(١)</sup>.

انتقل الفاريق إلى مالطا ثانية، ليعمل عند المبشرين الأمريكيان والإنجليز، وتحول فيها إلى البروتستنتية، وترجم في عام ١٨٤٠م كتاب «الصلوات» الذي يضم مجموعة من الترايم التي تتلى في الكنائس البروتستنتية، قبل أن تدعوه جمعية الكتاب المقدس في عام ١٨٤٨م إلى ترجمة الكتاب المقدس من الإنجليزية إلى العربية، فسافر إلى إنجلترا وفرنسا، وأنجز ترجمة كاملة له، وصفها المطران يوسف الدبس بأنها «أدق ترجمة عربية للكتاب المقدس»<sup>(٢)</sup>، لكنها أهملت فيما بعد بسبب إسلامه، واستعيض عنها بترجمة الفانديك الشهيرة الآن بين يدي مختلف الكنائس العربية.

ترجمة الشدياق للكتاب المقدس جعلته من أعلم الناس بدقائق الكتاب وعيوبه وألغازه، ووضعت أمام ناظره الكثير من الإشكالات الدينية التي سيجمع الكثير منها في عام ١٨٦٥م في كتاب سمّاه: «مباحكات التأويل في مناقضات الإنجيل»، ويقارن فيه بين إنجيل متى والأنجيل الأخرى في ١٧٦ نصاً، فيثبت ما فيها من تناقضات وغرائب وأخطاء، ثم يختمها بقوله: «ولقد أحسن رئيس كنيسة رومية كثيراً في منعه العامة من تلاوة

(١) الساق على الساق، أحمد فارس الشدياق، ص (١٨٦).

(٢) نقلاً عن «أحمد فارس الشدياق»، محمد الهادي المطوي (١/٢٨٧).

هذه الكتب، فإن تاليها لا يلبث أن يرى ما فيها من المحال والمخالفة للواقع، ومن تلاها ولم يتبين له ذلك؛ فالأعمى أهدى منه سبيلاً»<sup>(١)</sup>.

كما كتب الشدياق بعد إسلامه كتاباً آخر يربو على ٧٠٠ صفحة في نقد الجزء الأول من الكتاب المقدس، أسماه: «المرآة في عكس التوراة»، وطلب من ابنه أن يحفظه؛ فلا يطبعه إلا بعد وفاته، فمات الكاتب، واحترق البيت، فضاع المکتوب.

وفي كتاب «الساق على الساق»، الذي كتبه الشدياق قبل إسلامه بستتين؛ كشف غيضاً من فيوض «المرآة» الضائع، فقد سطر فيه استنكاره لبعض ما جاء في الأسفار المقدسة من معلومات لا ترضيها مخابر العقول المنعقدة من أسر التقليد: «وقد ورد في التوراة حكاية عن الباربي تعالى أنه قال: «تكاثروا واملؤوا الأرض» على مبالغة فيه؛ فإن ملء الأرض بشراً يوجب خرابها، لا عمرانها»<sup>(٢)</sup>.

وكتب يسأل مستنكراً بعض المعلومات التوراتية المستقبحة عن الأنبياء: «أيجوز الآن لأمير الجبل إذا شاخ ولم يعد التدثر بالثياب يدفئه؛ أن يتكوى بنبت عذراء جميلة أي يتدفأ بها ويصطلي بحرّ جسدها كما فعل الملك داود؟ [انظره في الملوك (١) ١/١-٣] أم يجوز له إذا حارب الدروز وانتصر عليهم أن يقتل نساءهم المتزوجات

(١) مباحكات التأويل في مناقضات الإنجيل، أحمد فارس الشدياق، ص (١٤٤).

(٢) الساق على الساق، أحمد فارس الشدياق، ص (٤٩٨).

وأطفالهم ويستحيي أبكارهم؛ لتفجّر بهن فحول جنده كما فعل موسى بأهل مدين على ما ذكر في الفصل الحادي والثلاثين من سفر العدد؟ أم يجوز له أن يتزوج بألف امرأة ما بين ملكة وسرية كما فعل سليمان؟ .. أم يسوغ لأحد من الولاة أن يقتل من أعدائه كل رجل وكل امرأة وكل طفل رضيع كما فعل شاول بالعمالقة عن أمر رب الجنود؟ [انظره في صموئيل (١) ١٥ / ٢ - ٣]»<sup>(١)</sup> تعالَى اللهُ عن ذلك علواً كبيراً.

تحدث الشدياق يوماً إلى بعض جلسائه من أبناء دينه، فقال معلماً وموبخاً: «وأما الفهم فما إخالكم تفهمون ما تقرؤون في التوراة .. ما معنى العُرلة حين طلب شاول من داود أن يمهر ابنته مائة عُرلة<sup>(٢)</sup> من أهل فلسطين؟ فمضى داود وقتل منهم مائتين، وجاء بغُلفهم إلى شاول [انظره في صموئيل (١) ١٨ / ٢٧] .. ههنا نساء، وأخشى أن أفسر لكم معنى اللفظة فتنبض النساء»، وقد فسره مرة لهن، فما كان من إحدى النساء إلا أن أخذت الكتاب ورمت به الأرض، وقالت: «معاذ الله أن يكون هذا الكلام كلام الله»<sup>(٣)</sup>.

وفي كتاب «الساق على الساق» - وهو أحد أهم كتب الشدياق - يلحظ القارئ نقداً مريراً للنصرانية وكتبها وأحوال رجال دينها، وفي مقابله يظهر ميل واضح من

(١) المصدر السابق، ص (١٣٢).

(٢) العُرلة هي ما يقطع من عضو الذكر عند ختانه.

(٣) نقلاً عن أحمد فارس الشدياق، محمد الهادي المطوي (٢/٧٢٣).

الكاتب إلى الإسلام والمسلمين، فقد كتب يقارن بين المسلمين وقومه النصارى: «والظاهر أن جميع الإفرنج يجزعون عند المصيبة، ولا يفوضون أمرهم إلى الله، وإن تلبسوا بالعبادة، واتصفوا بالجرأة؛ على أنهم لا يكادون يُفجعون بموت أحد إلا ويتناسونه، فالاستسلام لقضاء الله إنما هو من خصوصيات المسلمين، وكفى بلفظة الإسلام دليلاً عليه»<sup>(١)</sup>.

وتحدث في «الساق» عن نصارى الشام وتأثرهم بعادات المسلمين الحسنة، فقال: «ومما ينبغي أن يذكر هنا أن النصارى المولودين في بلاد الإسلام الناهجين منهج المسلمين في العادات والأخلاق؛ هم أبداً دونهم في الفصاحة والأدب والجمال والكياسة والظرافة والنظافة؛ إلا أنهم [أي النصارى] أنشط منهم على السفر والتجارة والصنائع، وأكثر إقداماً وجلداً على تعاطي الأعمال الشاقة، وذلك أن المسلمين أهل قناعة وزهد، وفي النصارى شره عظيم»<sup>(٢)</sup>.

وحين ذكر الشدياق النبي ﷺ في مواضع عدة من كتابه «الساق على الساق»، فإنه كان يصلي عليه ويسلم تقديراً وإجلالاً، ولا يتردد في تسميته (النبي)، ومنها قوله متعجباً من تكبر الترك على العرب: «ولم أدر ما سبب

(١) نقلاً عن المطوي (٧٢٢/٢).

(٢) الساق على الساق، أحمد فارس الشدياق، ص (٢٠٥).

تكبر هؤلاء الترك هنا على العرب. مع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عربياً، والقرآن أنزل باللسان العربي، والأئمة والخلفاء الراشدون والعلماء كانوا كلهم عرباً؛ غير أنني أظن أن أكثر الترك يجهل ذلك. [ثم ذكر شيئاً من كلام الترك بلغتهم، وعقب بالقول:] لا والله، ما هذا كان لسان النبي ولا لسان الصحابة والتابعين والأئمة الراشدين رضي الله عنهم أجمعين إلى يوم الدين، آمين وبعده آمين<sup>(١)</sup>، فمثل هذا الكلام البديع لا يصدر إلا من محب مفتخر بالنبي ﷺ وأصحابه الكرام.

دعاه محمد صادق باشا باي تونس - وهو لقب للمتصرف فيها حينذاك - فزارها، والتقى فيها شيخ الإسلام في الديار التونسية محمد بن الخوجة، وجرت بينهما مباحثات، انتهت بإسلام الشدياق في عام ١٨٥٧م، فأضاف لاسمه اسم النبي ﷺ، ليصبح: «أحمد فارس الشدياق»، وليبدأ في الذود عن الإسلام عبر جريدته «الجوائب» التي غدت فنية لا غناء عنها عند المثقفين والسياسيين في عواصم الغرب والشرق.

وفي «الجوائب» نافح الشدياق عن الإسلام طويلاً، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق، فقد كتب في مسألة طال نقاش المثقفين حولها حينذاك، وهي مسألة تمدن الإسلام وملاءمته للمدنية الحديثة: «هل من مصغٍ أو سامعٍ

(١) المصدر السابق، ص (١٦٩-١٧٠).

أن في الناس من يدعي أن المنهج الإسلامي لا ينطبق على قواعد التمدن، وأهل هذا المنهج لا يُجوزون انفكاكه عنه»<sup>(١)</sup>.

وفي مقابله حذر الشدياق المسلمين من الانجرار بمظاهر التقدم في الغرب، والربط بينها وبين النصرانية، فإنك «إذا أمعنت النظر في كنه ديانة النصارى؛ وجدتها تنهى عن التمدن وعن الإقبال على المساعي الخطيرة؛ فإنه قد ورد في الإنجيل حكاية عن سيدنا عيسى أنه أمر تلاميذه بأن لا يهتموا بالغد.. ولأجله كانت النصارى في القرون الأولى زاهدة في الدنيا، لا تنهض إلى مكرمة، ولا تبالي بمحمدة، وهناك أيضاً آيات أخرى كثيرة في الأناجيل الأربعة وفي رسائل الحواريين مألها كمال الآية السابقة في الحض على الخمول والانزواء وعدم الحرص على المصالح المعاشية»<sup>(٢)</sup>.

ولما بلغ الشدياق خبر تنصر أحد المسلمين؛ كتب أن هذا المتنصر «من عامة الناس الذين لا يفرقون بين قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ وبين قول المزمير: «استيقظ يا رب . لماذا تنام» [انظره في المزمور ٤٤ / ٢٣] .. نحكم أن عدوله عن التوحيد إلى التثليث لم يكن عن بصيرة ورشد وبحث عن الحقائق، بل

(١) نقله المطوي عن «الجوائب» (٧٤٢/٢).

(٢) المصدر السابق (٢٢٠/١).

كان عن هوى النفس الذي ران عليه»<sup>(١)</sup>.  
ترك الشدياق مكتبة غنّاء في علوم العربية وأدب  
الرحلات، منها ما أشرنا إليه قبل من كتب مائة، ومنها  
أيضاً كتابه «الجاسوس على القاموس»، انتقد فيه معجم  
القاموس المحيط للفيروزبادي، وكتب في علم النحو  
«غنية الطالب»، و«سر الليال في القلب والإبدال»،  
و«اللفيف في كل معنى طريف»، وغيرها من الكتب التي  
تكشف عن موهبة بالغة وقلم سيال، وبالعلم النافع مدرار،  
كما كان الشدياق فارساً لا يجارى في عذوبة الشعر وجودة  
القصة والمقال، وفي ديوان شعره ما يربو على ٢٢ ألف  
بيت من أكاليل الشعر وعيونه، ونقتبس منه قوله:

الحق يعلو والصلاح يعمر  
والزور يُمحق والفساد يدمر  
والبغي مصرعه ذميم لم يزل  
آتيه عرضة كل سوء يثير  
والوغد تبطره من النعم التي  
يغنى بها الحرّ الكريم ويشكر

في عام ١٨٨٧م توفي أحمد فارس الشدياق في  
القسطنطينية، ونقل جثمانه إلى بيروت، وُصلي عليه بالمسجد  
العمرى بحضور جمع من الأعيان والأدباء.  
رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته.

(١) المصدر السابق، نقله عن «الجوائب» (٧٤٢/٢).

## البرفسور (عبد الأحد داود) بنجامين ديفيد

قليلون أولئك الذين يتركون بصماتهم في العلوم التي يتناولونها، والغالب من المؤلفين والكتاب يكتبون بترداد ما سبقه إليه الآخرون.

البرفسور عبد الأحد داود واحد من أولئك القليل الذين قدموا دراسات متميزة لا يقدر باحثٌ موضوع الجدل الديني على تجاهلها أو التغافل عنها.

ولا عجب، فعبد الأحد داود هو القس السابق ديفيد بنجامين، قس لاهوتي تربح على أعلى المراتب الأكاديمية واللاهوتية، كما أتقن (العبرية واليونانية) اللغات الأصلية للكتاب المقدس والتراث النصراني؛ إضافة إلى إلمامه بالعربية والفارسية والتركية.

ولد القس بنجامين في إيران في أواسط القرن الميلادي التاسع عشر، في أسرة نصرانية تنتمي إلى طائفة الكلدانيين التي تتبع الكنيسة الكاثوليكية<sup>(١)</sup>، وقد تلقى تعليمه الأكاديمي واللاهوتي في كلية «بروبو غاندافيد» في روما، قبل أن يصبح كاهناً في عام ١٨٩٥م، ثم يشيخ صيته من خلال كتاباته العلمية في الصحف والمجلات الدينية التي تسابقت إلى نشر مقالاته وأبحاثه.

عمل القس بنجامين منذ نشأته في الإرساليات التبشيرية البريطانية ثم الفرنسية، وزار روما وغيرها من

---

(١) رغم مخالفتها لها في بعض المعتقدات، كإنكار الكلدانيين للتثليث.

العواصم الأوربية، كما اختير لتمثيل طائفته في مؤتمر "القربان المقدس" الذي عقدته الطوائف الكاثوليكية في مدينة "باري لو مونيال" في فرنسا.

في اليوم الأول من القرن العشرين، ألقى القس بنجامين موعظة شهيرة، حضرها جمع غفير من النصارى، وكان موضوعها حث النصارى على نشر النصرانية وتجديد أساليبهم بما يناسب القرن الجديد، وقبل أن تتصرم أيام هذا العام؛ أوصلت الشكوك بالدين القس بنجامين إلى اتخاذ قرار مهم باعتزال العمل التبشيري بعد عزلة دامت شهراً؛ قضاه حبيس شكوكه وريبه، وأمضاها في بيته بين كتبه ومراجعته وتأملاته.

بدأ القس بنجامين تمرده على الكنيسة حين قلب النظر في عقيدة نصرانية مهمة، وهي الشفاعة والخلاص، إذ استشنت فطرته الزعم بأن الله لا يخلص أحداً من النار إلا بالمسيح الشفيع الذي يجمع بين الإنسانية والإلهية، وأن هذا الخلاص من الجحيم تم بصلب المسيح وعذاباته على الصليب تكفيراً لخطايا المذنبين!

وليس هذا فحسب، فثمة شفعاء كثر تدعو الكنيسة لطلب الخلاص على أيديهم، كمريم عليها السلام التي يعبدها الكاثوليك، ويتقربون إليها بتوسلاتهم وتضرعاتهم وصلواتهم؛ إضافة إلى عبادة الملائكة والحواريين والرهبان الذين يغفرون للناس في الكنائس ويتقبلون منهم نذورهم وقرابينهم وطقوسهم، ويعتقدون أن لا خلاص حتى لأصحاب الأعمال

الصالحة إلا بتدخل هؤلاء وشفاعتهم وصلواتهم.  
هذه المسألة كما يقول عنها القس عبد الأحد «هي التي حيرتني، وأورثتني الريب في صحة المسيحية، وساقنتني إلى البحث الدقيق وفحص أسس الأديان بحرية»<sup>(١)</sup>.. ذهن وقاد لا يقبل هزيمة القسس ولا يقتات الأوهام والسراب .. يحسبه الظمآن ماء.

الدراسات أوصلت القس الخريّت إلى أن هذا المعتقد يتعارض مع العدل الإلهي مرتين، أولاًهما: أنه يقتضي إفلات المجرم من العقاب بتدخل غيره لمصلحته، والثانية: إدانة وهلاك صاحب العمل الصالح الذي لن يجد وسيلة للخلاص - وفق المنظور الكنسي - إلا شفاعاة الشفعاء المزعومين الذين يحتفظون بهذا الحق؛ وهو ما يجعلهم - لو صدقوا - أولى بالشكر والدعاء من رب العالمين، يقول رحمه الله مستنكراً: «إلى من سيكون الخاطئ المعفو عنه والعتيق المخلّى سبيله أكثر امتناناً؟ وإلى من يكون مديناً بالشكر؟ إلى الله أم إلى المخلص؟ بالطبع إنه يحمل أكبر منّة وأكثر محبة نحو الشفيع المطلق، وبأي واسطة كانت فسيكون المجرم مديناً بالشكر إلى الأبد إلى الشفيع مخلصه من سكين الجلاد، من حيث يذكر القاضي بإهلاكه دائماً بصفات القهر وحب الانتقام»<sup>(٢)</sup>، وهكذا فالشفاعة المطلقة عن طريق البشر معتقد ينسب إلى الله تعالى زوراً: «الضعف

(١) الإنجيل والصليب، عبد الأحد داود، المكتبة الشاملة، نسخة إلكترونية.

(٢) المصدر السابق.

والجهل والظلم وسوء النية ..»<sup>(١)</sup>.

زار القس ديفيد بنجامين بريطانيا في عام ١٩٠٤م، وانتمى إلى جمعية دينية موحدة فيها، ثم عاد إلى إيران متوقفاً في استانبول ، فالتقى فيها بجملة من العلماء المسلمين، وعلى رأسهم شيخ الإسلام جمال الدين أفندي، وحاوهم وتباحث معهم، ولم يغادرها إلا وقد انصدع بالحق قلبه على غير ميعاد، وأعلن إسلامه، وتسمى بعبد الأحد داود.

سئل رحمه الله: كيف صرت مسلماً؟ فكتب معترفاً بفضل ربه ومولاه: «إن اهتدائي للإسلام لا يمكن أن يُعزى لأي سبب سوى عناية الله عز وجل، وبدون هداية الله فإن كل القراءات والأبحاث ومختلف الجهود التي تبذل للوصول إلى الحقيقة لن تكون مجدية ، واللحظة التي آمنت بها بوحدانية الله وبنبيه الكريم صلوات الله عليه ، أصبحت نقطة تحولي نحو السلوك النموذجي المؤمن»<sup>(٢)</sup>.

ألف العلامة البرفسور عبد الأحد داود كتابين فريدين

---

(١) وبخلاف الشفاعة المطلقة، فإن البرفسور عبد الأحد داود يقر بصحة الشفاعة المقيدة التي يعطيها الله للأنبياء والمرسلين وغيرهم من الصالحين، لكن ذلك كله مرهون برضا الله تعالى، وهم لا يشفعون إلا لمن رضي الله الشفاعة فيه ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (الأنبياء: ٢٨)، ولذلك فإن الناس يطلبون حاجتهم من الله؛ لا من الشفعاء الذين لا يقدر على الشفاعة إلا بإذن الله ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

(٢) الإنجيل والصليب، عبد الأحد داود ، المكتبة الشاملة ، نسخة إلكترونية.

في موضوعهما: أولهما «الإنجيل والصليب»، والثاني «محمد ﷺ في الكتاب المقدس».

أما الكتاب الأول فيحكي فيه الشق الأول من رحلته إلى الهداية؛ إذ يقول: «ولقد كانت نتيجة تتبعاتي وتحقيقي أن اقتنعت وأيقنت أن قصة قتل المسيح عليه السلام وصلبه ثم قيامه من بين الأموات قصة خرافية، وأن الأناجيل الأربعة مع كونها ليست تأليف المسيح ذاته؛ لم توجد في زمانه، بل وُجِدَت بعد وفاة الحواريين بزمن طويل، وأنها وصلت إلينا بحالة محرفة لعبت بها الأفلام، وبعد هذا كله اضطرت إلى الإيمان والاعتراف من كل عقلي وضميري بأن سيدنا محمداً ﷺ نبي حق، ولم أستطع التخلف عن ذلك»<sup>(١)</sup>، وقد أشبع رحمه الله ذلك تفصيلاً وتديلاً؛ بتتبع تاريخ كتابة الأناجيل وبيان أحوالها ومجهولية مؤلفيها.

وأما كتابه الثاني «محمد ﷺ في الكتاب المقدس» فهو الكتاب الأهم، وفيه أبدع البرفسور عبد الأحد في استخلاص البشارات بالنبي ﷺ من العهدين: القديم والجديد؛ اللذين يؤمن بهما اليهود والنصارى، ولم تستطع كُتبان التحريف ولا أحوال التبديل - التي تُلطخ كل صفحة من صفحاتهما - أن تعيق بحثه القيم، الذي كتبه معزراً بمعرفته الكتابية، وإجادته للغات القديمة التي كُتِبَ بها الكتاب المقدس؛ إضافة إلى

---

(١) المصدر السابق.

اطلاعه الكبير على مختلف الترجمات القديمة والحديثة،  
وقدرته على التحليل الصحيح.

فالقُرآن أخبر ببشارة الكتب السابقة بنبينا ﷺ: ﴿الَّذِينَ

ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ  
الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٤٦)، ومصداق هذه الآية لم  
يكن ليخفي على الخبير عبد الأحد داود، الذي لملم شعث  
هذه النبوءات من الأسفار المقدسة، وقدمها لقرائه في كتابه  
الماتع، فاسم النبي ﷺ (أحمد) يزين سفر النبي حجي في  
الإصحاح (٧/٢)، حيث تقول الأصول العبرانية لهذا السفر  
التوراتي «וְהָרַעַשְׁתִּי אֶת-כָּל-הַגּוֹיִם וּבָאוּ תְהַדְדֹת כָּל-הַגּוֹיִם  
וּמְלֹאֲתֵי אֶת-הַבַּיִת הַזֶּה כְּבוֹד אֱמֶר יְהוָה לְבָאוֹת»، ومنطوقها:  
«أوفاهو حِمَدات كول هاجوييم»، وترجمته الحرفية: «يأتي  
حِمَدات لكل الأمم»، فحِمَدات (תְהַדְדֹת) هو الصيغة العبرية  
لاسم النبي ﷺ (أحمد)، وقد أطبقت التراجم المختلفة  
للكتاب على إخفائه وتحريفه، فاعتبرت كلمة «حِمَدات»  
صفة؛ لا اسماً، وترجموها في التراجم العربية: «ويأتي  
مشتهى كل الأمم»<sup>(١)</sup>، إنه محمد ﷺ.

كما ذكرت الأسفار المقدسة - عند اليهود والنصارى -  
النبي ﷺ في نص آخر، وذلك في القول المنسوب إلى

(١) محمد ﷺ في الكتاب المقدس، عبد الأحد داود، ص (٥٠-٥١)، ويستدل  
لصححة قوله بنقل النص العبري لقوله: «لا تشته بيت جارك» (الخروج  
١٧/٢٠)، وهو في العبرية «لو تحمود بيت ريعيخا».

النبي يعقوب عليه السلام، فقد جمع أبناءه وأخبرهم بما يصيهم في آخر الأزمان، فقال: «لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجله حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب» (التكوين ٤٩/١٠)، والنص في ترجمة "البشيتا" السريانية: «حتى يأتي الشخص الذي يخصه»، أي الملك والشريعة، وتفسيره نبوءة صريحة عن نبي من غير بني إسرائيل، ينتهي بمجيئه قضيب يهوذا، أي يزول أحقية ملوك بني إسرائيل - الذين هم من سبط يهوذا - بالملك الذي قد زال عنهم حقيقة من قبل ذلك، وكذلك تنسخ بمقدمه ﷺ شريعتهم بشريعته الجديدة، وهو ﷺ «شيلون» الذي تخضع له الشعوب، فقد دان لأمتة العرب والروم والفرس، وخفقت راياته على أقاصي الدنيا شرقاً، وأمواج بحارها غرباً<sup>(١)</sup>.

واسم (شيلون) - بحسب العلامة عبد الأحد - مشتق من إحدى الكلمات العبرانية (شَلَه) التي تعني المسالم أو الهادئ، أو من كلمة (شَلوه) التي تعني المرسل، أو (شيلواح) التي تعني رسول الله<sup>(٢)</sup>؛ وأياً كان الاشتقاق الصحيح للكلمة (شيلون)؛ فإن النبي ﷺ هو الشخص الوحيد الذي تنطبق عليه النبوءة التوراتية التي لن يجد أهل الكتاب في سجلات التاريخ الإنساني الطويل من حقتها،

(١) انظر المصدر السابق، ص (٨١).

(٢) انظر المصدر السابق، ص (٧٩-٨٠).

فبيعته ﷺ رفع الله من بني إسرائيل التفضيل الذي أعطاهم بسببه الحكم والشريعة (قضييب، مشترع) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَعَايَنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا يَبْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الجاهلية).

ومن النبوءات التي يراها القس المهتدي دالة على نبوة النبي ﷺ، ما جاء في مطلع الإصحاح الثالث من سفر ملاخي من بشارة بمجيء نبي يسميه السفر (ملاك العهد الذي ينتظره بنو إسرائيل)، فيقول: «هأنذا أرسل ملاكي، فيهيء الطريق أمامي، ويأتي بعتة إلى هيكله: السيد الذي تطلبونه، وملاك العهد الذي تُسْرُونَ به، هو ذا يأتي، قال رب الجنود»، فملاك العهد - بحسب البرفسور عبد الأحد - هو محمد ﷺ الذي قدم إلى المسجد الأقصى فجأة في يوم الإسراء والمعراج<sup>(١)</sup>.

أربعون سنة قضاها عبد الأحد داود في الإسلام، وفي عام ١٩٤٠م رحل عن الدنيا رحمه الله، وقد أبلى فيها بلاء حسناً، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وجمعنا به في الصالحين.

(١) انظر المصدر السابق، ص (٥١-٥٢).

## الدكتور عبده عبد الملك إبراهيم

في الربع الأخير من القرن الميلادي التاسع عشر؛ ولد عبده إبراهيم عبد الملك لأبوين أرثوذكسيين في القاهرة، ونشأ في رحاب أسرة ثرية تمكنت من تعليمه في زمن عُسُر فيه على الكثيرين تحصيل نهمهم من العلم والدراسة والتحصيل.

وخلال دراسته في المرحلة الثانوية؛ صحب عبده إبراهيم كلاً من محمد توفيق صدقي<sup>(١)</sup> وأحمد نجيب برادة، فمكث الثلاثة ساعاتٍ طويلاً يدرسون معاً في غرفة صغيرة في بيت محمد صدقي، لا يفرق اجتماعهم إلا قيام صاحبيه للوضوء والصلاة، بينما يكتفي عبده بالنظر إليهما، ويتساءل في قلبه عن الحقيقة التي يحبها الله، هل تمثلت في الإسلام دين صديقيه الذي يجهله؟ أم في دينه النصرانية الذي أخطأ طريقه بسبب ما نشأ عليه وتربى؟ وتمنى لو تمكن - وهو المحب لصديقيه - أن يقدم لهما طوق النجاة بدلالتها على عبادة المسيح بدلاً عن عبادة الله.

دفع الفضول عبده ذات يوم ليتوضأ مع صديقيه، وسألهما عن أسرارهم وفلسفتهم، فلم يظفر منهما بجواب مفهم، فليس المسؤول بأعلم في دينه من السائل، وحال

---

(١) قدم الدكتور محمد توفيق صدقي كتاباً مهماً في الجدل الإسلامي المسيحي، بعنوان «دين الله في كتب أنبيائه»، وله مقال مهم في نقض حادثة الصلب، نشره الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه «عقيدة الصلب والفداء».

الشابين كحال كثير من المسلمين الذين لا يعرفون عن دينهم إلا النذر اليسير.

جواب صديقيه - الذي لا جواب فيه- دفع عبده لمصارحتهما بأنهم جميعاً مقلدون، فعنده نصراني لم يختر النصرانية، بل رُبِّي عليها منذ طفولته، وكذلك حال صاحبيه، فهما مسلمان لا يعرفان عن دينهما إلا القليل ، ولذلك صارحهما بأنه «لا خير فينا ما لم ندرك حقيقة ما نختار، فهلاً تعاهدنا جميعاً على البحث في حقائق الدين وأسباب ما نحن عليه من خلاف؛ على الرغم مما نحسه جميعاً من حب وود يجمعنا»، وهكذا تعاهد الأصدقاء الثلاثة على الخروج من عباءة التقليد إلى الترويج بتاج العلم والتحقيق، والجد في البحث عن الدين الحق.

بعد سنوات من المطالعة والدراسة في كتب الأديان والتباحث مع العلامة الشيخ محمد رشيد رضا؛ توقدت معالم الإيمان في قلب عبده ، وفي ردهات كلية الطب؛ أسرَّ لصاحبيه برغبته في الدخول في الإسلام ، حيث حرك الإيمان في كوامنه منظرُ الجثث الأدمية التي يتفحصها وزملاؤه في حصة التشريح؛ فكل شيء حوله يدعو إلى تعظيم الله والإيمان بالخالق، وتنزيهه عن أن يكون إنساناً وفق معتقد النصارى.

استجاب عبده إبراهيم لنصيحة صاحبيه؛ فأخفى إسلامه حذراً من سطوة والده وعقوبته التي تنذر بتوقف مسيرته في كلية الطب، فبقي سنتين يصلي سراً في غرفته،

ويهرب من موائد أهله طوال نهار رمضان بالمكث بعيداً عنهم ، لكن سره ما لبث أن انكشف حين نسي مصحفه في معطفه، ثم فشا حين رآه أخوه ووالدته وهو يصلي في غرفته خلسة، ثم كان صيام رمضان ثالثة الأثافي التي وضعت الشاب أمام اختبار عسير يفوق الاختبار الذي يستعد له في دراسته للسنة النهائية في كلية الطب.

ماج والد عبده وهاج، فنثر ما في كنانته من كلمات قاسية وقعت على الابن كالسياط: أيها الابن الضال، كيف تترك دين الآباء والأجداد، أترك أعلم به منهم؟

منطق بليد نعاه القرآن على الكفار إذ قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَأْتَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٣)، واجهه عبده بثبات تذوي أمامه الجبال ، حين أعلن الشاب المؤمن تمسكه بدينه، وتمنى على والديه وإخوته مشاركته طريق الهداية الذي سلكه بعد طول دراسة وبحث مقتدياً بإبراهيم عليه السلام حين قال لأبيه: ﴿يَتَّبِعْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (٤٣) ﴿يَتَّبِعْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (مريم ٤٣-٤٥).

ضرب والد عبده أخماساً بأسداس، وقرر الاستعانة بالقسس لمناظرة الابن الضال ولردّه إلى شعب الكنيسة سالكاً مسلك فرعون حين تحدّى موسى عليه السلام، ودعاه للنزال: ﴿فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ

مَكَانًا سُوَّى ﴿ طه: ٥٨ ﴾، وفي اليوم الموعد اجتمع القسس لمناقشة الشاب الذي تزود للمناظرة بتوجيهات الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله، وقراءة كتابي «إظهار الحق» لرحمة الله الهندي، و«مقامع الصلبان» لأبي عبيد الخزرجي.

أذهل الشاب محاوريه من القسس على مدى ثلاثة أيام، فقد حاورهم بحجة بينة وبرهان واضح، وأثبت لهم أن أصول المسيحية مستنسخة من الأمم الوثنية قبل النصرانية، وكشف لهم من عوار دينهم بقدر ما اتسعت ساعات الحوار لتبيانه وجلائه، فلم يجدوا بين يدي أسئلته وأجوبته إلا اتهامه بالجنون وصب اللعنات الأبدية عليه، ليخرج عبده من بيت أبيه شريداً طريداً، ويأوي إلى غرفة صديقه محمد صدقي؛ ساكناً لا زائراً.

هذا البلاء كان قاسياً على الشاب الذي يوشك أن يصبح طيبياً، لكنه - على كل حال - أهون من قسوة الكفر وسياطه التي تؤرق الباحث عن الحقيقة، فيستعذب عذاباته، ويراهها ضريبة محمودة للإيمان الذي يورث طمأنينة القلب، وسعادة الدنيا والآخرة: ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (العنكبوت: ٢-٣).

تزوج الدكتور عبده إبراهيم من ابنة الشيخ الأزهري عبد الحميد مصطفى، ورزق بأول أولاده، وفاجأ الجميع

بتسميته (عيسى)، اسم يحبه المسلمون ولاريب؛ إذ هو اسم نبي من أعظم الأنبياء والمرسلين، ولكن اختيار الدكتور عبده هذا الاسم لابنه من بين سائر أسماء الدنيا؛ آثار حوله الشكوك، فتغامز الشاكون وتساؤوا: هل تراه يراوده الحنين إلى دين الآباء؟ ولم لا يشكُّون وقد تعززت مظانهم بزيارة أهله النصرارى له وتهنئتهم بالمولود (عيسى) الذي التقطوا من اسمه ما ظنوه علامة على عوده إلى دينهم من جديد؟

عاتبه الشيخ عبد الحميد على هذا الاختيار المريب، لكن سرعان ما بدد الطبيب الشكوك بقوله: «لكم دعوتُ الله أن يرزقني ابناً أسميه عيسى، ليكون اسمه تذكيراً بشهادة التوحيد لله تعالى، فكلما ناداه منادٍ (عيسى عبده)، أو ذكره - غائباً كان أم حاضراً -؛ كان في ندائهم باسمه شهادةً على أن الله هو الإله وحده، وأن عيسى عليه السلام عبده فحسب، فليس هو الله، ولا ابنه».

وسيطول عجب القارئ إذا علم أن كتب النصرارى - رغم ما فيها من تحريف وتبديل - صريحة في أن المسيح عبده لله، فقد سماه سفر إشعيا (عبدى) في النبوءة المزعومة عنه «هوذا عبدى الذي أعضده» (إشعيا ٤٢/١)، وكذلك حكى الأناجيل التي يؤمنون بها - في مواضع كثيرة - عن عبودية عيسى لله وتذللته في عبادته كسائر البشر، وأختار منها - على سبيل التمثيل - ما حكاه مرقس في إنجيله: «وكان يصلّي هناك» (مرقس ١/٣٥)، وفي إنجيل لوقا أن

المسيح «جثا على ركبتيه وصلى» (لوقا ٢٢/٤١)، وأنه «خرج إلى الجبل ليصلي، وقضى الليل كله في الصلاة لله» (لوقا ٦/١٢) فالمسيح عبد لله يصلي بين يديه كسائر عباد الله المؤمنين.

وإذا كان كذلك، فلم يعبد النصارى المسيح العابد لله، ولا يعبدون معبوده، الله خالق السماوات والأرض؟ ولأن الدنيا لا تدوم على حال؛ فقد دارت الدوائر على والد الدكتور عبده، وقلبت حاله من غنى إلى فقر؛ فاحتاج إلى مساعدة ابنه في دين كاد يسلبه بيته، فما كان من الابن المسلم المتشبع بقيم الإسلام إلا أن مدَّ لأبيه يد العون، وأعطاه ثمانمائة جنيهًا ذهبيًا، عطاء كبير لامه عليه الشيخ عبد الحميد وابنته التي رأت محصلة السنين تؤول إلى والد زوجها الكافر، الذي كان قد طرد ابنه وشرَّده حين أصر على إسلامه.

لكن حجة الدكتور عبده التي أدلى بها بين يدي زوجته وأبيها، كانت الأقوى والأسمى، فدفعه المال لأبيه الكافر هو امتثال محمود لما تعلمه من آيات القرآن الكريم التي توصي بحسن صحبة الوالدين؛ ولو كانا كافرين جاهدين في إضلال ولدهما وردّه عن دينه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ

سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تَعَالَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤-١٥﴾

توفي الدكتور عبده إبراهيم في القاهرة قبل بلوغه سنَّ الأربعين، فقد سرت حمى التيفوئيد في مِحْلة عمله، وانتقلت إليه العدوى من مرضاه في المستشفى، ليلقى الله عز وجل في عام ١٩١٨م، وقد أهدى الدنيا علماً من أهم أعلام النهضة الإسلامية في القرن العشرين، إنه ابنه الدكتور عيسى عبده عبد الملك ، أحد أشهر علماء الاقتصاد الإسلامي الحديث، وصاحبُ فكرة إنشاء البنوك الإسلامية التي ازدهرت وتحولت من فكرة إلى حقيقة بفضل محاضراته ومؤلفاته التي بلغت الثلاثين كتاباً.

كما رزق الدكتور عبده بابنه الدكتور محمد عبده عبد الملك؛ أستاذ الهندسة بجامعةات سويسرا، وصاحب الأبحاث العلمية النافعة في تقنية (تحلية مياه البحر).

رحم الله الدكتور عبده إبراهيم، وهنيئاً له ما قدمه لأُمَّته المسلمة من أبناء ، ونسأل الله أن يشملنا وإياه برحمته، إنه جواد كريم.

\* \* \*

## المستشرق (ناصر الدين) ألفونس إيتين دينيه

لن يكون مفاجئاً أن يصل إلى الإسلام فنان موهوب وكاتب أريب يوازي ألفونس إيتين دينيه الذي تزين لوحاته البديعة متاحف أوروبا ومعارضها؛ شاهدة بذوقه الرفيع المرهف الذي توجّه بالدخول في الإسلام ونصرته.

وُلد ألفونس إيتان دينيه في (باريس) عام ١٨٦١م لأبوين نصرانيين كاثوليكين، ربياه على حب الدين والتردد على الكنيسة، ليدرس فيما بعد في كلية الفنون الجميلة في باريس، وسرعان ما ظهرت موهبته، فغزت أعماله الفنية جدران المعارض، وزاحمت الفنانين الموهوبين في أروقة المتاحف، لتتوالى عليه الأوسمة والجوائز التي كان منها: الوسام الفضي الذي ناله في المعرض العالمي المقام بباريس عام ١٨٨٩م.

توالي النجاحات في حياة دينيه الدنيوية لم يبدد قلقاً كامناً يعتلج في جوانحه كلما تأمل في معتقده، ويطرّد كلما قلب الفكر في صفحات كتابه المقدس، ففطرته السوية لا تقدر على تقبل فكرة الغفران الكنسي بدم المسيح البريء، كما يرفض عقله الكبير فكرة عصمة البابا، وبيته في فهم مراده ومراد أتباعه في شخص المسيح عليه السلام، هل هو الله؟ أم ابنه؟ أم هو بشر فحسب؟

وكم تساءل دينيه: كيف يكون المسيح إلهاً، والإنجيل شاهد بعدم معرفته عليه الصلاة والسلام بموعد الساعة؟

«وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن؛ إلا الآب» (مرقس ١٣/٣٢).

رجع ألفونس دينيه إلى الإنجيل، فأصابه بالصدمة ما قرأ فيه عن المسيح عليه السلام، حيث تسيء إليه الأناجيل، فظهره مرة بمظهر العاق لأمه (يوحنا ٤/٢)، ثم تقدمه مرة أخرى في صورة الشخص الجافي الذي لا يتوانى عن لعن شجرة تين أتاها فلم يجد بها ثمرًا (انظر متى ٢١/١٩ - ٢٠)، ثم تبَّغ الرزية غايتها في قصة المرأة الكنعانية التي جاءت تستشفى لابنتها، فأسمعها المسيح - بحسب الرواية الإنجيلية - أقسى العبارات العنصرية: «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة... ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب» (متى ١٥/٢٥-٢٧).

وزاد من ألم ألفونس إيتين وشقائه القول الذي ينسبه لوقا للمسيح «إن كان أحد يأتي إليّ، ولا يبغض أباه وأمه وأولاده وإخوانه، حتى نفسه أيضاً، فلا يقدر أن يكون تلميذاً» (لوقا ١٤/٢٦ - ٢٧)<sup>(١)</sup>.

الدراسة والبحث أوصلتا دينيه إلى نتيجة يلخصها أن «الديانة الكاثوليكية لا تحتل البحث والمناقشة، وقد أظهرت الأدلة العديدة - سواء أكانت اخلاقية أم تاريخية أم علمية أم لغوية أم سيكلوجية [سلوكية] أم دينية - أن

---

(١) أشعة خاصة بنور الإسلام، ناصر الدين دينيه؛ نقلاً عن «أوروبا والإسلام»، ص (٨٨-٩٢).

الكاثوليكية ملائ بالآغلاط الواضحة»<sup>(١)</sup>.

حاول دينيه التغلب على قلقه بإعمال عقله في البحث عن الحقيقة، لكن أعياه الوصول إلى الحقائق الكبرى بغير هدي النبوة وسناها، فالعقل الإنساني محدود، وهو عاجز عن السير بمفرده في غياهب الغيبات التي طاشت عندها عقول من سبقه من العقلاء.

تلقت دينيه حوله فوجد الكثيرين من الحيارى من أبناء جنسه قد وجدوا ضالته في الإسلام، فاعتنقوه، ومنهم اللورد هيدلي الذي يقول: «إنني اعتقد أن هناك آفاً من الرجال والنساء أيضاً مسلمون قلباً، ولكن خوف الانتقاد والرغبة في الابتعاد عن التعب الناشئ عن التغيير؛ تأمرا على منعهم من إظهار معتقداتهم»<sup>(٢)</sup>.

وقعت بين يدي دينيه - ذات مرة - مجلة «المجلة الإسلامية»، وهي مجلة شهرية يصدرها مسلمون أوروبيون، فقلب صفحاتها متمعناً في مقال عنوانه «لماذا أسلم بعض الإنجليز وغيرهم من الأوروبيين؟».

وقد أجاب كاتب المقال: «لأن الأوروبيين يتلمسون عقيدة سهلة معقولة علمية في جوهرها، لأننا معاصر الإنجليز نتبجح بأننا أكثر أهل الأرض تشبهاً بالعمل، عقيدة

---

(١) أشعة خاصة بنور الإسلام، ناصر الدين دينيه؛ نقلاً عن المصدر السابق، ص (٩٥).

(٢) أشعة خاصة بنور الإسلام، ناصر الدين دينيه؛ نقلاً عن المصدر السابق، ص (١٧٥).

تكون ملائمة لأحوال جميع الشعوب وعاداتهم وأعمالهم، عقيدة دينية صحيحة يقف بها المخلوق أمام الخالق؛ بدون أن يكون بينهما وسيط»<sup>(١)</sup>.

تساءل ألفونس دينيه عن إمكانية أن يكون الحق في الإسلام كما يزعم صاحب المقال، ثم حمل حقيته في عام ١٨٨٤م ميمماً شطر الجزائر والمغرب العربي، فتنقل بين مدائنهما، وتحدث وناقش أهلها متأملاً في معاشهم ودينهم؛ فاكشف بطلان ما زعمه المستشرقون حول الإسلام: «العقيدة المحمدية لا تقف عقبة في سبيل التفكير كما كان يروج الكثير من المستشرقين، فمن الممكن أن يكون المرء صحيح الإسلام، وفي الوقت نفسه حر التفكير»<sup>(٢)</sup>.

أحب دينيه الجزائر وأهلها، وأعجب بدينها، واستوطن مدينة بوسعادة منذ عام ١٩٠٥م، وفيها أعمل ذهنه في إجراء المقارنات بين الإسلام والمسيحية، واستطاع تسجيل مفارقات مهمة، منها:

- أن النصرانية لا تستنكف عن تصوير الله (ياهو) على جدران كنائسها؛ بينما لا يجروء مسلم على نحت أو رسم صورة لله الأحد الصمد الذي ليس له شبيه، ولم يكن له كفواً أحد.

---

(١) محمد رسول الله، ناصر الدين دينيه؛ ص (٤٠٢).

(٢) أشعة خاصة بنور الإسلام، ناصر الدين دينيه؛ نقلاً عن «أوروبا والإسلام»، ص (٩٩).

- ومنها أن الإسلام هو دين العلم والحضارة ، وأعجبه قول المسيو كازانوف: «نبي الإسلام هو القائل بأن فضل العلم خير من فضل العبادة. فأى رئيس ديني كبير أو أي قس من القساوسة العظام كانت له الجرأة أن يقول مثل هذا القول القوي الفاصل المتين؟!»<sup>(١)</sup>، وقد شكلت تلك الكلمات النبوية منطلقاً لحضارة المسلمين التي ينقل دينيه نماذج من إبداعها في فنون العمارة والرياضيات والفلك والجغرافيا والطب والجراحة، وهي علوم استقت منها أوروبا في فجر انطلاقتها الحديثة، وقد «أدهشت كل تلك العجائب عقول أوروبا حتى في أعنف أيام عدائهم للإسلام»<sup>(٢)</sup>.

ومما أدهش دينيه في حضارة المسلمين، ما رآه من قيم الفروسية عند المسلمين ، فبينما كان الغرب يتغنى بفروسية سانت لويس؛ فإن العالم بارتلمي سانت هيلر يقول في كتابه «الشرقيون وعقائدهم»: «العرب هم الذين يرجع إليهم الفضل على سادات أوروبا وفرسانها في القرون الوسطى في تعديل عاداتهم الخشنة وتلطيفها ، ثم تعليمهم رقة العاطفة ، وتهذيب نفوسهم، والرفعة بها إلى حيث الإنسانية والنبيل»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) أشعة خاصة بنور الإسلام، ناصر الدين دينيه؛ نقلاً عن المصدر السابق، ص (١٠٥).

(٢) محمد رسول الله، ناصر الدين دينيه؛ ص (٣٧٢).

(٣) أشعة خاصة بنور الإسلام، ناصر الدين دينيه؛ نقلاً عن «أوروبا والإسلام»، ص (١٠٦).

ويضرب دينيه مثلاً لذلك الخلق الرفيع بما صنعه والي قرطبة (١١٣٩ م) حين حاصر طليطلة، فأرسلت إليه الملكة بيرنجير أن ليس من المروءة والفروسية أن يحارب الفارس النبيل امرأة ، فرجع الأمير الأندلسي إلى قرطبة وكف عنها<sup>(١)</sup>، ليكونَ وأبناءً حضارته أساتذة أوروبا في الخلق النبيل، فيستوجب صراخاً عالياً ملؤه الألم والحسرة والشعور بالخيبة من القس ميشون في كتابه «سياحة دينية في المشرق»: «إنه لمن المحزن بالنسبة إلى الدول المسيحية؛ أن يكون المسلمون هم الذين علموها مبادئ التسامح الديني، الذي هو الناموس الأكبر للرحمة والإحسان بين الأمم»<sup>(٢)</sup>.

رحلة البحث عن الحقيقة وصلت إلى محطتها الأخيرة في عام ١٩١٣ م ، حين أعلن ألفونس دينيه إسلامه في مدينة الجزائر في حفل بهي حضره مفتي الجزائر، وتسمى بناصر الدين، وقال: «لم يكن اعتناقي الإسلام وليد الصدفة، بل عن دراية تامة، ودراسة تاريخية عميقة طويلة الأمد لجميع الديانات»، وقال: «عرفت الإسلام فأحسست بانجذاب نحوه وميل إليه، فدرسته في كتاب الله، فوجدته هداية لعموم البشر، ووجدت فيه ما يكفل خير الإنسان روحياً ومادياً، فاعتقدت أنه أقوم الأديان لعبادة الله، واتخذته ديناً، وأعلنت ذلك رسمياً على رؤوس الملائم».

(١) محمد رسول الله، ناصر الدين دينيه؛ ص (٣٧٩).

(٢) المصدر السابق؛ ص (٣٨٨).

ناصر الدين اسم على مسمى؛ فبعد إسلامه كتب ناصر الدين مجموعة من الكتب الرائعة التي تذب عن الإسلام وتنصره، وفي طليعتها كتابه «محمد رسول الله»، وقد كتبه بعد سنتين من إسلامه؛ بالاشتراك مع صديقه الجزائري سليمان بن إبراهيم باعمر، وفضحا فيه طرائق المستشرقين في التأليف، وزيف دعواهم في الحياض الموضوعي، فد«الصرح الذي شيده المستشرقون في سيرة الرسول إنما هو صرح من الورق قد أقيم على شفا جرف هار»، لذا أعرض ناصر الدين عن كتاباتهم، فلم يضمنها في مراجعه: «لن يجد القارئ بين دفتي هذا السفر شيئاً من تلك المذاهب الغربية الغالية التي تعمل على هدم السنة التي شغف بها حباً أولئك المستشرقون المعاصرون بما لهم من غرام بكل ما هو بدع من الرأي أو غريب؛ على أن تلك المبتدعات التي دخلت عن هذا الطريق .. قد أتاحت لنا أن نكشف عن أنها كانت أحياناً وليدة كراهية شديدة للإسلام؛ يصعب التوفيق بينها وبين العلم، ولا تليق بعصرنا هذا»<sup>(١)</sup>.

لقد استبدلها ناصر الدين بالمراجع الإسلامية الأصيلة - وبخاصة سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد - وكشف عن سر الفيروس الذي يعطب أقلام المستشرقين، ويصيبها بجنون القلم، فهم يؤمنون ب«منهج العكس .. يأتي

---

(١) المصدر السابق؛ ص (٥٣-٥٤).

[المستشرق] إلى أوثق الأخبار وأصدق الأنباء، فيقلبها متعمداً إلى عكسها، وكلما كان الخبر أوثق؛ بدت - قوية جامحة- الرغبة في البراعة في ذلك.. معتمداً على مبدأ يقول: (إن البشر يعملون على كتمان عيوبهم والظهور بنقيضها)<sup>(١)</sup>، وضرب ناصر الدين لذلك أمثلة، منها ما صنعه المستشرق البلجيكي هنري لامانس، الذي وصف النبي ﷺ في كتابه «هل كان محمد صادقاً؟» بأنه أكل؛ عكساً لما جاء في السنة عن زهد النبي ﷺ وطول جوعه، وكثرة صيامه، وقلة الطعام في بيته!!.

وكذلك لم يستح لامانس من وصف النبي ﷺ بأنه نؤوم، وفق فهمه المعكوس لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ﴾ (المزمل: ٢٠) وعكساً لما جاء في سيرته العطرة ﷺ من تورم قدميه لطول القيام.

وفي مقابل هذا؛ فإن المنصفين من المستشرقين سجلوا شهادات مضادة، منها قول المؤرخ الشهير غوستاف لوبون: «إذا كانت قيمة الرجال تقدر بعظمة أعمالهم؛ فإنه يكون من المستطاع أن تقول: إن محمداً كان من أعظم الشخصيات التي عرفها التاريخ»<sup>(٢)</sup>.

كما ألف دينيه في الفكر والدين كتابه: «أشعة خاصة

(١) أشعة خاصة بنور الإسلام، ناصر الدين دينيه؛ نقلاً عن «أوروبا والإسلام»، ص (١٢٨).

(٢) محمد رسول الله، ناصر الدين دينيه؛ ص (٣٥٨).

بنور الإسلام»، وفيه شرح مسهب لما أعجبه في الإسلام، وألّف كذلك «الشرق كما يراه الغرب» و«محمد رسول الله»، وكتابه في الرد على لامانس «إنك في واد ونحن في واد».

ولدينيه في الأدب مجموعة من الكتب، وهي «حياة الصحراء» و«السراب»، و«شعر عتتر»، و«آفات الألوان»، و«لعبة الأضواء»، و«ربيع القلوب».

وأما آخر كتب دينيه «الحج إلى بيت الله الحرام»، فقد كتبه قبل وفاته بشهور، فقد حج في عام ١٩٢٩م، ثم كتب هذا الكتاب الذي وصفه الأمير شكيب أرسلان بأنه «من أبداع ما كتب في هذا العصر»، وقدم فيه نقداً للكتابات الاستشراقية عن رحلة الحج، وضمنه دينيه مشاعر فياضة غمرته بين جنبات البيت العتيق وأمام قبر النبي ﷺ.

وقبل أن تغيب شمس الأسبوع الأخير من عام ١٩٢٩م، توفي ناصر الدين في مرسيليا الفرنسية، ونقل جثمانه إلى الجزائر ليُدفن في بوسعادة؛ إنفاذاً لوصيته: «يجب أن تشيع جنازتي طبقاً للتعاليم الإسلامية، لأنني اعتنقت الإسلام بكل إخلاص منذ عدة سنوات، وكرست كل منجزاتي ومجهوداتي لتمجيد الإسلام.. يجب أن تدفن جثتي في المقبرة الإسلامية بمدينة بوسعادة التي أنجزت فيها القسم الأعظم من لوحاتي»<sup>(١)</sup>.

(١) منشور صورتها بخطه على شبكة الإنترنت. انظر: ملتقى البشارة الدعوي.

رحم الله دينه القائل: «لقد أكد الإسلام من الساعة الأولى لظهوره أنه دينٌ صالحٌ لكل زمان ومكان ، إذ هو دين الفطرة ، والفطرة لا تختلف في إنسان عن آخر، وهو لهذا صالح لكل درجة من درجات الحضارة»<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

---

(١) محمد رسول الله، ناصر الدين دينه ص (٣٤٥).

## (محمد أسد) ليوبولد فايس

لم يكن اليهودي ليوبولد فايس بعيداً في فهمه للإسلام عما كان رائجاً في بداية القرن العشرين في موطنه النمسا وغيرها من بلدان أوروبا، حيث تشيع صورة نمطية مغلوطة تفتت على المسلمين تأثراً بالكتابات والتجيش الفكري الذي أفرزته الحروب الصليبية عن الإسلام.

درس ليوبولد فايس الفلسفة والفن في جامعة فيينا، ثم اتجه للصحافة، وعمل مراسلاً لوكالة أنباء اليونايتد تلغراف.

دعاه خاله الدكتور دوريان لزيارته في القدس في عام ١٩٢٢م، فكانت أول زيارته إلى المشرق الإسلامي، وخلال وجوده في القدس خاض ليوبولد الكثير من الحوارات مع إخوانه اليهود حول أحقية الشعب اليهودي في أرض فلسطين، ولكم فاجأهم بأسئلته المنطقية التي أكدت سبق العرب إلى بناء الحضارة على هذه الأرض واستحقاقهم للعيش عليها بحرية وكرامة، لقد رفض ليوبولد - رغم يهوديته - سرقة الأرض من أصحابها تحت ذريعة عنصرية بغیضة.

محطات مهمة في حياة ليوبولد نبهته إلى ما يكتنزه الإسلام من قيم لا غناء للعالم عنها، وبخاصة الغرب الذي فقد بعد الحرب العالمية الأولى كثيراً من القيم والمعاني، وتحول الناس إلى الانغماس الدنيوي والبحث عن الرخاء والمصالح الخاصة، وتناسي القيم الدينية والروحية.

في القدس رأى ليوبولد المسلمين وهم يصلون، فتساءل عن فائدة هذه الحركات الجسدية، وكيف لها أن تهذب الروح، وسأل صديقه العجوز (الحاجي) : أما كان الأولى من ذلك الاكتفاء بساعة صفاء روحي؟

فأجابه الرجل ببساطة: الله خلق الجسد والروح معاً، أيجسن أن تعبده أرواحنا وتمتنع عن ذلك أجسادنا؟ إجابة مقنعة شافية، طرّب لها ليوبولد، فقد كشفت له عن ثنائية الربط بين الروح والجسد في القرآن، إذ لا فصل بينهما، فالإنسان روح وجسد يترابطان بغير تناقض ولا انفصال.

رفض ليوبولد الاستسلام للفكرة الشائعة عند الغربيين التي تربط بين الإسلام وما تعانیه بلاد المسلمين من مظاهر التأخر والتخلف التقني، ورأى أن الموضوعية والإنصاف يفرضان عليه قراءة القرآن والاطلاع عليه، فعكف على قراءته وغيره من الكتب الإسلامية خلال زيارته لدمشق، ليكتشف البون الكبير بينه وبين كتب أهل الكتاب، فالقرآن يختلف عنها، فليس فيه خطيئة أصلية يرتكبها أبو البشرية آدم فتكبل الجنس البشري من بعده إلى قيام الساعة، فيولدون مسربلين بالخطيئة معاقبين عليها، وهم الذين لم يحضروها، ولم يكن لهم رأي فيها.

وليس في الإسلام رجال دين يقومون بدور الوسيط بين الله وخلقه صعوداً ونزولاً، فما من أحد يغفر للمذنب إلا الله، وما من حاجة للعبد إلى وسيط يرفع من خلاله دعواته إلى الله.

رجع ليوبولد إلى وطنه النمسا وهو يحمل الكثير من معاني الود والحب والإعجاب بالمسلمين، وقد لفتت انتباهه قيم العدالة الاجتماعية بين المسلمين وما يمتازون به من كرم الضيافة وطيب المعشر وجميل التواضع والصفاء والبساطة؛ خلافاً للفكرة الأوروبية السائدة التي تستصغر المسلمين بسبب تخلف بلادهم، فقد رأها عارية عن روح الموضوعية والإنصاف.

في عام ١٩٢٤م عاد ليوبولد وزوجته أليسا إلى المشرق من جديد، وتطوفاً معاً في العراق وسوريا ومصر وفلسطين، وجمعتة عربة القطار يوماً مع عمدة إحدى القرى وتاجر يوناني اتهم الإسلام بالإخلال بقيمة العدل، واستدل لذلك بزواج المسلمين من نساء أهل الكتاب، ومنعهم بناتهم من الزواج برجال أهل الكتاب، فأجابته العمدة بجواب حصيف ألمعي: المسلم حين يتزوج الكتابية فإنه يحترم كل من تؤمن به من الأنبياء، فلن يؤذي شعورها الرهيف، ولن يستثير حفيظتها بإهانة واحد منهم، والعكس لن يكون صحيحاً، فالمسلمة لن تقوى على تحمل إهانة الرجل الذي لا يؤمن بنبيها، ولا تستطيع الدفاع عنه أمام الرجل القوي الذي قد يؤذيها.

وقبل أن يبُلَّ اليوناني حلقه أكمل العمدة: الأولاد بالعادة يتبعون آباءهم، واعتقادنا بأحقية الإسلام يتعارض مع تزويج بناتنا بغير المسلمين حتى لا يدين أولادهم بدين نراه باطلاً.

يعلق محمد أسد على هذا المشهد بقوله: «ومرة أخرى كما حدث لي مع ذلك (الحاجي) الهرم في القدس؛ شعرت أن باباً جديداً إلى الإسلام كان يفتح لي»<sup>(١)</sup>.

ولعل من أهم الأبواب التي غيرت ليوبولد إلى محمد أسد تعرفه على عالم جليل؛ الأزهري الشيخ مصطفى المراغي<sup>(٢)</sup>، إذ جرت بينهما الكثير من الحوارات، كما أتاح له الاستماع إلى المحاضرات والحلقات العلمية في الأزهر الوصول إلى حقيقة تُناقض كل ما تعلمه في الثقافة الغربية: «لم يكن المسلمون هم الذين جعلوا الإسلام عظيماً، بل لقد كان الإسلام هو الذي جعل المسلمين عظماء؛ إلا أنهم ما أن أصبح إيمانهم عادة، وانقطع عن أن يكون منهجاً في الحياة يتبع بوعي وإدراك، حتى خبت تلك القوة الدافعة للخلافة التي كانت من وراء مدنيتهم، وأفسحت المجال إلى الاسترخاء والعقم والانحطاط الثقافي».

بدأ ليوبولد يفكر في الإسلام جدياً، لكنه تساءل: كيف له - وهو الرجل الفطن الذكي - أن يتنازل عن كل ثقافته وفكره، ويتبع غيره مقلداً في كل شيء؟ فطرح ما يجول في خاطره على الشيخ المراغي، فأجابه: إن معظم البشر مقيد في تفكيره بالنوازع والشهوات والمصالح، وقليلون هم القادرون على فهم الصوت الذي يصدر في ذواتهم، ولو ترك لكل واحد منا أن يتابع ما يميل إليه فؤاده لوصلنا إلى

(١) الطريق إلى مكة ، ص (١٨٧).

(٢) قبل أن يغدو رحمه الله شيخاً للأزهر في عام ١٩٢٨م.

فوضى أخلاقية، ولما استطعنا الاتفاق على سلوكيات نراها جميعاً سوية، وسيزداد الوضع تعقيداً لو ادعى بعضنا أنه شذوذ على القاعدة، وأنه متنور بما لا يعرفه سائر الناس، لقد أرسل الله الأنبياء بالمنهج الإلهي حتى يحمي البشرية من شذوذ هؤلاء وتخبطات سواهم<sup>(١)</sup>.

تنقل ليوبولد بين عواصم الإسلام كدمشق والقاهرة وبغداد، ووصل إلى ذرى جبال أفغانستان مواصلاً ما سمّاه «الاكتشاف البطيء للإسلام من كلمة هنا وحديث هناك» بمساعدة زوجته أليسا التي كانت تقرأ القرآن معه، فتوصل إلى نتيجة مهمة، يلخصها بقوله: «لقد أخذت الآن صورة متممة للإسلام تظهر لي بطريقة نهائية حاسمة أذهلتني أحياناً... لقد رأيت أمامي شيئاً يشبه بناء هندسياً كاملاً، تتم عناصره بعضها بعضاً بطريقة متناغمة، لا نافل فيه، ولا يفتقر إلى شيء.. اتزان وسكينة يضيفان على المرء شعوراً بأن كل ما في نظرات الإسلام وفروضه هو في محله»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك لحظ ليوبولد «أن الله - بمقتضى القرآن - لم يطلب خضوعاً أعمى من جانب الإنسان، بل خاطب عقله، إنه لا يقف بعيداً عن مصير الإنسان، بل إنه (أقرب إليه من جبل الوريد)، إنه لم يرسم أي خط فاصل بين الإيمان

(١) انظر الطريق إلى مكة، ص (١٩٦).

(٢) المصدر السابق، ص (٢٤٢).

والسلوك الاجتماعي»<sup>(١)</sup>.

وتكاملت الصورة عند ليو بولد حين رأى أن الشريعة الإسلامية تراعي مصالح الجميع، وأنها لم توضع لمصلحة أحد على الخصوص، وأنها قدمت للعالم أنموذجاً حضارياً عظيماً لا يعبر عنه واقع المسلمين، لكن هذا النموذج ينبئ بقدرة فائقة على استعادة دور الأمة المسلمة في بناء الحضارة.

رجع ليوبولد إلى ألمانيا في النصف الثاني من عام ١٩٢٦م والتفكير في الإسلام يستغرق تفكيره، ويشغله حتى عن أداء عمله كصحفي.

في قطار برلين، تفرس ليوبولد في وجه ثريين شاركا عربة القطار، فلمح وجوماً يلف وجهيهما، بل ويلف وجوه الركاب جميعاً رغم حسن ملابسهم وعلامات الغنى البادية عليهم، وأوماً لزوجته أليسا بملاحظته، فنظرت إليهم ملياً، ثم أكدت له صحة ملاحظته في تعاسة هؤلاء ووجومهم، وحين وصل إلى بيته أراد أن يغلق المصحف المفتوح على طاولته؛ فسبق نظره يده إلى قول الله تعالى: ﴿أَلْهَنكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) ﴿ (التكاثر)، قرأ السورة إلى آخرها، ثم صرخ: أليسا «أليس هذا جواب ما رأيناه في القطار.. لقد عرفت الآن بصورة لا تقبل الجدل، أن الكتاب الذي

(١) المصدر السابق، ص (٢٤٢).

كنت ممسكاً به في يدي كان كتاباً موحى به من الله،  
فبالرغم من أنه وضع بين يدي الإنسان منذ أكثر من ثلاثة  
عشر قرناً، فإنه توقع بوضوح شيئاً لم يكن بالإمكان أن  
يصبح حقيقة إلا في عصرنا هذا المعقد الآلي، لقد عرف  
الناس التكاثر في جميع العصور والأزمنة، ولكن هذا  
التكاثر لم ينته قط من قبل إلى أن يكون مجرد اشتياق إلى  
امتلاك الأشياء، وإلى أن يصبح ملهاة حجت رؤية كل  
شيء آخر.. اليوم أكثر من أمس، وغداً أكثر من اليوم.. لقد  
عرفت أن هذا لم يكن مجرد حكمة إنسانية من إنسان  
عاش في الماضي البعيد في جزيرة العرب النائية، فمهما  
كان هذا الإنسان على مثل هذا القدر من الحكمة؛ فإنه لم  
يكن يستطيع وحده أن يتنبأ بالعذاب الذي يتميز به هذا  
القرن العشرون»<sup>(١)</sup>.

في يوم أغر من أيام عام ١٩٢٦م، انطلق ليوبولد إلى  
صديق هندي يرأس الجالية المسلمة في برلين، فأسلم بين  
يديه، وسماه صديقُه (محمد أسد)، ثم أسلمت زوجته بعد  
أسابيع، وغادرا مع ابنتهما أحمد إلى المشرق الإسلامي من  
جديد، ليحج في عام ١٩٢٧م، ويقابل الملك عبد العزيز  
رحمه الله الذي أنس به واستمع إليه قبل أن يرحل إلى ليبيا  
ليشارك إخوانه المسلمين جهادهم ضد المستعمر  
الإيطالي، ثم رحل إلى باكستان، ليعمل رئيساً لمعهد

---

(١) الطريق إلى مكة، ص (٢٥٠-٢٥١).

الدراسات الإسلامية في لاهور، ثم مندوباً لباكستان في الأمم المتحدة في نيويورك.

اعتزل محمد أسد العمل الدبلوماسي، وتفرغ للتأليف والمحاضرة والتعريف بالإسلام، مستغلاً معرفته بطريقة المجتمع الغربي في التفكير، ومستعيناً بمعرفته بالعديد من اللغات، كالبولونية والعبرية والعربية والأردو والأسبانية والبرتغالية والإنجليزية، فكان مستحقاً لوصف صديقه السفير الألماني مراد هوفمان؛ إذ يقول عنه: «ما من أحد استطاع خلال المائة سنة الأخيرة أن يبرز محمد أسد في إسهامه العظيم في شرح الإسلام ونشره في الغرب»<sup>(١)</sup>.

قدم محمد أسد للمكتبة الإسلامية كتاباً فريدة في موضوعها، منها "الطريق إلى مكة"، و"الإسلام في مفترق الطرق"، و"منهاج الحكم في الإسلام"، و"رسالة القرآن"، كما ترجم معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية، وترجم إليها أيضاً صحيح البخاري في أربع مجلدات ضاع منها ثلاثة إبان انفصال باكستان عن الهند<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الإسلام كبديل، مراد هوفمان، ص (٦٥).

(٢) بقي أن نذكر القارئ الكريم بأنه ثمة ملاحظات قوية على كتابه "رسالة القرآن"، وكذلك تفسيره لمعاني القرآن، فقد غلب عليه فيهما تأثره بالعقلية الأوروبية، مما حمله على تأويل معجزات الأنبياء على معان مجازية وغيرها مما لا يوافق عليه رحمه الله.

وأقل في هذا الصدد ما قاله المودودي عنه في مراسلاته للأخت مريم جميلة: «وأسف أن أقول، على كل حال، بأنه في أيامه الأولى من اعتناقه الإسلام كان وفياً وملتزماً بتعاليم الإسلام، ولكنه بالتدرج انحرف إلى =

في عام ١٩٩٢م رحل محمد أسد إلى ربه بعد حياة حافلة بالعطاء للإسلام، يجملها قوله: «جاءني الإسلام متسللاً كالنور إلى قلبي المظلم، ولكن ليبقى فيه إلى الأبد، والذي جذبني إلى الإسلام هو ذلك البناء العظيم المتكامل المتناسق الذي لا يمكن وصفه، فالإسلام بناء تام الصنعة، وكل أجزائه قد صيغت ليتم بعضها بعضاً... ولا يزال الإسلام - بالرغم من جميع العقبات التي خلفها تأخر المسلمين - أعظم قوة ناهضة بالهمم عرفها البشر، لذلك تجمعت رغباتي حول مسألة بعثه من جديد»<sup>(١)</sup>.

وأختم بواحدة من أهم وصاياه «يجب على المسلم أن يعيش عالي الرأس، ويجب عليه أن يتحقق أنه متميز، وأن يكون عظيم الفخر لأنه كذلك، وأن يعلن هذا التميز بشجاعة بدلاً عن أن يعتذر عنه»<sup>(٢)</sup>.

رحم الله محمد أسد، وأجزل له كريم الثواب.

\*\*\*

---

= من يسمون بالمسلمين "التقدميين"، مثل اليهود "الإصلاحيين"....  
أثناء السنة الأولى من اعتناقه الإسلام والتي تقابلنا فيها، تغيرات طيبة ودمثة شملت حياته، ولكن حينما يبدأ المرء في العيش كمسلم حقيقي، كل قدراته تفقد قيمتها السوقية، هذه القصة الحزينة مع "محمد أسد"، الذي كان معتاداً على العيش في مستو مرتفع ومواصفات حديثة للحياة، وبعد اعتناقه للإسلام واجه شظف العيش وصعوبات مالية، ولهذا فقد أجبر على تقديم التنازلات واحدة بعد الأخرى».

(١) الإسلام في مفترق الطرق، المقدمة.

(٢) المصدر السابق، ص (٧٨).

## المستشرق (عبد الكريم) جولا جرمانوس

قبل أيام قرأت على بعض صفحات الإنترنت مقابلة مع المستشركة الأوكرانية المهتدية إلى الإسلام يانا كوروبكو، فكان من أهم ما قالته فيها: «الكثير من المستشرقين تحولوا إلى الإسلام بعد سنوات دراسة وبحث وسفرٍ للاطلاع عن قرب ولمس واقع المسلمين في مجتمعاتهم، وطريق الاستشراق ينتهي حتماً باعتناق الإسلام، إذا لم يخشَ المستشرق ردود فعل المحيطين»<sup>(١)</sup>.

المستشرق المجري جولا جرمانوس واحد من أولئك المستشرقين المهتمين إلى الإسلام، إنه العالم الذي وصفه العقاد بأنه: «عشرة علماء في واحد»<sup>(٢)</sup>، كيف لا وهو المستشرق الذي يتقن ثماني لغات: العربية والفارسية والتركية والأوردية والألمانية والمجرية والإيطالية والإنجليزية، كما يتشرف بعضوية العديد من المجمع العلمية، كالمجمع العلمي العراقي والمصري والسوري، علاوة على عضويته لمعهد الأبحاث الشرقية بلندن، وأكاديمية علوم البحر الأبيض الإيطالية، وكونه الأمين العام لنادي القلم المجري<sup>(٣)</sup>.

ولد جرمانوس في بودابست عاصمة المجر عام

---

(١) انظر: موقع الجزيرة نت.

(٢) الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، جمع وإعداد علي بن نايف الشحود، كتاب إلكتروني.

(٣) انظر: تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان، ص (٣١٧).

١٨٨٤م لأبوين نصرانيين، وتبدأ قصته مع الإسلام حين كان في السادسة عشرة من عمره، يقَلِّب سجلاً مصوراً، فوقعت عيناه على لوحة محفورة من الخشب، تجسد صورة المجتمع الشرقي من خلال منظر قاص يُقْص الحكايا على مستمعيه المتحلقين حوله، رأى جرمانوس في هذه الصورة نوراً ومجتمعاً زاهياً لم يعهد سناه في المجتمع الأوروبي «لقد استبد بي حين طاغ لأن أعرف سر هذا النور الذي بدد الظلام في هذه الصورة»<sup>(١)</sup>.

اتجه جرمانوس في السنوات التالية إلى دراسة علم التاريخ والألسن في جامعة العلوم في بودابست، فتعلم اللغات التركية والفارسية، وهو ما قاده إلى دراسة علم الاستشراق، فألهبه حباً في المشرق وحضارته، وقاده للاهتمام بالإسلام الذي كان روح المشرق وباعث نهضته. في عام ١٩٠٢م زار جرمانوس البوسنة، وفي مخيلته عن المسلمين الكثير من الأفكار المغلوطة التي تشوه المسلمين، مما تطفح به كتب أساتذته المستشرقين التي درجت على اتهام المسلمين بالهمجية والعنف والقسوة. لكن أكاذيبهم استحالت أضحوكة؛ بعثها وكشف

---

(١) انظر المقال الذي صدر به الدكتور عبد الكريم كتابه «الله أكبر»، ونقله عنه كتاب "Islam Our Choice"، الذي نشره المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد بالبدية، ص (٣٩-٤٣)، وترجم المقال إلى العربية: الأستاذ محمود لطفي السراميجي، ونشره في مجلة «البحوث الإسلامية» التي تصدرها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (٥٨٥/٢).

عوارها أول احتكاك له مع المسلمين ، فقد خيل إليه أن الرجلين الجالسين قبالة في أحد مقاهي سرايفو يخططان لقتله بخنجريهما المشدودين إلى وسطهما، «لقد أعطاني منظر غطاء رأسيهما وزئيهما الغريب شعوراً بالخوف من مظهرهما المرعب... تذكرت حينئذ القصص الدموية التي قرأتها في الكتب المتعصبة التي تتحدث عن تعصب المسلمين، ولاحظت أنهما يهتمان لبعضهما البعض .. فامتلات خيالاتي الصبيانية بمشاعر الهلع، فقد تصورت أنهما يريدان أن يغمدا خنجريهما في صدر الكافر المتطفل، ولقد وددت لو خرجت سالماً من هذا المكان المخيف، ولكني لم أجرؤ على الحركة».

دقائق معدودة من الحديث الودود مع هذين المسلمين كانت كافية لقلب الأفكار المعششة في مخيلته رأساً على عقب، فقد «أضاء وجههما بمودة تفيض بالحنان، ودعياني إلى منزليهما، وبدلاً من الخناجر التي تصورتها تخترق أحشائي فقد غمراني بكرمهما، ولقد كان ذلك أول لقاء لي مع المسلمين»<sup>(١)</sup>.

استكمل جرمانوس دراسته الاستشراقية في جامعتي استانبول وفيينا. وصنّف أول كتبه «تأريخ الشعر عند العثمانيين» في عام ١٩٠٦م، وأتبعه بآخر عن تاريخ الأتراك قبل أن ينال شهادة الدكتوراه في العام ١٩٠٧م.

---

(١) المقال السابق في مجلة «البحوث الإسلامية» (٥٨٥/٢).

عاد جرمانوس إلى بودابست عام ١٩١٢ م ، ليدرس في جامعة لورانت أنوفيش تاريخ الإسلام وحضارته واللغات الشرقية زهاء خمسين سنة؛ وامتلات حياته بالرحلات والدراسات التي صقلت خبرات هذا المستشرق الخريّيت، وعمقت فكره، وجعلته من أعلام الفكر الأوربي المعاصر.

لكن ذلك كله لم يكن كافياً لوصول جرمانوس إلى الطمأنينة «فإن روعي رغم ذلك بقيت ظمأى، ولقد وجدتُ خيطاً ربيعاً جافاً في كتب العلم والمعرفة، ولكن روعي كانت تتطلع إلى اللجنة الدائمة الخضرة من التجربة الروحية ، لقد ارتوى عقلي، ولكن روعي بقيت ظمأى، ولقد كان علي أن أجرد نفسي من كل ما تعلقت به؛ حتى أستطيع أن أستعيد ذلك عن طريق التأمل والتجربة الباطنية، لتصفو روعي بنار المعاناة كما يستحيل الحديد الغفل صلباً مرناً بتعريضه لصدمة شديدة من الماء البارد»<sup>(١)</sup>.

بين عامي ١٩٢٩ و١٩٣٢م درس جرمانوس التاريخ الإسلامي في جامعتي دلهي ولاهور؛ تلبية لدعوة شاعر الهند الكبير طاغور، فحمل همّه وسافر إليها، فكان مع السعد على ميعاد ، فقد رأى في منامه النبي ﷺ يخاطبه «علام القلق؟ الطريق أمامك .. الطريق القويم مفتوح

---

(١) المقال السابق (٢/٥٨٥).

أمامك مأمون كوجه البسيطة، فلتسر فيه بخطى ثابتة بنور الإيمان».

في يوم الجمعة التالي أعلن جرمانوس إسلامه بين حشد مهيب من مسلمي الهند، الذين تحدث إليهم في جامع شاه جيهان في نيودلهي: «لقد حضرت من بلاد بعيدة لأحوز علماً لا يتسر لي في وطني ، ولقد أتيت ملتماً منكم الإلهام، ولقد ليتم ندائي».

وأكمل جرمانوس: «وتابعت قولي، فبدأت أتحدث عن الإسلام ودوره الذي أداه في تاريخ العالم ، وعن المعجزة التي طوعها الله لرسوله ﷺ ، وشرحت أسباب تأخر المسلمين المعاصرين، والأسباب التي تمكنهم من استعادة أمجادهم ، إنه لحكمة إسلامية أن كل شيء بأمر الله، ولكن الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾».

أمور كثيرة تلك التي قادت جرمانوس إلى الإسلام، ومنها التوافق التام بين العلم والإيمان، فهما توأم لأب وأم؛ خلافاً للمعتقدات الأخرى، إذ «لا يوجد في تعاليم الإسلام كلمة واحدة تعوق تقدم المسلم ، أو تمنع زيادة حظه من الثروة أو القوة أو المعرفة.. وليس في تعاليم الإسلام ما لا يمكن تحقيقه عملياً ، وهي معجزة عظيمة يتميز بها عن سواه، فالإسلام دين الذهن المستنير ، وسيكون الإسلام معتقد الأحرار»<sup>(١)</sup>.

(١) الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، جمع وإعداد علي بن نايف الشحود، كتاب إلكتروني.

لهذا لا يجد العلامة جرمانوس في انتشار الإسلام ما يستغرب، إذ هو «دين الأذهان المستنيرة، وأنا أعرف في بلادي وفي أوروبا رجالاً مستنيرين من أرفع الأسر يحترمون الإسلام، ويوشكون أن يتخذوه ديناً؛ ولو في سرائرهم»<sup>(١)</sup>.

كما رأى جرمانوس في المسلمين عكس ما قرأه عنهم في كتب الاستشراق «ألفيتُ في قلوب المسلمين كنوزاً تفوق في قيمتها الذهب، فقد منحوني إحساس الحب والتآخي، ولقنوني عمل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وعلى المسلمين أن يعضوا بالنواجذ على القيم الخلقية التي يمتازون بها، وأن لا ينهروا ببريق الغرب، لأنه ليس أكثر من بريقِ خاوي زائف»<sup>(٢)</sup>.

ولم يفتأ جرمانوس يعتز بالقيم الإسلامية ويوصي بها، فقد قال مخاطباً الملتقى الفكري في الجزائر: «أحث بجسارة وشجاعة كل إخواني المسلمين للحفاظ على الأخلاق التي هي عقائدنا الروحية في ديننا الإسلامي، حافظوا على الشريعة الإسلامية التي تركز على الأخلاق، إن فلسفة التشريع الغربي قد قامت عقيدتها ومعتقداتها على فكر إنساني متأثر باعتبارات سياسية فقط، بينما

---

(١) موسوعة الدفاع عن رسول الله ﷺ، جمع وإعداد علي بن نايف الشحود، كتاب إلكتروني.

(٢) هؤلاء المثقفون اختاروا الإسلام، محمد عثمان، ص (٣٥).

الشريعة الإسلامية قد انبثقت من الإيمان والافتناع بأن الكون ما هو إلا خلق منسق منتظم للروحيات الأخلاقية؛ أساس العقيدة هو الوحي وتنفيذها مبني على أساس قانون استدلالات، واستنتاجات منطقية التفكير، وعلى شرح وتفسير دنيوي زائل وأحوال مادية»<sup>(١)</sup>.

تاق جرمانوس - منذ أسلم - إلى تعلم اللغة العربية، ليحوز المفتاح الذي يوصله إلى ذخائر الإسلام، «كان لي من قوة الإيمان وثبات اليقين ما دفعني إلى الإقبال على تعلم هذه اللغة مهما بلغت العقبات وقامت الصعاب، فبدأت أولاً أدرس العربية بدون معلم، وبواسطة كتب حصلت عليها من المكتبات الأوروبية، ثم عكفت على قراءة القرآن الكريم بمساعدة المعاجم اللغوية، وحفظت عن ظهر قلب معاني الكلمات المهمة والألفاظ المعقدة، وتابعت السير على هذه الخطة عدة شهور؛ إلى أن أصبحت - بفضل الله ورعايته - ملماً بأصولها .. وبمرور الزمان انتصرتُ على جميع الصعاب، ورُحْتُ أتفهم العربية في شيء من السهولة واليسر، مع أنني لم أسمع في حياتي صوت متكلم بها»<sup>(٢)</sup>.

ولإدراك جرمانوس أهمية إجادة اللغة العربية والغوص

---

(١) المقال السابق في مجلة «البحوث الإسلامية» (٥٨٥/٢).

(٢) مقال منشور في موقع الإسلام اليوم بعنوان «من ربوع الغرب إلى بلاد العرب».

في مكنوناتها؛ سافر إلى مصر، وطلب علومها في ربوع الأزهر الشريف، والتقى أكابر علمائها وأدبائها، وقد وضع نصب عينيه «استكمال نواحي دراستي في الأدب العربي، والتعمق في شعاب الدين الحنيف، بحيث أصبح قادراً على صد هجمات كل من تسول له نفسه الافتراء أو التشويه لعظمة الإسلام في أوروبا»<sup>(١)</sup>.

كما جال جرمانوس بين عواصم الدول العربية؛ يلقي فيها المحاضرات الماتعة، ثم سافر إلى الحج لأول مرة، وكتب قصة رحلته في كتابه «الله أكبر» الذي ذكر في مقدمته قصة اعتناقه الإسلام، كما ضمنه شرحاً لأصول الإسلام.

منذ أسلم الدكتور عبد الكريم جرمانوس لم يتأخر عن العمل الدؤوب في خدمة دينه ولغته الخالدة «لقد تمنيت أن أعيش مائة عام، لأحقق كل ما أرجوه لخدمة لغة القرآن الكريم، فدراسة لغة الضاد تحتاج إلى قرن كامل من الترحال في دروب جمالها وثقافتها»<sup>(٢)</sup>، وقد توفي رحمه الله في عام ١٩٧٩م ولمَّا يتَمَّ المائة، لكنه ترك إثراء علمياً متميزاً في موضوعات الدين واللغة والتاريخ، سطر فيها ما يقارب المائة كتاب، ومن أهمها: كتابه «الحركات الحديثة في الإسلام»، و«شوامخ الأدب العربي»، و«بين فكرين»، و«حضارات رائدة»، و«العلاقات الثقافية بين العرب

(١) انظر المقال السابق.

(٢) هؤلاء المثقفون اختاروا الإسلام، محمد عثمان، ص (٣٦).

وأوروبا الوسطى»، و«معاني القرآن الكريم»، و«دراسات  
في التركيبات اللغوية العربية»<sup>(١)</sup>.

ومما يؤسف له أن جرمانوس كتب هذه الكتب  
بالمجرية والألمانية والإنجليزية، وأنها لم تترجم إلى  
العربية؛ رغم ترجمتها إلى العديد من اللغات العالمية.  
رحم الله العلامة عبد الكريم جرمانوس، وكتب له  
عظيم الأجر.

\* \* \*

---

(١) انظر تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان ، ص (٣١٧).

## (محمد) زكي الدين النجار

لم يكن أحد ليتوقع لزكي النجار المولود لأبوين نصرانيين في أوائل الربع الثاني من القرن العشرين أن يغدو بعد حين مسلماً موحداً داعياً إلى الله ودينه القويم، فقد ولد زكي في محافظة طهطا المصرية، وداوم منذ طفولته على التردد على الكنيسة، بل تدرج في مراتبها؛ حتى صار كاهناً ثم قساً فيها.

عمل الشاب زكي في حرفة النجارة لم يمنع أن يكون محباً للعلم، كثير القراءة، لا يفتر عن التنقل بين رفوف الكتب الدينية، فقرأ كثيراً في أسفار كتابه المقدس، وكذلك قرأ في القرآن الكريم، سنوات من البحث والتمحيص كانت كافية لتحويل القس زكي النجار إلى العالم المسلم محمد زكي النجار «إن إسلامي لم يأت طفرة واحدة، ولم يكن ابن يوم وليلة، بل كان نتيجة بحث وتنقيب؛ بغية الوصول إلى الحقيقة، فاطلعت على القرآن الكريم بعد دراستي للتوراة والإنجيل، وأردت أن أدون ما وصلت إليه أبحاثي في هذه الكتب من الحقائق التي هدتني إلى الصراط المستقيم»<sup>(١)</sup>.

بعد إسلامه درس محمد زكي النجار في معهد طهطا الديني بين عامي ١٩٤٩-١٩٥٢م، وتزوي بزكي العلماء المسلمين الأزهريين، وغدا من الدعاة إلى الله تعالى،

(١) المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة، محمد زكي النجار، ص (٣٣).

فانضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، كما كان شاعراً مجيداً وأديباً حصيفاً .

لم تدخر الكنيسة جهداً في استمالة النجار للعودة إلى النصرانية، فوعده تارة بالزواج من فتاة من أرفع العوائل النصرانية، وتارة بترفيعه إلى أرقى المناصب الكنسية، لكن ذلك كله لم يكن لينتزع إيماناً خالطت بشاشته القلوب، وأشبعت أسسه وقواعده العقول.

سجل محمد زكي النجار خلاصة تجربته وأسباب هجره لدينه في عدد من الكتب التي وصلنا أسماءها، وغاب عن ناظرينا صفحاتها، فقد فقدت هذه الكتب وضاعت، ولكن أسماءها<sup>(١)</sup> كفيلة في تعريفنا بالمنزلة العلمية التي وصل النجار إلى رحابها ، فقد كتب في تنفيذ عقائد النصرانية كتابه «الصراط المستقيم في الرد على أصحاب الأقانيم»، وفي بيان تحريف كتابهم المقدس كتب «فوهة المسدس في قلب الكتاب المحرف»، كما كتب في الدعوة إلى الإسلام وتعليم مبادئه كتابه «هداية الناشئين في تعلم مبادئ الدين» وكتابه «معجزات محمد ﷺ في القرن العشرين»، وكتب في تبيان الإسلام ومآثره «منقذ الإنسانية من نير العبودية» و«قانون الحياة ودستور الخلود».

وتصدى النجار لاثنتين من أهم شبهات المشككين بالإسلام الذين يتصيدون الأعمار، وأولاهما هي قصة سجود

---

(١) ذكر أسماءها في كتابه المنارات الساطعة ، ص (١٥٩).

النبي للغرائق التي راجت على ألسنة وأقلام المنصرين في زمنه، فكتب في الرد عليهم وتبيان ضعف القصة سنداً، ونكارتها متناً كتابه «رد فرية المبشرين في حديث الغرائق».

وأما الثانية فهي القصة المذكورة في بعض كتب التفسير عن زواج النبي ﷺ بزینب بنت جحش، وهي رواية مردودة يلوکها الأفاکون طعناً بالنبي ﷺ؛ رغم أنها لا تصلح في باب الاحتجاج؛ فقد حکم العلماء على أسانیدها بالضعف، قال ابن العربي: «هذه الروایات کلها ساقطة الأسانید»<sup>(١)</sup>.

وللأسف لم یصل إلینا من هذه الكتب النافعة إلا كتاب واحد، وهو «المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة»، ویناقش فيه النجار العديد من المسائل المهمة التي كانت سبباً في اختياره الإسلام على دين الأجداد والآباء، وهو ابتداء لا یرى في اعتناقه للإسلام تركاً لدين المسيح عليه السلام، فإن الإسلام هو «دين الأنبياء والمرسلين، الأولين والآخرين، [وذلك أن] معنى الإسلام یهدف إلى التسليم بما أنزله الله من كتبه وطاعة رسله»<sup>(٢)</sup>.

واستشهد النجار لصحة مفهوم وحدة الدين الذي بعث الله به سائر الأنبياء والمرسلين بآيات القرآن الكريم التي وصف الأنبياء بأنهم كانوا مسلمين، أي مستسلمين لله

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي (٣/١٥٤٣).

(٢) المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة، محمد زكي النجار، ص

(٢٨-٢٩).

تعالى، فقد قال الله على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٧٢)، أي من المستسلمين لله تعالى.

ومن بعده قال الله لإبراهيم عليه السلام: ﴿أَسْلِمْتُ قَالَ أَسَلَّمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٣١) وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ ءَابَاؤُنَا وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣)﴾ (البقرة: ١٣١-١٣٣)<sup>(١)</sup>.

والنجار إذ يؤمن بمحمد ﷺ فإنما يرى نفسه معظماً للمسيح ومصدقاً بنبوءته عن بعثة الفارقليط<sup>(٢)</sup>، أي الحامد، فقد قال المسيح عنه: «إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك [أي النبي المنتظر]، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية، ذاك يمجدني، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم» (يوحنا ١٦/١٢-١٤).

وقد توقف النجار ملياً مع قول المسيح عليه السلام

(١) انظر المصدر السابق، ص (٢٨-٢٩).

(٢) تحدث المسيح عليه السلام - بحسب إنجيل يوحنا - مراراً عن النبي الآتي بعده، وسماه (بيركلوتس)، وهي كلمة يونانية اعتاد العرب على نطقها (الفارقليط)، وتعني الحامد.

عن أخيه محمد ﷺ: «ذاك يمجدني» أي يوقرني ويكرمني،  
 فرأى أن الإسلام هو من برأ العذراء البتول من فرية اليهود  
 واتهامهم لها بالزنا، فاعتبره من أعظم الفرى، الذي استحقوا  
 بسببه غضب الله ومقتته، فأظلمت قلوبهم وانطمس نورها  
 ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٥٥) ﴿وَبِكُفْرِهِمْ  
 وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ (١٥٦) (النساء).

واستعرض النجار سبب صدور هذه الفرية، ألا وهو  
 ميلاد المسيح من غير أب بشري، ورأى أن الحدث رغم  
 ما يكتنفه من الإعجاز فإنه لا يخرج عن مقدور الله القادر  
 على كل شيء «أفمن خلق السماوات والأرض وجميع ما  
 فيها من عوالم ومخلوقات وشموس وأقمار وكواكب  
 وسيارات يعجز أن يجعل السيدة مريم تحمل بدون رجل؟!  
 اللهم إن هذا ضلال مبين وبهتان عظيم ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨١)  
 إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) (يس)» (١).

وعن قول المسيح : «ذاك يمجدني»، يقول النجار:  
 «وحقق ذلك رسول الله ، ومجده، ورفع عن أمه وصمة  
 العار .. ورفع عنه وعن أمه الظلم البين والجور المريع» (٢)،  
 كما حققه ثانياً حين أسفر عن دليل براءة أم المسيح، ألا  
 وهو كلام ابنها عليه السلام في المهد، وهي معجزة عظيمة

(١) المصدر السابق ، ص (٤٢).

(٢) المصدر السابق ، ص (٨٠).

أخرست شائئيه، وملأت أشداقهم بأوحوال الخيبة والبوار، وهذه المعجزة هي الدليل الوحيد على براءتها عليها السلام، ذكره القرآن، وغفلت عن ذكره الأناجيل التي يؤمن بقدسيتها النصارى.

نبوءة المسيح عن النبي المنتظر ﷺ: «ذاك يمجدني»  
حققها أخوه محمد ثالثة، حين دفع عنه ما تتهمه به الأناجيل المحرفة من عقوق لأمه، ففي إنجيل يوحنا أن مريم عليها السلام طلبت من ابنها أن يحول الماء الذي في الجرار إلى خمر يشربه أهل عرس كانت تحضره في قرية قانا، فقال لها بجفاء: «مالي ولك يا امرأة، لم تأت ساعتى بعد» (يوحنا ٤/٢).

وفي إنجيل متى أنها عليها السلام جاءت إلى المسيح، تستأذن في الدخول عليه، فقال له تلاميذه: «هوذا أمك وإخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك، فأجاب وقال للقاتل: من هي أمي؟ ومن هم إختوتي؟! ثم مد يده نحو تلاميذه وقال: ها أمي وإختوتي، لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي» (متى ١٢/٤٨-٥٠)، فالمسيح - بحسب إنجيل متى - تجاهل أمه، بل تبرأ منها، واتهمها بأنها لا تصنع مشيئة الله، وهو رزية يرى النجار أن القرآن برأ المسيح منها ومجده عنها حين قال على لسانه: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا

﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ فِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ (مريم) (١).

أما رابع المواضع التي مجد فيها النبي ﷺ أخاه المسيح، فحقق نبوءته عنه: «ذاك يمجدني» فهي شهادته بنجاة المسيح عليه السلام مما تنسبه إليه الاناجيل من صلب و صفع وإهانة وتعذيب وتعرية أمام الناس، فكل هذا قد أنقذه الله منه بشهادة القرآن الكريم الذي أخبر عن نجاته من مؤامرة اليهود ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ (آل عمران).

وقد نبه النجار في مناراته على مسائل علمية مهمة في نقد النصرانية وتزييف كتبها ومعتقداتها، وأكتفي في هذا المقام بذكر واحدة منها، فحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق، فقد ذكر النجار وجود أدلة في الكتاب المقدس تشهد بنجاة المسيح من الصلب المهين الذي تنسبه إليه الاناجيل الأربعة، فالمزمور ٩١ - وهو من الأسفار المقدسة عند اليهود والنصارى - يقول متنبئاً عن نجاة المسيح: «لأنك قلت: يا رب، أنت ملجئي، جعلت العلي مسكنك، لا يلاقيك شر، ولا تدنو ضربة من خيمتك، لأنه يوصي

(١) المصدر السابق، ص (٨٥).

ملائكته بك ليحفظوك في كل طرقك، على الأيدي يحملونك، لئلا تصدم بحجر رجلك .. لأنه تعلق بي أنجيه، أرفعه لأنه عرف اسمي، يدعوني فأستجيب له، معه أنا في الضيق، أنقذه وأمجده، من طول الأيام أشبعه، وأريه خلاصي»، ففي هذا السفر شهادة بصدق ما أخبر القرآن عنه من نجاة المسيح من الصلب والعذاب المهين، ورفعته إلى السماء بواسطة الملائكة، وأعطاه حياة طويلة جزاء صدقه وإخلاصه في عبادة ربه.

ويستمر النجار في كتابه - بل كتبه - في سوق الأدلة التي تدل على صحة اختياره للإسلام، فهي منارات ساطعة لمن تخلص من التعصب المذموم، فإنما كتب ما كتب لدلالة وهداية من أراد الوصول إلى الحق «ليخرج القارئ بنتيجة ظاهرة، ويتحقق مما وصلت إليه، إذا تخلى عن التعصب والتحيز الممقوت، فإذا تصفحت عجاتي هذه بروية وإمعان؛ وضح الحق لديك بالبرهان، وظهر جلياً للعيان، وجدت نفسك منساقاً إلى اليقين، فالعقل إذا لاح له الحق تبعه وثبت عليه»<sup>(١)</sup>.

نسأل الله أن يثبتنا على الإيمان، وأن يكتب شأيب الرحمة للعالم الجليل المهدي محمد زكي النجار. آمين.

\* \* \*

---

(١) المصدر السابق، ص (٣٤).

## الدكتور القس إبراهيم خليل فيلبس (أحمد)

القس إبراهيم خليل فيلبس أستاذ علم العقائد المسيحية في كلية اللاهوت الإنجيلية بأسبوط، علم من أعلام الجدل الديني في القرن العشرين، فقد صبغ هذا العلم بالكثير من إضافاته في كتبه الرائعة.

ولد القس إبراهيم في أسرة متدينة مسورة تدين بالنصرانية، وتعهده والداه بالعبادة والرعاية، فكان يواظب على الذهاب إلى الكنيسة، ويجدُّ في أداء طقوسها.

بدأ إبراهيم خليل التعرف على الأديان من خلال مشاركاته في البرامج الكشفية أثناء دراسته الأولية، حيث يلتقي الشباب من مختلف الديانات والثقافات، وزادت معرفته بالإسلام خصوصاً خلال دراسته الجامعية في الكلية الإنجيلية المشيخية، حيث كان الطعن في الإسلام والقرآن أحد أهم الموضوعات التي يدرسها مع زملائه الذين يُعدون للتنصير في بلدان المسلمين، ويكفي للوقوف على جدية الموضوع وخطورته أن نعرف أن عدد طلاب الكلية حينذاك اثنا عشر طالباً يشرف على تأهيلهم اثنا عشر أستاذاً أمريكياً وسبعة آخرون من المصريين النصارى.

درس إبراهيم خليل القرآن الكريم في جامعة برنستون بأمريكا على طريقة المبشرين الطاعنين فيه، حيث نال درجة الماجستير عن رسالته التي عنوانها «سيف جليات [أي جالوت]»، وموضوعها الطعن بالإسلام من

خلال القرآن والقضاء عليه؛ كما قُتِلَ جالوت بسيف نفسه  
زمن النبي داود.

تعلم إبراهيم فيلبس اللغات الأصلية للكتاب  
المقدس؛ العبرية واليونانية والآرامية؛ إضافة إلى  
الإنجليزية، وحصل على رتبة قسيس، وباشر العمل  
التبشيري راعياً للكنيسة الإنجيلية بباقور، ثم عمل مبشراً  
في الإرسالية الألمانية السويسرية، ووصل فيها إلى منصب  
السكرتير العام لفرعها في أسوان.

في أواسط عام ١٩٥٥م استمع إبراهيم خليل فيلبس  
في المذيع إلى آيات من صدر سورة الجن ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ  
أَسْتَمِعُ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ  
فَأَمَّا بِهٖ وَلَنْ تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ (الجن)، فاستوقدت جذوة  
الإيمان في قلبه من جديد، فعكف طوال تلك الليلة على  
القرآن يقرأ في آياته ويعيد استكشاف مضامينه، لبدأ رحلته  
في البحث عن الحقيقة بقراءة القرآن من جديد، ولكن هذه  
المرّة قرأه لا للتشكيك والطعن والتليس، بل للفهم والبحث  
عن الحق.

استوقفه طويلاً قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ  
النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ  
وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ  
لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ  
وَالْأَعْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ

وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾  
 (الأعراف: ١٥٧)، فانطلق - وهو القس الخريث - يقلب صفحات كتابه المقدس بحثاً عن البشارة بالنبي ﷺ، فوجدها تتلألاً في جنباته رغم ما اعتراه من تحريف وتبديل، فمحمد ﷺ هو النبي الأمي الذي توعد به سفر إشعيا التوراتي بني إسرائيل، حين قال لهم : «أو يُدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له: اقرأ هذا، فيقول: لا أعرف القراءة» (إشعيا ١٢/٢٩)، فما يملك سامع هذه الفقرة دفعاً لانصراف ذهنه إلى ما حصل في غار حراء، حين نُبئ النبي ﷺ بنزول جبريل عليه ، وهو يقول: اقرأ. فيجيبه عليه الصلاة والسلام: «ما أنا بقارئ»، فهذه الفقرة من سفر إشعيا التوراتي دليل واضح على نبوة محمد ﷺ، إذ إنها تحكي لحظة نبوته ﷺ.

وهي ليست أقل وضوحاً من رؤيا نبوخذ نصر ملك بابل التي عبّرها له النبي دانيال، حين قال له: «الله العظيم قد عرّف الملك ما سيأتي بعد هذا. الحلم حق، وتعبيره يقين» (دانيال ٢/٤٥)، ومختصر هذه النبوءة أن الملك يختصر رأى في المنام تمثالاً رأسه من ذهب، و صدره من فضة، وبطنه من نحاس، وساقاه من حديد، وإحدى قدميه من خزف، والأخرى من حديد، فجاء حجر وضرب القدمين فاندك التمثال وانهار بتمامه.

وقد فسرها النبي دانيال بثلاث ممالك تتابع بعد

مملكة بابل، ثم تأتي أمة يصطفئها الله ويختارها «وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً، ومملكها لا يُترك لشعب آخر، وتسحق وتفني كل هذه الممالك، وهي تثبت إلى الأبد»، والتاريخ يحدثنا عن زوال مملكة بابل على يد مملكة مادي وفارس التي أقامها خسرو (٥٣٩ ق.م)، ويرمز لها في المنام بالصدر الفضي. ثم قامت مملكة مقدونية التي أسسها الإسكندر المقدوني (٣٣٦ ق.م)، ويرمز لها في المنام بالبطن النحاسي.

ثم تلتها امبراطورية الرومان التي أسسها الامبرطور بوفيبوس (٦٣ ق.م)، ورمز لها في المنام بساقين من حديد، قبل أن تأتي الأمة المختارة وتهزم دولة الرومان والفرس، وتحول عاصمتها القسطنطينية إلى (إسلام بول) أي عاصمة الإسلام، لتتحقق من جديدة نبوءة دانيال في أمة محمد ﷺ<sup>(١)</sup>، فأمته ﷺ هي الأمة الموعود بظهورها على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قرر القس إبراهيم خليل اعتزال العمل الكنسي، وفي ذلك يقول: «لقد أراد الله لي خيراً، فهداني إلى الإسلام بينما أنا في جهالتي وحماتي أردت للإسلام تقويضاً، وللمسلمين أن يدخلوا في رحاب النصرانية، فعفا الله عما

---

(١) انظر المناظرة بين الإسلامية والنصرانية، ص (٢٢٧)، محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، ص (٦٩).

سلف. وأمام رضوان الله جل وعلا رأيت ضرورة حسم الموقف بخطوة إيجابية، وهي اعتزال الخدمة الدينية ... هل يستطيع المرء أن يهاجم الإسلام بعد أن تبين له الرشد من الغي. الحق أقول: إن القرآن قد غلبني على أمري، وغلبت إرادة الله إرادتي ، وكان القرار بترك الخدمة الدينية قراراً حاسماً للموقف»<sup>(١)</sup>.

استدعت الكنيسة سبعة من القسس الذي يحملون درجة الدكتوراه لمناقشة القس المبشر الذي ينجو بنفسه بعيداً عن ضلالاتها، فلم يجدوا من الحججة ما يقنعونه بالعودة إلى عمله التبشيري، وعجزت رواتبهم ومغرياتهم في إغلاق عقله وحجب فكره.

التحق إبراهيم بعمله الجديد في شركة (ستاندر د ستي شنيري لبيع آلات الطباعة والنسخ)، وفي عمله الجديد أسند إليه مديره مهمة طبع تفسير جزء عمّ باللغة الإنجليزية، فكان من أعظم أفضال الله عليه، فتح مغاليق قلبه، ووجد فسحة من الوقت للإبحار في تأمل آيات القرآن الكريم والغوص في عميق معانيه، فأذعن للإسلام، وفاء إلى هديه القويم هو وأبناؤه (إسحاق وصموئيل وماجدة)، وذلك في مطلع عام ١٩٥٩م، وغيّر اسمه إلى إبراهيم خليل أحمد، وأسماء أبنائه إلى (أسامة وجمال ونجوى)، بينما أبت زوجته الدخول في الإسلام، ووشت

---

(١) المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، ص (٢١).

به إلى الكنيسة، ليتعرض لحقن الكنيسة وترهيبها الذي لم يكن ليثنيه عن حق انشرح به صدره، وشهد به لسانه؛ فما مثله ينكص على عقبه لمصادرة مكتبته أو فقد راتبه الكبير، فهبة الله وجنته أعلى وأبقى وقد «حُفَّت الجنة بالمكارة، وحُفَّت النار بالشهوات»<sup>(١)</sup>.

أمور كثيرة استوقفتها في الإسلام، ولم يجدها في نصرانية الكنيسة، لكن أهمها - بحسب رأيه - أمران:

أولهما: عقيدة التثليث والتجسد المزعوم لله في المسيح، إذ رأى فيها فهماً خاطئاً للنصوص الإنجيلية التي صرحت بنبوة المسيح عليه السلام، ومنها قول كبير الحواريين بطرس في سفر أعمال الرسل (٢٢/٢): «يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من الله بقوات وعجائب»، فشهادة بطرس للمسيح أنه إنسان فحسب، وكذلك وصف إنجيل لوقا (١٦/٧) معتقد جموع المؤمنين بالمسيح، فأخبر أنهم حين رأوا إحياء المسيح للموتى: «أخذ الجميع خوف، ومجدوا الله قائلين: قد قام فينا نبي عظيم»، فقد آمنوا بالمسيح نبياً عظيماً، وهو ما يوافق معتقد المسلمين فيه عليه الصلاة والسلام<sup>(٢)</sup>.

والثاني: الظلم المرير الذي تكتنفه عقيدة الموت التكفيرى للمسيح على الصليب، إذ هو معتقد ظالم «لا يتفق مع عدل الله ولا شرائعه، ومنها شريعة موسى، فهل

(١) أخرجه مسلم ح (٢٨٢٣).

(٢) الغفران بين المسيحية والإسلام، إبراهيم خليل أحمد، ص (٢٠، ٩٢).

كان ضرورياً تلك الرواية المأساوية التي تتمثل في قول المسيحية بقتل المسيح صلباً وسط صرخاته اليائسة، التي كان يرفض فيها تلك الميتة الدموية!؟»<sup>(١)</sup>.

وقد رأى إبراهيم بفطرته النقية جمال الإسلام حين يرفض عقيدة الخطيئة الأصلية الموروثة من الأبوين (آدم وحواء)، ويستشنع فكرة وجود وسطاء بين الله وعباده، فليس في الإسلام رجل دين يغفر ذنب المذنب أو يقبل منه اعترافه، فما أصعبها من لحظات حين يضطر العبد للبوح أمام عبد مثله بذنوبه وخطاياها التي يود لو أنها بينها وبينه بُعد المشرقين، وغاية مأموله أن ينساها؛ لكنه وفق المنظور الكنسي مضطر إلى إعلام الآخرين بها، وما من شيء يحرص المرء على الإصرار به أكثر من ذنوبه التي يسأل الله دوام ستره عليها، لذا يقول إبراهيم خليل: «يكفي الإسلام فخراً أن مغفرة الله للإنسان لا تتوقف على وسيلة من الوسائل مهما عظمت أو قلّت، وإنما تتوقف رحمته ومغفرته على توبة الإنسان صادقة، مع إيمانه بالله الواحد الأحد وبرسالة محمد ﷺ، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾»<sup>(٢)</sup>.

(١) المناظرة بين الإسلامية والنصرانية، ص (١٤٧).

(٢) المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، إبراهيم خليل أحمد، ص (٢٠)، وانظر كتابه: الغفران بين المسيحية والإسلام، ص

أصدر العلامة إبراهيم خليل أحمد أربعة عشر كتاباً متميزاً، منها: (محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن) و(المسيح إنسان لا إله) و(الإسلام في الكتب السماوية) و(إسرائيل فتنة الأجيال) و(الروح القدس بين النصرانية والإسلام) و(إسرائيل والتلمود).

وفي كل هذه الكتب يسفر الشيخ إبراهيم خليل عن علم جم وحجة غالبة ورأي حصيف، مكنه من ذلك إلمامه الواسع بالكتاب المقدس ونصوصه، واطلاعه على تفاسيره وعلى الثقافة الكنسية، ولكن الأهم الذي يرصده القارئ لكتبه؛ إفادته من الدراسات النقدية التي ظهرت في الغرب في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

في عام ١٤٠١هـ / ١٩٨٢م اشترك الأستاذ إبراهيم مع كل من الدكتور محمد جميل غازي واللواء المهندس أحمد عبد الوهاب في مناظرة جرت في الخرطوم مع ثلاثة عشر قسيساً، مناظرة مشهودة استمرت ستة أيام، وانتهت بإسلام القسس جميعاً وتحولهم من التبشير بالنصرانية إلى الدعوة إلى الإسلام، وهي منشورة على شبكة الإنترنت صوتاً وكتابة لمن أراد أن يفيد منها.

رحم الله العالم الجليل إبراهيم خليل أحمد، وأجزل له المثوبة.

\* \* \*

## الدكتور ( محمد ضياء الرحمن الأعظمي ) بانكي رام

الأعظمي واحد من أعلام علم الحديث النبوي، علامة وباحث نحري، أفاد من علمه العشرات من طلاب الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كما كانت كتبه الموثقة في المكتبة العربية ذخراً للملايين من المسلمين.

لا ريب أن الكثيرين منا يعرف أو قرأ أو سمع عن الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، لكن لرب معظمنا لا يعرفون أن الدكتور الأعظمي من المهتمين إلى الإسلام، فقد ولد بانكي رام (الأعظمي) في ولاية يوبي الهندية عام ١٩٤٣م في أسرة هندوسية متعصبة، نشأ فيها يسجد لأصنام الهندوس، ويعظم آلهتهم التي لا يحصي عددها إلا الله تعالى.

منذ باكورة طفولته وبانكي رام يُلقن من أهله ومدرسيه سوء عن المسلمين الذين حكموا الهند زهاء ١٢٠٠ سنة، فزعم مؤرخو الهندوس وكتابهم أن المسلمين ظلموا الهنود، وأجحفوا بحقهم، فأنشؤوا جيلاً يكره الإسلام ويحقد على المسلمين، وقد تعززت كراهية بانكي رام للإسلام بما رآه من فقر المسلمين في بلده، وتخلفهم عن كثير من صور المدنية.

تخرج بانكي رام من المرحلة الثانوية، وانتسب إلى كلية شبلي في مدينة «أعظم كره» التي سينسب إليها

لاحقاً، وتعرف على الإسلام حين أهدها زميله في الكلية كتاب العلامة المودودي «الدين الحق»، فأكب على قراءته، وأعادها بلهف وشوق مرات ومرات «لقد أحسست بأني آتية في ظلام دامس، وأنه ينقشع رويداً رويداً، ولقد رغبت في الاستزادة من هذا النور»<sup>(١)</sup>.

اقتنى الشاب الهندوسي كتب المودودي، يطالعها في فراغه بين حصص الكلية الدراسية، فازداد عجبه بكاتبها وبالدين الذي يدعو إليه؛ بيد أن الإعجاب بالمودودي بلغ مداه في عام ١٩٥٣م حين حكمت المحكمة العسكرية الظالمة على المودودي بالإعدام، فقد أدهش بانكي رام ما تمتع به المودودي من صبر وجلد ورضا بقضاء الله، وما تزين به من استعلاء إيماني جعله يرفض تقديم استرحام لتخفيف الحكم الظالم الصادر بحقه.

موقف تأثر به الشاب بانكي رام، فقد «كنت أظن أن الذين يقابلون قدر الله بالرضا والابتسام قد اختفوا في زوايا التاريخ»<sup>(٢)</sup>.

خطا بانكي رام خطوةً إلى الوراء؛ وإن شئت فقل إلى الأمام، حين عاد إلى كتب الهندوس الدينية المسماة بالفيدا (الويدا) ينشد فيها شفاء الصدر مما يضيق به، فلم يجد في

---

(١) لماذا قبلت الإسلام؟ (قصص للمسلمين الجدد) ، د. خالد حامدي فلاح، ص (١٤٥).

(٢) من ظلمات الوثنية إلى ضياء الإسلام، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مقال منشور في مجلة الجامعة الإسلامية.

أسفارها إلا خرافاتٍ تدعو إلى عبادة الأشجار والأحجار  
والبهائم التي لا تضر ولا تنفع «فكان مثلي بعد دراسة  
الويدا كمثّل رجل فر من المطر خوف البلل، فوقف تحت  
الميزاب، أو كما قال الشاعر:

والمستجير بعمر و بعد كربته

كالمستجير من الرمضاء بالنار»<sup>(١)</sup>.

كيف لبانكي رام وهو الشاب المثقف أن يصدق كتباً  
تنادي بتعدد الآلهة، فتجعل لكل مظهر من المظاهر  
الطبيعية حولنا إلهاً مختصاً به، ف «أغني» إله للنار بزعمهم،  
و«فايو» للهواء، و«أندرا» للرعْد، و«سورَيا» للشمس،  
و«أرونا» للسماء، و«فشنو» للرزق، بينما تزعم هذه الكتب  
أن الخالق «وشو» شبيه للإنسان، وأنه له أعيناً كثيرة وأيد  
وأرجلاً، وأنه يتعب فيسترد قوته بالأضحية التي تذبح له،  
فتمده بالقوة التي ينزل بها المطر ويسير الكون.

كيف لعاقل مثل بانكي رام أن يصدق أن إله الآلهة  
بزعمهم «بيرميشور» خلق من ذاته ماء، وألقى فيها نطفة،  
فصارت بيضة خرج منها براهما الذي كسر البيضة إلى  
نصفين، فخلق الجنة من أحدهما، والسموات والأرض وما  
بينهما من النصف الثاني، والكون بحسب معتقدات هؤلاء  
باق ما بقي هذا الإله المزعوم مستيقظاً، فإذا غفل عن

---

(١) لماذا قبلت الإسلام؟ (قصص للمسلمين الجدد)، د. خالد حامدي  
فلاحي، ص (١٤٧).

مخلوقاته ونام؛ قامت القيامة! ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ (٢) ﴿الفرقان﴾.

وقد نقل الأعظمي بعد إسلامه فقرات من هذه الكتب تكفي لكشف ضعفها وتبيان ركاكة موضوعها، فقد جاء في أسفار (الريج فيدا) أن الملائكة تقول لـ«إندرا» (إله المطر): «يا إندرا، إن فشنو (إله الرزق) يطبخ لك مائدة من الجاموس»، وتقول: «إن إندرا مع العُباد يطبخ الثور السمين»، وكذلك فإن الإله المزعوم إندرا يقول: «اطبخ لي خمسة عشر ثوراً، وأنا آكله فأكون سميناً»<sup>(١)</sup> فكيف لمثل هذه المقولات أن تقنع بانكي رام أو غيره بدين هكذا حاله!

اقترب بانكي رام من الإسلام أكثر حين قرأ ترجمة معاني القرآن الكريم لخواجة حسن نظامي، ثم تعزز اقتناعه بالإسلام لدى حضوره درس قرآن يقيمه أستاذه في كلية شبلي، لقد أصبح على أعتاب الإسلام، وما يؤخره عن الولوج إلى أفيائه إلا تخوفاته من ردة فعل أهله، وهم المتعصبون الكارهون للإسلام والمسلمين.

مخاوف تغلب عليها بانكي رام وتخلص منها في أواسط عام ١٩٦٠م، حيث قرأ أستاذ القرآن قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ

(١) فصول في أديان الهند ، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص (٢٨)-

أَلْعَنَكُبُوتٌ أَخَذَتْ يَتِيًّا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَيَبْتُ  
 أَلْعَنَكُبُوتٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ (العنكبوت)، وفسره  
 بتمثيل علاقة بيت العنكبوت بكل علاقة بشرية لا يرضى  
 عنها الله تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا أَخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثِنًا مَّوَدَّةَ  
 بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ  
 وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن  
 نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ (العنكبوت)، فهزت الكلمات أعماق بانكي  
 رام، فأعلن إسلامه في مجلسه ، «انشرح صدري للخروج  
 من دين آبائي وطرح هذه العقيدة الجاهلية، والدخول في  
 الإسلام، فسجدت شكراً لله القائل: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ  
 الْإِسْلَامُ ﴾ (آل عمران: ١٩)»<sup>(١)</sup>، لتبدأ حياة جديدة يمتزج  
 فيها إيمان محمد ضياء الرحمن بالمحنة، والسعادة  
 بالخوف «أحسست بأني خرجت من الظلام الدامس إلى  
 النور الساطع، ومن الحفرة العميقة حتى رَقَيْتُ إِلَى أَعْلَى  
 عَلِيَيْنِ .. شَعَرْتُ بِمَقْصَدِ الْحَيَاةِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، وَأَحْسَسْتُ أَيْضًا  
 بِالْبُيُوتِ الشَّاسِعِ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ»<sup>(٢)</sup>.

وإذا تساءلنا عن الأسباب التي قادت الأعظمي إلى  
 الإسلام؛ فإنه يجيب: «الأمر التي حملتني على الدخول  
 في الإسلام: أن الإسلام ليس ديناً موروثاً عن الآباء، بل

(١) لماذا قبلت الإسلام؟ (قصص للمسلمين الجدد) ، د. خالد حامدي

فلاح، ص (١٤٨-١٤٩).

(٢) المصدر السابق، ص (١٥٠).

هو لكل من يفتح له صدره، [وكذلك] ليس في الإسلام فوارقٌ جنسية ولا عصبية جاهلية، فقد قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات)»<sup>(١)</sup>.

وهذه الخصلة من خصال الإسلام لا يعرفها حق المعرفة إلا الأعظمي وأمثاله ممن كابد العنصرية البغيضة حيث تقسم الهندوسية المجتمع إلى أربع طبقات: أعلاها طبقة «البراهما» التي يزعمون أنهم خلقوا من فم الإله، ويختصون بأمور العبادة. والثانية طبقة «الشثري» المختصون بالحرب والسلاح، ويزعمون أنهم خلقوا من ذراع الإله. والطبقة الثالثة هي «الويش»، وبحسب زعمهم فقد خلق هؤلاء من فخذ الإله للفلاحة والزراعة. وأما الطبقة المسحوقة، والتي ينزلونها منزلة الحيوانات، فهي طبقة «الشودر» (المنبوذون) التي ينتمي إليها الأعظمي ومعظم الهنود، وهؤلاء بحسب كتب الهندوس المقدسة مخلوقون من رجل الإله لخدمة الطبقات الأخرى في المهن التي يرونها حقيرة.

يقول الأعظمي: «وجعلوا «الشودرا» في أرذل الطبقات البشرية، وجردوهم من جميع الخصال الإنسانية، فهم كالحيوان، بل أذل منه؛ إذ تقدس البقرة وتُعبَد، بينما تهان طائفة «الشودرا»، والله إنه لجور وعدوان على الجنس

(١) المصدر السابق، ص (١٥١).

البشري، ولا سبيل إلى إنقاذ هذه الفئة من الناس إلا بدعوتهم إلى سماحة الإسلام الذي يجعل التقوى مقياساً للشرف والكرم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد دفع هذا النظام الجائر عشرات الألوف من طبقة «الشودرا» للانتقال إلى الإسلام؛ وهو ما أصاب الهيئات الدينية الهندوسية بالذعر، ودعاها إلى مراجعة قوانينها الدينية، وإصلاحها.

وبالعود إلى قصة الأعظمي<sup>(٢)</sup>، فقد تسرب خبر إسلامه إلى أهله، وبدأت الضغوط تلاحقه بدءاً من عرضه على الكهنة الهندوس بزعم إخراج الأرواح الشريرة منه، ومروراً بوضعه في الإقامة الجبرية في البيت، وحبس الطعام والشراب عنه، وضربه بالعصي والنعال، وليس انتهاء بمحاولة أخواته ووالدته استعادته إلى الكفر الذي فر منه بواسطة البكاء والدموع، ثم إضرابهم عن الطعام حتى يرجع محمد إلى (بانكي رام)، فيدين من جديد بدين الآباء والأجداد.

لم تلن قناة الشاب المؤمن، ولا تلجلج في إيمانه، بل زاد استمساكه بدينه بذات القدر الذي أظهره أهله في تنويع وسائلهم في التأثير عليه، فقد جادت قريحتهم أخيراً باستدعاء النساك ليحاوروه، ولعلمهم بالحجة يغلبونه،

---

(١) فصول في أديان الهند، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص (٥٥).  
(٢) لماذا قبلت الإسلام؟ (قصص للمسلمين الجدد)، د. خالد حامدي فلاح، ص (١٥٠-١٥٤).

فتصدى لهم الأعظمي خمسة عشر يوماً يناظرهم، يرحمهم بأسئلته تارة، ويلقهم بإجاباته تارة، حتى أعيتهم الحيل، وسُدت في وجوههم الفُرج، فعرضوا عليه إذا أُصر على ترك الهندوسية أن ينتقل إلى النصرانية، فالمسلمون فقراء، والنصارى أغنياء، فلعله يصيب بعض دنياهم، وسألوه كيف تختار الإسلام والمسلمون يعانون ما يعانون من الفرقة والضعف والتخلف التقني؟ فأجابهم بأنه اختار الإسلام لا المسلمين، وتحداهم أن يأتوه بمثلية واحدة تطعن في دينه القويم.

أسقط في يد الأسرة الهندوسية، فقرر والده تسليمه إلى منظمة هندوسية متطرفة معروفة بوحشيتها، وقد تخصصت في تعذيب أبناء الهندوس المهتدين إلى الإسلام، فهرب منهم، وأقام في شظف من العيش، وهم يطاردونه من مدينة إلى أخرى حتى استقر به المقام في مدينة مدراس في جنوب الهند، حيث أقام ست سنوات في مدرسة دينية تدعى (جامعة دار السلام)، وفيها تعلم العربية والأردية، وحاز الكثير من العلوم الإسلامية، قبل أن يطلب العلم في ربوع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فدرس فيها الحديث النبوي، ثم نال درجة الماجستير في جامعة الملك عبد العزيز، ثم الدكتوراه من الأزهر الشريف، وعاد إلى المدينة المنورة، ليتفرغ فيها للتدريس الجامعي والتأليف، فكتب العديد من الكتب النافعة، ومن أهمها «دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند»

و«المئة الكبرى شرح وتخريج السنن الصغرى» و«دراسات  
في الجرح والتعديل» و«المدخل إلى السنن الكبرى  
للبیهقي» و«معجم مصطلحات الحديث».  
نسأل الله لنا ولشيخنا الأعظمي الثبات على الإيمان.

\* \* \*

## (مريم جميلة) مارجريت ماركوس

كان مفاجئاً لكل المتابعين انتشار الإسلام بين النساء ودخولهن فيه بنسب فاقت الرجال في معظم البلدان التي تشهد زيادة مطردة في عدد معتنقي الإسلام.

ولقد تساءل هؤلاء طويلاً عن السر في تحول المرأة من حياة اللهو والسفور إلى حياة لا تخلو من بعض الضوابط التي تلزم المرأة وتقيد ملبسها ومظهرها، وتحد من اختلاطها بالرجال، كيف يعتنق هؤلاء النسوة الإسلام مع أن الدعاية الكاذبة عنه لا تفتأ تحذر من اضطهاد مزعوم للمرأة وهضم لحقوقها في ظل الإسلام؟

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ (الأنفال):

(٣٠)

"مارجريت ماركوس" أو "مريم جميلة" هي واحدة من النساء اللاتي سمعن الكثير من الأقاويل الكاذبة عن الإسلام، فقد ولدت عام ١٩٣٤م لأبوين يهوديين من أصل ألماني، لكنها لم تلبث إلا قليلاً لتتحول مع عائلتها إلى مذهب إلحادي تديره جمعية تدعى جمعية الثقافة الأخلاقية، وتدعو إلى فكرة تغير القيم والأخلاق بحسب الزمان والمكان، فما يعد فضيلة في مجتمع قد يكون - بحسبهم - رذيلة في مجتمع آخر أو في زمان آخر.

وبعد عشر سنوات من الضياع مع هذه الجمعية؛ قررت أسرة مارجريت الانتقال إلى النصرانية واتباع كنيسة إصلاحية ترفض التثليث.

لكن مارجريت لم تتابع عائلتها في هذه النقلة، بل اتجهت إلى اعتناق البهائية التي اجتذبتها بدعوتها المزعومة إلى تحقيق وحدة الجنس البشري بتوحيد أديانه وصهرها في دين واحد يسع الجميع، فمضت تغرق في دركاتها سنة كاملة قبل أن تقرر تركها لتعود إلى اليهودية متأثرة بأستاذها في جامعة نيويورك الحاخام البرفسور كاتش، فقد درست عنده مادة اليهودية والإسلام، والتي لخصها الحاخام بقوله : الإسلام دين مقتبس من اليهودية والفرق المسيحية القديمة.

رغم تأثرها بالحاخام كاتش؛ فإن مارجريت لم تستطع رؤية هذا التشابه المزعوم، فشغفها بالقراءة والاطلاع مكنها من اكتشاف حقيقة مهمة، يلخصها أن الإسلام يختلف في أصوله وفروعه عن أديان أهل الكتاب، وأنه يرفض كافة صور تشبيه الله بخلقه التي تمتلئ بها كتب اليهودية، وليس فيه شيء من الأساطير التوراتية والأخطاء العلمية والتاريخية التي تمتلئ بها كتب أهل الكتاب.

استمعت مارجريت إلى القرآن الكريم أول مرة بسبب ولعها بالموسيقى العربية، وتنقلها بحثاً عنها بين الإذاعات العربية، استمعت إليه فأعجبها أداء قرائه من غير أن تفهم معانيه أو تنصت إلى نداءاته.

مرضت مارجريت بمرض ألزمها سرير المستشفى سنتين، كانتا فرصة لها لقراءة ترجمة القرآن الكريم لأول مرة، لكنها للأسف كانت ضحية لترجمة شوهاء كتبها

المستشرق جورج سيل، وملاها بالتحامل على القرآن الكريم، والدعاوى التي أقنعت مارجریت - ولو لبرهة - بأن القرآن منحول من أساطير أهل الكتاب.

ولأن الله يخبئ لها الخير في أسفار قدره؛ فقد أدركت مارجریت تحامل جورج سيل على القرآن الكريم، ورفضت دعاويه، وتخلصت من غشاوة أوهامه، واطلعت على ترجمة معاني القرآن الكريم التي أعدها المهتدي إلى الإسلام محمد مرامدوك بكتول، ترجمة أحببها مارجریت، فقد أسفرت لها عن المضامين الحقيقية لهذا القرآن العظيم، إذ لم ينح بكتول في ترجمته إلى المنهج الاعتدالي الضعيف الذي يقدمه بعض المسلمين المهزومين ثقافياً في تفسيرهم للقرآن أو أحكامه التي يرومون المصالحة بينها وبين القيم المادية الغربية.

أدركت مارجریت ماركوس أن القرآن الكريم هو وحي الله تعالى، وأنه الكتاب الذي ارتفع بالعرب، فصنع أمة مدوية في التاريخ على أنقاض قبائل متناحرة غارقة في الجهل والوثنية، تقول مارجریت: «الإسلام فقط هو الذي جعل العرب أمة عظيمة، وبدون القرآن فمن المحتمل أن اللغة العربية كانت ستكون منقرضة الآن. وفي أحسن الأحوال، بدون القرآن تكون غير مشهورة كالزولو. كل الآداب والثقافة العربية مدبنة للقرآن الكريم، وتعتمد عليه. وبدونه كانت الآداب والثقافة لا قيمة لها».

وشرعت مارجریت في المقارنة بين القرآن وأسفار

التوراة التي يؤمن بها اليهود والنصارى، فمفهوم الموت والنشور الذي تخافه مارجریت غامض في الإنجيل، وغائب في التوراة، لكنه واضح المعالم في القرآن الكريم، الذي وجدت في أفناء سوره إجابات مقنعة لمشكلات الحياة الكبرى ولكثير من الأسئلة التي صدعت رأسها أثناء تجوالها بين الأديان والعقائد؛ اليهودية ثم الإلحاد ثم البهائية.

كل يوم يمضي كان يبعد مارجریت عن الحياة الغربية البائسة، فقد كانت كما وصفها المودودي «كنبته استوائية زُرعت في منطقة قطبية»، ولم تكن لتقوى - وهي الأثني الضعيفة - على مواجهة هذا الواقع وحيدة، فكسرت جدار العزلة الذي يلفها بمراسلة أعيان الفكر الإسلامي في العالم، أرسلت إليهم تسألهم وتستفسر منهم، وترجو الطمأنينة والأمن النفسي في إجاباتهم التي ظفرت منها بالكثير من الفوائد التي أعانتها في طريق رحلتها إلى اكتشاف الحقيقة.

ولعل الإمام المصلح أبا الأعلى المودودي كان أبرز من راسلته مريم جميلة وأبلغهم تأثيراً في مجرى حياتها، فقد أهداها كتبه، فقرأت فيها - من معاني الاعتزاز بالإسلام والتعالي على الفلسفات المادية - ما أثار الكثير من إعجابها، وتميزت مراسلاته المتتابة معها بالكثير من الصدق والموضوعية التي تليق بعلم رجل كبير في حجم المودودي رحمه الله، وقد نشرت تلك المراسلات بينهما في

كتاب خاص، وهي منشورة على شبكة الإنترنت.  
ورغم أصولها اليهودية؛ فإن مشاعرها الإنسانية  
فاضت برفض احتلال أبناء دينها اليهود لأرض العرب في  
فلسطين، وحكت قصتها "أحمد خليل" قصة فلسطيني  
شرده الاحتلال عن قريته التي دُمرت بآلة البطش والبغي  
الصهيونية المدعومة من القوى الاستعمارية الغربية.  
بعد عشر سنوات من البحث والتمحيص والدراسة  
والمراسلة مع المودودي وغيره من علماء ودعاة الإسلام؛  
قررت مارجريت التحول إلى مريم جميلة ، فأعلنت  
إسلامها في يوم عيد الأضحى المبارك في عام ١٩٦١م في  
مسجد بروكلين في نيويورك، لتعاني بعده الشابة المهتدية  
مريم جميلة المزيد من ضراوة الغربة القاسية التي كانت  
تُقْض حياتها وتزيد عزلتها عن المجتمع الذي تعيش فيه.  
بُعيد إسلامها أعدت مريم جميلة خطبة تعبر فيها عن  
اعتزازها بالإسلام، وكان عنوانها "هل يمكن للإسلام أن  
يتوافق مع روح القرن العشرين؟"، وقد ألقاها على منبر  
الجمعة أحد الطلاب المصريين، وتضمنت الخطبة رفض  
الاتجاه التغريبي الذي ينبهر به بعض المثقفين الذين يسمون  
أنفسهم بالتقدميين، ويطلبون باستبدال الشريعة الإسلامية  
بالقوانين الوضعية، والأخوة الإسلامية بالرابطة القومية؛  
علاوة على مطالبتهم بما يسمونه «تحرير المرأة»، والمقصود  
تبنيتها للقيم الغربية وإبعادها عن دينها وقيمها الإسلامية.  
وقد كتب المودودي لها مهنتاً ومتعجباً من هذا

الوعي الكبير: «لقد درستُ خطبتك ليوم الجمعة بدقة، وأؤكد لك أن ما ذكرته هو نفس ما كنت أردده لمدة ثلاثين عاماً باستمرار، وذلك هو السبب في أن المحدثين يخافونني كخطر عليهم، وأنا أتعجب كيف تسنى لبنت وُلدت ونشأت في أمريكا أن تكون قادرة على استيعاب المشكلة بهذا العمق؟.. ما ذكرته في خطبتك لا يثير في نفسي إلا التقدير العميق، داعياً الله أن يزودك بالحكمة والثبات على توضيح وتعزيز قضية الإسلام».

دعاها المودودي رحمه الله إلى الهجرة من أمريكا إلى باكستان، والإقامة في بيته وبين أسرته في لاهور، وتلمس أن يستعيد في مقدمها سيرة الأنصار الذين فتحوا بيوتهم لإخوانهم من المهاجرين الفارين بدينهم من مكة المكرمة ، وصارحها بما سيواجهها من صعوبات في حال وصولها إلى باكستان التي تفتقر إلى الكثير من وسائل الترف والمدنية التي تعرفها مريم في أمريكا، وتعهد رحمه الله في رسالة وجهها إلى والديها برعايتها في باكستان كواحدة من بناته، فأذنا لها بالسفر، لتتخلص من غربتها الشعورية في بلدها، ومن آصار الحياة المادية الغربية التي سئمتها .. فهي تختصر غاية الخلق وآمال المخلوقين في دنيا قصيرة زائلة .. اختارت مريم أن تعيش بين إخوانها المسلمين، وأن تنعم بقيم الإسلام، وتتزوج الأستاذ محمد يوسف خان، وتنجب له أربعة من الأبناء.

وفي باكستان بدأت مريم جميلة حياتها في المجتمع

المسلم بالدراسة والبحث والتأليف، وقدمت للمكتبة الإسلامية عشرة كتب تميزت بالوضوح والنضج والاتزان، وكان أهمها كتاب (الإسلام في مواجهة الغرب)، و(رحلتي من الكفر إلى الإيمان)، و(الإسلام والتجديد) و(الإسلام في النظرية والتطبيق)، فأسفرت كتبها عن ذهنية ناضجة وفكر فاحص واع؛ وبخاصة حين درست الإسلام وعلاقته بالأديان الكتابية وبالفلسفة الغربية، وتحدثت بكثير من الألم عن صور الاستلاب الحضاري ومشاعر الدونية الثقافية التي رأتها عند كثير من المسلمين المفتونين بالحضارة الغربية؛ حيث أصاخوا السمع - بل والقلب - إلى مزاعم الغربيين أن «الإسلام مضى زمانه، وأنه غير ملائم لهذا العصر»، فرأت أن بعض المسلمين الموافقين لهم هم أقمار، بل توابع تدور في أفلاك أولئك الغربيين الذين أفسدوا الحياة الثقافية والتعليمية في المشرق الإسلامي، وصنعوا هامة من كل رقيق يتهم الإسلام بالرجعية والتأخر، وهو يزعم الانتساب إليه، ورأت مريم أن هؤلاء الشائنين «يعانون من صراع في الولاء، فهم نتاج مدينتين متضادتين تماما، ولا يتمون إلى أية واحدة منهما... والنتيجة هي صراع نفسي حاد الألم، ولأجل أن يحصلوا على الراحة العقلية؛ يضطرون إلى أن يفسروا الإسلام على أنه موافق لطريقة الحياة التي يرغبون أن يسيروا عليها»<sup>(١)</sup>.

وبعد عشرين سنة من دخولها في الإسلام أرسلت مريم جميلة إلى والديها رسالة نصح وإشفاق؛ تصف فيها

---

(١) مقالها في مجلة حضارة الإسلام، العدد الثاني، السنة الرابعة، أيلول

١٩٦٣، ص ٧٩-١٠٢.

الحياة الغربية وأسباب الشقاء الذي تعانیه البشرية برؤية متقدمة تشبه الحياة الغربية بـ«روما» القديمة التي اضمحلت وأصبحت أثراً بعد عين. تقول: «الواقع أن هذا الانحدار كان واضحاً منذ الحرب العالمية الأولى: الفوضى الأخلاقية في غياب أية قيم محترمة، أو معايير ثابتة للأخلاق والسلوك، والهوس الجنسي الفاسد، وانتشاره في وسائل الإعلام الترفيحية، سوء معاملة الكبار في السن، معدلات الطلاق التي في ارتفاع متزايد بين الأجيال الحديثة، والزواج الدائم السعيد أصبح نادراً، الاعتداء على الأطفال، تلوث البيئة، استنزاف الموارد النادرة وذات القيمة، الأوبئة التناسلية، الاضطرابات العقلية، إدمان المخدرات والكحوليات، الانتحار كعنصر متقدم في أسباب الوفيات، الجريمة، التخريب، الفساد الحكومي، واحتقار القانون بصفة عامة... السبب في ذلك هو فشل العلمانية، والمادية، وغياب القيم الأخلاقية، وتجاوز التعاليم الإلهية، والقيم الأخلاقية».

قصة مريم جميلة مع الإسلام يوجزها قولها: «منذ بدأت أقرأ القرآن عرفت أن الدين ليس ضرورياً للحياة فحسب، بل هو الحياة بعينها، وكنت كلما تعمقت في دراسته ازددت يقيناً أن الإسلام وحده هو الذي جعل من العرب أمة عظيمة متحضرة سادت العالم».

رحمها الله، وأسكنها فسيح جناته.

## الدكتور المستشار ( محمد ) مجدي مرجان

ولد الدكتور مجدي حليم مرجان عام ١٩٣٩م في صعيد مصر لأبوين نصرانيين ميسورين، لكنهما مختلفان، فالأم أرثوذكسية متعصبة، والأب إنجيلي برتستنتي منفتح على المسلمين، فقد كان يداوم مع صديقه محمد توفيق المعارجي على حضور خطبة الجمعة في المسجد وقُداس الأحد في الكنيسة.

تعرف مجدي منذ نعومة أظفاره على الإسلام من خلال صداقته لأبناء مدرسته الابتدائية، فقد كان يشاركهم حصص التربية الإسلامية التي كان يرفض الخروج منها، ويحبذ حضورها معهم، وربما طلب منه الأستاذ أن يقرأ بعض آيات القرآن وأن يلقيها في طابور الصباح. ومنذ ذلك الحين اعتاد مجدي أن يضيف في كراساتهِ الدراسية لاسمه اسم محمد ، محبةً في النبي ﷺ الذي كثيراً ما كان يراه في المنام وهو يسلم عليه.

وهب والد مجدي الكنيسة قطعة أرض، فكافأه أسقف الكدراية برسم ابنه مجدي شماساً في الكنيسة، وهو ما جعله أقرب إلى رجال الكنيسة، فعرف دقائقهم، وتفتحت عيناه على حقائق أبعدته بعيداً بعيداً عن المسيحية، وكلما اقترب من الكنيسة ازداد بُعداً ونفوراً من المسيحية، فقد كره منها رجال الدين الذين يظهرون بسيمة الحملان، وقلوبهم أمكر من الثعالب، رأهم وهم يجمعون

النقود بعد الصلوات فيما يسمونه «لَمَّ الطبق»، ثم يتنازعون ويتشاجرون - أو يكادون - على تقاسمه بدل أن يوزعوه على الفقراء والمحتاجين.

كره مجدي أيضاً ما رآه من طقوس وثنية تغلب على دينه، فالكنائس ملاءى بالصور والتماثيل التي ينحني الناس لها ويركعون إجلالاً، تساءل هل يمكن أن يكون هذا دين المسيح الذي كان مصداقاً بتعاليم الله إلى موسى عليه السلام: «أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر، من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة ما، مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض» (الخروج ٢٠/٢-٤).

واستاء مجدي جداً من شرعة الاعتراف الكنسي، حيث يقف الخاطئ أو الخاطئة بين يدي القس، وهو مثله في الخطأ والعصيان، فيبوح بسر خطيئته بين يديه، ويهتك ستر الله عليه، ويفضح نفسه، ثم قد يصبح ضحية لقس يبتز ضحاياه ويهددهم بكشف المغطى، فقد اطلع على سوءته وعرف نقطة ضعفه وانكساره.

وكثيراً ما كان اعتراف خاطئة بين يدي قسيس؛ بوابة لما لا يحمد ذكره، ولا يتوقع دفعه، فكان مجدي يتساءل: لم نحتاج إلى هذه الوساطة لننال المغفرة، ولا يحتاجها المسلمون الذين يستغفرون الله بلا وسيط ولا فضيحة، فإلهم يحبهم إذا تابوا من خطاياهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾

وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿البقرة: ٢٢٢﴾.

لكن الداهية التي أظلم لها قلب مجدي كانت التثليث، عقيدة أعيب العقلاء فهمها، حتى جعله القس توفيق جيد في كتابه "سر الأزل" من المستحيلات، التي لا طائل حتى من محاولتها، لأن «الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه، وإن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كلها في كفة»<sup>(١)</sup>.

وقد تأكد مرجان بنفسه من استحالة فهم الثالوث «ولقد قمت بنفسي بمناقشة كثير من الإخوة المسيحيين في مدى فهمهم وتقبلهم لهذه العقيدة.. وكثير منهم أصدقاء وأقارب يولونني ثقتهم، ويصدقونني في الحديث، فأخبروني أنهم لا يستطيعون فهم كنه الثالوث المقدس، وأن كثيرين منهم يعيشون في صراع بين عقولهم وموروث معتقداتهم»<sup>(٢)</sup>.

واستعرض مجدي الأسفار المقدسة يبحث فيها عن دليل للتثليث يروي ظمأ عقله، فلم يجد حرفاً واحداً يرضي ضميره، فالتثليث صناعة المجامع الكنسية في القرن الرابع الميلادي، ولا يعرف عنه المسيح ولا حواريوه شيئاً، بل حتى رجال الدين في القرون الأولى لم يسمعوا عن التثليث، وكانوا يعتبرون المسيح والروح القدس مجرد

(١) الله واحد أم ثالوث؟، محمد مجدي مرجان، ص (٥٨).

(٢) المصدر السابق، ص (٦٠).

مخلوقين كريمين، واستدل مرجان لذلك بقول الأسقف مقدونيوس، أسقف القسطنطينية: «الروح القدس عمل إلهي منتشر في الكون، وليس بأقنوم متميز عن الآب والابن، مخلوق يشبه الملائكة، ذو رتبة أسمى منهم»، ونقل عنه قوله: «أما الروح القدس فهو مخلوق مصنوع»، ومثله عن قول أسقف اللاذقية أبولينارس: «الروح القدس عظيم، والابنُ [المسيح] أعظم، والآبُ [أي الخالق] هو الأعظم»<sup>(١)</sup>.

ووجد مرجان في نصوص الإنجيل ما يؤكد أن عناصر التثليث - التي تدعي الكنيسة تساويها في جوهر الألوهية - متفاوتة القدر، فبعضها أعظم من بعض، والله هو الأعظم منها، وهو المستحق دونها للعبادة، فالمسيح يقول: «أبي أعظم مني» (يوحنا ١٤/٢٨)، والمسيح رسول الله، ويقول: «الحق الحق أقول لكم: إنه ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مرسله» (يوحنا ١٣/٢٦)<sup>(٢)</sup>.

بل إن نصوص الإنجيل تدحض عقيدة التثليث، وتثبت عدم أصالته «ولا تدعوا لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد، الذي في السماوات [أي ربكم واحد وهو الله]، ولا تدعوا معلمين، لأن معلمكم واحد، المسيح» (متى ٢٣/٩-١٠)، وقد قال المسيح للشيطان: «اذهب يا

(١) المصدر السابق، ص (٣٣).

(٢) المصدر السابق، ص (٢٧، ٣٣).

شيطان، لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد» (متى ١٠/٤).

ومصداق ذلك في القرآن ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ  
أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ  
الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ  
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا بِلِلَّهِ إِلَهٌ تَالِثٌ تُلَدُّهُ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ  
يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ  
﴿٧٣﴾ (المائدة: ٧٢-٧٣).

وتوقف مرجان في كتابه الماتع مع محاولة الكنيسة  
تجميل التثليث بالقول بأنه ثلوث توحيدي، ثلاثة في  
واحد، وواحد في ثلاثة، فقال: «هذا المزج على استحالته  
يزيد الأمر تعقيداً، واللغز غموضاً! فكيف يكون الواحد  
ثلاثة؟ والثلاثة واحداً؟ هل يجتمع النقيضان؟ وهل يمتزج  
الضدان؟ هل يجتمع الخطأ والصواب؟ وهل يختلط النور  
بالظلام؟ وهل يمتزج الحق بالباطل؟ نقول: هيهات  
هيهات»<sup>(١)</sup>.

وهكذا باءت بالفشل كل محاولات مرجان في فهم  
التثليث، فهرب من النصرانية إلى دراسة الأديان المختلفة  
«ولقد بذلت جهداً كبيراً في محاولة إقناع عقلي وفكري  
بظروف ولادتي ونشأتي التي تحتم علي الإيمان بالله  
الثلوث بحكم الوراثة والتقليد والانسياق والعادة، لكنني

(١) المصدر السابق، ص (٤٣).

فشلت في هذا ، فذهبت أبحث العقائد الاخرى في حياذ  
وتجرد عن كل ظروف البيئة والمولد»<sup>(١)</sup>.

وخلال دراسته في الأديان اكتشف مرجان أصالة  
التوحيد في التاريخ البشري رغم اتساع رقعة الوثنية في  
حياة الأمم المختلفة، فإن بذرة التوحيد لم تخب، وقد  
عبرت عنها قصائد ومنقولات الفرعون أمنحتب الثالث  
وابنه أخناتون وغيرهم من فلاسفة العالم، الذين رفضوا  
الاعتراف بالشرك الوثني، والذي كان التثليث واحداً من  
صوره، فقد كشف مرجان أن التثليث معتقد قديم وفد على  
المسيحية من الأديان الوثنية السابقة عليها، فالمصريون  
القدماء كانوا يؤمنون بالثالوث (أوسيري، هور، إيس)،  
والهنود كذلك آمنوا بالثالوث (سافستري، آني، فايو)،  
ولهم فيه أمانة تشبه، بل تتطابق - فيما عدا الأسماء - مع  
صيغة الأمانة التي أصدرها مجمع نيقية عام ٣٢٥ م ﴿قُلْ  
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ  
قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ  
السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ٧٧).

مرجان كان قارئاً نهماً، وقد أوصلته قراءاته إلى نتيجة  
صادمة، لكنها صحيحة، وهي أن المسيحية بعقائدها  
وعباداتها الشركية نسخة معدلة ومنقحة بعض الشيء عن  
الديانات الوثنية السابقة، وأنها ليست الدين الصحيح الذي

---

(١) المصدر السابق ، ص (٥).

نزل به عيسى موافقاً لمن قبله وبعده من الأنبياء، فكلهم دعوا إلى «دين واحد ألقى بذرته آدم، وجاء نوح فأنماه ساقاً، وتبعه إبراهيم فرواه فروعاً، ثم أتى موسى فتعهده ورقاً، وتبعه عيسى فرعاه زهراً، ثم جاء محمد فأنضجه ثمراً شهياً، دين واحد ... شجرة ضخمة ، أصلها ثابت وفرعها في السماء»<sup>(١)</sup>.

في عام ١٩٦١م أسلم الشاب مجدي، وتسمى رسمياً باسم محمد مجدي مرجان، وهو حدث لم يمر عابراً في قريته التي ماجت وهاجت، وتقاطر القسس إلى بيته يعظونه مرة، ويهددونه مرة، ويرغبوه الثالثة، ولمّا لم يُجدِ معه نصحهم، ولا أخافه تهديدهم؛ تعرض للقتل في محاولات عديدة سلمه الله من شرها.

نال محمد مجدي مرجان شهادة الدكتوراه في الحقوق والقانون من جامعة القاهرة، وتدرج في سلك القضاء حتى وصل إلى رئيس محكمة الجنايات والاستئناف العليا، ثم حصل على دكتوراه أخرى من القانون الدولي من جامعة بوردو الفرنسية، وهو اليوم رئيس المنظمة العالمية للكتاب الأفروآسيويين، وهي منظمة تنشط في العمل مع المثقفين والمؤلفين في قارتي آسيا وأفريقيا.

كتب الدكتور محمد مجدي مرجان أربعة كتب، طبع

---

(١) المصدر السابق ، ص (١٣٨).



## (الحاج مالك شباز مالكوم إكس)

مالكوم إكس أو الحاج مالك شباز واحد من أهم رجال الولايات المتحدة الأمريكية في القرن الماضي، كيف لا وهو أحد أهم أفراد منظمة "أمة الإسلام" التي ينتظم فيها الملايين من السود في أمريكا، وأحد أشهر المناضلين ضد التمييز العنصري الذي تعرض له السود في أمريكا.

ومالكوم إكس ليس الاسم الحقيقي للشباب الأسود المتدفق حيوية، لكنه اختار هذا الاسم (إكس) للتعبير عن مجهولية الأصل أو البلاد التي ينحدر منها أسلافه؛ قبل أن يؤتى بهم عبيداً إلى القارة الأمريكية، فهو ابن القس الأسود "إيرل ليتل"، الذي لم يجد كنيسة تتولى مراسم دفنه لسواد بشرته، فشيح من دكان حانوتي.

غير بعيد عن تمثال الحرية ولد مالكوم إكس عام ١٩٢٥م في الولايات المتحدة الأمريكية؛ في وقت كان السود يعانون فيه أبشع أنواع الاضطهاد العرقي والتهميش المجتمعي، ولكم ألمه نداء أقرانه له في المدرسة بـ"مالكوم الزنجي"، لكن ما قتل براءة الطفولة فيه كان مقتل والده وعددٍ من أفراد عائلته على يد عصابة عنصرية من البيض (كوكلوكس كلان)، لتتعطل مسيرة الشاب الذي طمع بدراسة المحاماة، فأطاش الفقر واليتم أحلامه، فطرد من مدرسته، لينتقل بين عدد من المهن، قبل أن يستبدلها بحياة

للصوصية والإدمان، ليقضي أربع سنوات من عمره في السجن، سنوات عمقت كراهيته للرجل الأبيض، وشوهت كل ما يتعلق به، حتى أطلق عليه "أشد السود غضباً في أمريكا".

في سجن كونكورد حيث يقضي مالكوم عقوبة السجن وصلت إليه رسالة من أخيه فيليبرت، يخبره فيها أنه اهتدى إلى الإسلام، وأن هذا الدين هو دين الرجل الأسود، وفقاً لمعتقدات جماعة "أمة الإسلام"<sup>(١)</sup>، فقبل مالكوم الدعوة، وانطلق يقرأ في مكتبة السجن الكثير من الكتابات التي رسخت عنصريته، وقد أوضحى بفضل اطلاعه الكبير مثقفاً موهوباً يعتز بسواد لونه، ويؤمن بحاجة السود للتحرر من المظالم التي يتعرضون لها، ولم يعرف من دينه الجديد إلا أنه دين السود كما تزعم جماعة "أمة الإسلام".

خرج مالكوم من السجن سنة ١٩٥٢م، ليرى مجتمعاً زنجياً آخر غير الذي كان يعرفه، يقول: «أذهلتني أخلاق المسلمين التي لم أكن قد رأيت لها مثيلاً بين الزنوج.. هزنتني طريقة السلام عند الرجال، حيث يأخذ الرجل يد أخيه بين يديه، والبسمة على شفثيه، ولسانه يلهج بعبارات الفرحة باللقاء»<sup>(٢)</sup>.

(١) وهي جماعة أمريكية منحرفة في فهم الإسلام، وتعتبره دين الرجل الأسود، وتنادي بكراهية الرجل الأبيض.

(٢) مالكوم إكس (سيرة ذاتية)، إليكس هاليبي، ص (١٤٩).

صحب مالكوم "إليجا محمد" قائد جماعة "أمة الإسلام" والذي كان يدعي النبوة، ولا يكاد يعرف عن الإسلام إلا اسمه وتكريمه للسود، وأصبح مالكوم من أهم دعاة هذه الجماعة المنحرفة وأكثرهم تأثيراً بين السود، ودوّى اسمه وحديثه بكراهية البيض في وسائل الإعلام المختلفة التي تناقلت أخبار محاضراته في أعرق الجامعات الأمريكية.

دُعي مالكوم إكس إلى إلقاء محاضرة في إحدى كليات جامعة هارفرد، وأطل من نافذة الكلية، فأبصر بناء لا ينسأه أبداً، أبصر بيتاً كان يخبئ فيه مسروقاته قبل إسلامه؛ فاعترتة هزة عميقة، وقال في نفسه: «ما أعمق ما امتدت إليّ يد الإسلام لترفعني .. الله منّ علي فهداني إلى الإسلام، وساعدني الإسلام على الارتفاع بنفسي من أوساخ هذا العالم المتعفن وأوحاله، لأقف خطيباً في هارفرد ... وهناك أمام النافذة عاهدتُ الله على أن لا أنسى أن الإسلام هو الذي أعطاني الأجنحة التي أحلق بها، ولم أنس ذلك أبداً، لم أنسه لحظة واحدة»<sup>(١)</sup>.

لكن مالكوم إكس لم يتعرف على الإسلام الصحيح إلا حين سافر للحج في عام ١٩٦٤م، فرأى لأول مرة مجتمع المسلمين الذي يضم الأسود والأبيض، ولمس في إخوانه - على اختلاف ألوانهم - رفضهم لما يتعرض له

---

(١) المصدر السابق، ص (٢١٦-٢١٨).

السود من إيذاء وعنصرية مشينة، فالإسلام يوحد بينهم ، من غير أن يؤثر في ذلك اختلاف أجناسهم وجنسياتهم وألوانهم، ويصوغ منهم أمة واحدة تتفاوت فيها أقدارهم ومنزلتهم بقدر عبادتهم لله وامثالهم أمره ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَانُكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)، فالإسلام يرفض كراهية الرجل الأبيض كما يرفض ادعاء تفوقه سواء بسواء «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»<sup>(١)</sup>.

في رحلة الحج تعرف "مالكوم إكس" على الإسلام الصحيح لأول مرة، فتعلم الوضوء، وصلى لأول مرة في حياته في مدينة جدة، وتنقل بين جنبات المشاعر، التي ألهمت حماسه للبدء في التعرف على الإسلام من جديد. استقبله الملك فيصل رحمه الله، وأبدى له تعاطف المسلمين مع السود فيما يتعرضون له من اضطهاد عنصري، ثم عرض عليه الملك ما تذكره الصحف عن جماعة "أمة الإسلام" وقال له مصارحاً: «إذا كان ما كتبتَه هذه الصحف صحيحاً فإن ما يتبعه المسلمون السود ليس هو الإسلام الصحيح» فأجابه مالكوم: «إن هدفي من الحج هو معرفة الإسلام الصحيح».

---

(١) أخرجه أحمد ح (٢٢٩٧٨).

عشرون يوماً قضاها مالكوم إكس بين إخوانه المسلمين بألوانهم المختلفة، ورأى خلالها في الإسلام ما لم يره من قبل، فعاد إلى أمريكا ، وهو يرى في مجتمع الإسلام مزية لم يجدها في غيره، إنه عمى الألوان المحبب ، فالمسلمون - وفقاً لدينهم- لا يميزون بين الناس بحسب ألوانهم، فجميع بني آدم مشمولون بالتكريم الإلهي الذي ميز الإنسان عن جميع الخلائق ﴿ وَالْقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٠).

اختار مالكوم لنفسه اسماً جديداً « الحاج مالك شباز»، وبدأ بالتصدي لأخطاء زعيم "أمة الإسلام" "أليجا محمد"، وشرع في الدعوة إلى الإسلام الصحيح مستغلاً قدراته الخطابية العالية والثقة والإعجاب الذي يكتنزه في صدور الأمريكان السود، ولم يبال بتهديدات "أليجا محمد" وأتباعه، ودفع حياته ثمناً لذلك، فمات مقتولاً أثناء إلقاء محاضرة في مطلع عام ١٩٦٤م، وعمره حينذاك أربعون سنة.

لكن العظماء لا تموت أفكارهم بموتهم، بل تُذكي قطرات دمائهم الصادقة روحاً جديدة تسري فيمن حولهم، فتتير الطريق لمن يأتي بعدهم، فقد كانت صرخات الحاج "مالك شباز" سبباً في رجوع الكثيرين من جماعة "أمة الإسلام" إلى الإسلام الصحيح، وأثمرت جهوده بترك عدد

كبير منهم لحركة أمة الإسلام، وتأسيسهم ما أسموه «حركة البلالين» نسبة إلى الصحابي الجليل بلال بن رباح رضي الله عنه.  
ولقد كان هذا الاسم اختياراً صائباً، إذ تتجلى في قصة بلال رضي الله عنه عظمة الإسلام الذي ساوى بين المسلمين، بلال الذي قال فيه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا»<sup>(١)</sup> أي بلالاً رضي الله عنه، فسواد بشرة بلال رضي الله عنه لم يمنعه من الظفر بمحبة المسلمين، أيضهم وأسودهم على السواء.

وتروي لنا دواوين السنة النبوية موقفاً عجبياً تظهر فيه أصالة قيم الإسلام ومصداقيتها، فالمساواة بين المؤمنين ليست شعاراً أجوف يرفعه الإسلام رثاء الناس، ويتنكر له ساعة الجِدِّ والفعال، فقد مر أبو سفيان سيد قريش قبيل إسلامه على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها.

فسمع أبو بكر الصديق مقاتلهم، فرفق بسيد العرب وكبير قريش، فقال معاتباً: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ وأتى النبي صلى الله عليه وسلم يشكوهم عنده، ويخبره بما قاله سلمان وبلال لأبي سفيان، فقال له صلى الله عليه وسلم مستفهماً: «يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم؛ لقد أغضبت ربك».

ذعر الصديق لما سمع، فانطلق يسارع في خطاه إلى بلال وإخوانه من الضعفة الذين يغضب الله لغضبهم،

(١) أخرجه البخاري ح (٣٧٥٤).

فأتاهم ، فقال: يا إخوانه أغضبتكم؟ قالوا: لا. ويغفر الله لك يا أخي<sup>(١)</sup>.

ولما تلاحي العربي أبو ذر رضي الله عنه مع بلال الحبشي رضي الله عنه، قال له أبو ذر وهو مغضب: يا ابن السوداء. عيَّره بأمه وسوادها، فانطلق بلال ابن حمامة ورباح يشكوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لأبي ذر: «أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية»<sup>(٢)</sup> أي خصلة من خصال الجاهلية، إذ ليس في الإسلام أبيض وأسود، فقد وُحِدَ الإسلام الجميع وصهرهم في بوتقته، وأُيِّ مساس بهذه القيم خروج عن أخلاق الإسلام وقيمه، وعودة إلى قيم الجاهلية وسلوكياتها المقيتة.

ولما أراد المسلمون دخول مصر أرسل إليهم المقوقس: ابعثوا إلينا رسلاً منكم، نعاملهم ونتداعى نحن وهم إلى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم، فأرسل إليهم عمرو بن العاص رضي الله عنه وفداً من عشرة رجال، وأمر عليهم عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وكان رجلاً طويلاً أسود البشرة، فدخلوا على المقوقس، وتقدم عبادة للكلام معه، فهابه المقوقس لسواده، وقال: نُحُوا عني هذا الأسود، وقدموا غيره يكلمني.

فقالوا جميعاً: إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً، وهو سيدنا، وخيرنا، والمقدم علينا، وإنما نرجع جميعاً إلى

(١) أخرجه مسلم ح (٢٥٠٤).

(٢) أخرجه البخاري ح (٢٥٤٥)، ومسلم ح (١٦٦١).

قوله ورأيه، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره به، وأمرنا أن لا نخالفه.

فقال المقوقس: وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم، وإنما ينبغي أن يكون دونكم؟! قالوا: كلا، إنه وإن كان أسوداً كما ترى؛ فإنه من أفضلنا موضعاً وأفضلنا سابقةً وعقلاً ورأياً، وليس ينكر السواد فينا.

فقال له المقوقس: تقدم يا أسود، وكلمني برفق، فإنني أهاب سوادك، وإن اشتد كلامك علي ازددت لذلك هيبة<sup>(١)</sup>.

وهكذا فإن سواد بلال وعبادة وغيرهما لم يمنعهما من سيادة غيرهما من المسلمين والتأمر عليهم، وقد ألزم الله ورسوله طاعة من يتولى أمر المسلمين؛ مهما كان لونه أو جنسه، قال ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا؛ وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»<sup>(٢)</sup>، فسواده وقبحه لا يغير في أحكام الشريعة التي لا تفرق بين الناس بألوانهم وأجناسهم.

وفي مسجد رسول الله بالمدينة المنورة امرأة سوداء تقم المسجد وتنظفه، ففقدتها رسول الله ﷺ فسأل عنها، فقالوا: ماتت.

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلثة الخلفاء، أبو الربيع

سليمان الكلاعي الأندلسي (١٥/٤).

(٢) أخرجه البخاري ح (٧١٤٣).

قال: «أفلا كنتم آذنتموني؟»، قال: فكأنهم صغروا أمرها. فقال ﷺ: «دلوني على قبرها»، فدلوه فصلى عليها<sup>(١)</sup>.

وهكذا فإن الإسلام لا يعترف بفوارق اللون والجنس، وفي ذلك ما دعا مالكوم إكس إلى الاستمساك بالإسلام الصحيح ديناً، فنسأل الله له الرحمة، ولنا الثبات على دينه. آمين.

\* \* \*

---

(١) أخرجه البخاري ح (٤٥٨)، ومسلم ح (٩٥٦).

## إميلي براملت

إميلي براملت فتاة أمريكية موعودة - في قدر الله -  
بنعمة الهداية التي يعطيها الله من سعى إليها سعيها: ﴿قُلْ إِنَّ  
الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِينَا أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ  
الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ﴾ (آل عمران: ٧٤).

ولدت إميلي في أسرة تتقلب بين أم نصرانية مواظبة  
على طقوس الكنيسة، وأب ملحد أعياه أن يوفق بين  
النصرانية والعلم الحديث الذي يملك باباً واسعاً منه، فهو  
باحث متخصص في علم الحفريات، ولا يجد في دين  
زوجته ما يرضي عقله وضميره.

كثيراً ما رافقت إميلي أمها في زيارة الكنيسة، رغم أنها  
غير راضية عن هذا الدين، فالقسس يقولون في الكنيسة  
أشياء غير مفهومة، والإنجيل لغته صعبة، وقصصه غير  
منطقية، وتشبه أحياناً قصص الأطفال الخيالية، هل يستطيع  
أحد أن يقول غير هذا في قصة شمشون الجبار صاحب  
القوة المكتنزة في شعره الطويل، والذي يقتل الألو في  
كل معركة، ويحمل باب المدينة على كتفه، كما يحمل  
أحدنا صغيره، وإذا ما لقي أسداً شقّه إلى نصفين بيديه  
العاريتين، ولكن إذا ما قص هذا الشمشون شعره تحول  
إلى رجل هزيل.. شمشون هذا أحد أبطال التوراة،  
وقصصه العجيبة مسطورة في سفر القضاة الذي يؤمن به  
اليهود والنصارى.

قراءة إيميلي للتوراة قادتها للتساؤل عن مصداقية قصصها ومغزاها وعن الحلقات المفقودة منها، ففي قصة ابني آدم التوراتية ما يستعجم على الفهم، لِمَ قَبِلَ اللهُ قِرْبَانَ قَائِيلَ، ولم يقبل قربان أخيه هايل؟ سؤال ستكتشف إيميلي جوابه لاحقاً في القرآن الكريم ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة: ٢٧)<sup>(١)</sup>.

سألت إيميلي والدتها عن سبب تدينها بالنصرانية، وعن برهانها على صحتها وأحقيتها من بين سائر الأديان، فلم تجد عندها إجابة أبعد من التقليد لموروثات الآباء والأجداد: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ (الزخرف: ٢٣)، تساءلت إيميلي: كيف يعبد البشر إلهاً ناقصاً، سواء كان هذا الإله صنماً حجرياً لا يسمع، أم كان شجرةً لا تضر ولا تنفع، أم كان بشراً يعتقد عبَّادُه أنه أكل على وجه هذه الأرض، وشرب وُضِرَبَ ثم صُلب ومات، ولم وقع كل هذا؟! يقولون: محبة في البشرية، وليتحمل خطاياها، فينتهي حسابنا، ونصنع في هذه الأرض ما نشاء من غير حساب ولا عتاب<sup>(٢)</sup>.

إن عدم منطقية معتقدات النصرانية جعلت والد إيميلي يترك الكنيسة ويلحد؛ مكتفياً بالعلم عن الدين، إذ لم يقبل مبدأ الإيمان الأعمى والتسليم للمبهمات والهمهمات التي

(١) انظر: آمنت بربكم فاسمعون، إيميلي براملت، ص (٤٤، ٦٨).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٤٩).

تتردد على ألسنة القسس، فهو يحب المسيح ، لكنه يراه بشراً كريماً.

تساءلت إميلي : لم لا أكون ملحدة مثل أبي الذي اختار العلم على الدين الباطل، فالعلم الكامل والدين الصحيح صنوان لا يفترقان.

سألت إميلي والدها عن معرفته بالإسلام، فأجابها بأنه قرأ عنه في بعض كتب المستشرقين، وهؤلاء ليسوا المصدر المقبول؛ وإن ادعوا الموضوعية والحياد العلمي الذي يغلفون به ما يجول في بواطنهم من كراهية للإسلام الذي هدم جحافلهم زمن الحروب الصليبية، وانتزع منهم مدائن مهمة أضحت ربوعاً إسلامية، ليست القدس أولها، ولا القسطنطينية آخرها.

لخص والد براملت معرفته الساذجة بالإسلام بأنه دين رجل يتيم، رعى الغنم، وصار تاجراً، وكان يطيل التأمل عن الله في خلواته، فجاءه ملاك أو خُيِّل له ذلك، فقد كان مصاباً بالصرع، فسألته إميلي: وهل المصروعون ينجلي صرعهم عن مثل هذه الآيات الكريمة ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق: ١-٥)؟.

في حصة التاريخ سخر الأستاذ من الإسلام الذي انحدر بالبشرية - بزعمه - من قمة تعليمات المسيح إلى سفح طقوس أصابت معتنقيها بالجمود، وضرب مثلاً

لذلك بقطع وفد سعودي لمفاوضات تجارية مهمة بداعي أداء الصلاة، وتضاحك وطلابه على أتباع هذا الدين الذين أصبحت الصلاة عندهم أهم من المفاوضات ورنين الدولارات؟! ياله من عالم مقلوب يرى الفضيلة عيباً ، والدنس طهارة ، وقد قال قائلهم من قبل: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنظَهُرُونَ﴾ (الأعراف: ٨٢).

ردت إميلي على ضحكات زملائها يبحث قدمته للمدرسة ناقشت فيه أحقية الفلسطينيين بأرضهم ، وشبهت اضطهاد اليهود لهم بما صنعه هتلر بأجدادهم، وبما فعله الأوروبيون الغزاة بالهنود الحمر في أمريكا، فكان البحث سبباً لمتاعب إميلي مع والديها اللذين عاتبتهما المدرسة متسائلة عن كيفية تسرب هذه الأفكار إلى ابنتهم.

على أعتاب الجامعة، قررت إميلي تعلم العربية والقراءة عن الإسلام، وبحثت طويلاً عن من يعلمها ذلك، فساق الله إليها شاباً يدعى: محمد أسامي .. هذا الشاب العربي المسلم الذي يدرس في تلك المدينة سيصبح بعد حين زوج إميلي، ووالد أبنائها.

عارضها والدها كثيراً لقراءتها في ترجمة معاني القرآن الكريم التي دفعها إليها محمد ، وبلغ الحنق به مداه حين اختارت إميلي دراسة اللغة العربية في حياتها الجامعية، وهددها بالطرد من البيت.. تهديداً ما لبث أن صار واقعاً، انتقلت معه إميلي إلى السكن الجامعي الداخلي، لتبدأ في العمل والكد لتحصيل مصروفها وأقساط جامعتها، ودفع

أثمان قراراتها التي رآها أبوها ضرباً من الطيش والغرور.  
أيام صعبة عانتها إميلي بعيداً عن بيتها ووالديها، كادت  
أن تودي بها إلى الانتحار أو الجنون، فالكوابيس تلاحقها  
وتمنعها النوم، فكتبت إلى والديها تقول: «يحق لكما أن  
تساءلا: لماذا أتعنت هكذا فأسبب لكما ولنفسي هذا  
الشقاء؟ أقسم لكما أنني لا أعلم، ويوماً بعد يوم تزداد  
رغبتني [في تعلم العربية]، وكأن الأمر ليس بيدي، لعل الله  
يريد أن يدفعني إلى الإسلام، ولا مردّ لأمر الله»<sup>(١)</sup>.

زارتها في غرفتها مراراً المبشرة النصرانية ماري،  
وقالت لها: «اشهدي أن عيسى ابن مريم هو الله ، وهو  
المنقذ لنا من ذنوبنا، فهو سينقذك ، وتكونين من الفائزين»،  
وطلبت منها جوابها الأخير، فاستمهلته إميلي وهي تتمتم:  
«إن اتبعته فسيصير لي منهج في حياتي، وسترضى أمي،  
وحتى أبي سيرضى، لكن عقلي يتردد، والذي يرويه القرآن  
أقرب إلى عقلي»، أرهقها التفكير في الجواب، فأرخت  
على السرير جسدها، وسمعت - وهي بين النوم واليقظة -  
من يلهمها جواب المبشرة: قولي لها: «إني أعبد الله»<sup>(٢)</sup>.

حدثها الشاب محمد أسامي عن سر امتناعه عن  
الطعام والشراب في ذلك اليوم من أيام رمضان .. إنه  
الركن الثالث للإسلام بعد الشهادتين والصلاة التي لم يكن  
محمد من المحافظين عليها، فاستنكرت إميلي تقاعسه عن

(١) المصدر السابق، ص (٧١).

(٢) المصدر السابق ، ص (٧٢-٧٣).

واجب دينه وفريضة ربه.

تزوجت إميلي من محمد، ثم وجدت في قلبها ما يؤزها على أن تدعو الله تبارك وتعالى وتستغيث به؛ على الرغم من أنها تشك بوجوده، لكن: «ماذا سأخسر إن لم يسمعني أحد .. يا رب، إن كان لك وجود وفقنا في هذا الزواج، وثبت زوجي على دينه، فيعلمني»<sup>(١)</sup>.

في أوائل عام ١٩٦١ توفيت والدة إميلي، فغلب عليها الحزن، وأطار النوم من عينيها، وأشاع الهلع في قلبها، فلم تجد ما يدفعه إلا في ترجمة معاني القرآن الكريم، فأسكن فؤادها موعود الله للصابرين: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(١٥٥)</sup> الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ<sup>(١٥٦)</sup> أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿ (البقرة: ١٥٥-١٥٧).

سافرت إميلي مع زوجها إلى موطنه، وتعرفت على أهله ومعارفه، فاستنكرت واقعهم الذي أشغلتهم فيه الدنيا وأبعدتهم كثيراً عن الإسلام الذي قرأت عنه وعن قيمه وتعاليمه، فالقرآن عند هؤلاء «كتابهم المهجور، كأنهم يقرؤونه ليطربوا بأصواتهم، أليس الكلام من عند الله فيأخذ به المؤمن؟ أم هو زينة المناسبات فحسب؟!»<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق، ص (٧٧).

(٢) المصدر السابق، ص (٨٥).

من كان هذا حاله لن يستطيع تعليم إميلي الإسلام «لا أزال أثق أن الدين ليس هو العاجز، وإنما الناس هم العاجزون، فكيف أصل إلى العلم إلا بالقراءة؟»<sup>(١)</sup>، لا بد لها من تعلم العربية، لكي تحوز المفتاح الذي تدلف عن طريقه إلى علوم القرآن وحقائقه، طلبت مراراً من زوجها أن يعلمها العربية، فتلاشت الآمال في زحمة أعماله وكثرة أشغاله، فرفعت يديها إلى الله تدعوه: «رب إنني أشكو إليك أمري، دعوتك أن توفقني في زواجي فأجبتني، ثم دعوتك أن تثبت زوجي فاستجبت لي، وقد أناب، ثم دعوتك أن يعلمني ... ربما استعجلت في هذا، سامحني يا رب، لكن الأيام تمضي، وأنا أمضي ولا أزداد»<sup>(٢)</sup>.

ومضت تحدّث نفسها: «إذا كان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فلابدأ بالتغيير، ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١)، لِمَ لا أقرأ وأعلم نفسي بنفسي؟»، وهكذا بدأت إميلي في تعلم العربية من كتب الصف الأول الإبتدائي ثم الثاني والثالث، ثم جهدت - رغم أعبائها ومتطلبات أبنائها - في حضور حصص اللغة العربية في معهد تعليمها، وسهرت الليالي وهي تقرأ القرآن وتفسيره، وتستعين بترجمة معانيه الإنجليزية، حتى شرح الله صدرها إلى الإسلام، وحقق لها ثالث دعواتها، فغدت بفضل الله

(١) المصدر السابق، ص (٩٢).

(٢) المصدر السابق، ص (٩٢).

تردد مع المؤمنين: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا  
أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ (الأعراف: ٤٣).

نسأل الله عز وجل أن يثبتنا والأخت أم محمد على  
دينه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

\* \* \*

## واصف الراعي

في عمان، العاصمة الأردنية ولد واصف الراعي لأبوين كاثوليكين، أشربا طفلهما حب النصرانية، والالتزام بطقوسها، وألحقاه في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة في مدرسة «تيرا سانت» التبشيرية الأمريكية، التي تهتم بحصص التثقيف الديني، ويعمق أساتذتها بأساليبهم الجذابة انتماء واصف وزملائه إلى النصرانية.

مراراً عرض أستاذ التربية الدينية النصرانية صوراً على (البرجكتر) للمسيح وأمه وكذلك صور من يسمونهم (القديسين)، فكان واصف يستمتع مع زملائه بهذه العروض الجذابة، لكن الحال لم يكن كذلك، حين عرض عليهم الأستاذ صورة رجل طاعن في السن، طويل شعر الرأس، عظيم اللحية، يجلس على السحاب، وسألهم عن صاحب هذه الصورة؟ كل الإجابات توقعها واصف إلا إجابة واحدة. يشيب لها الرأس، فقد قال لهم الأستاذ ببرود: إنها صورة الله. تعالى الله عن الشبيه والشريك والمثيل علواً كبيراً.

يقول واصف: «كان مفاجأة مذهلة بالنسبة لي، لأنه لم يسبق لي أن سمعت أن لله صورة متداولة بين يدي خلقه»<sup>(١)</sup>، لقد كانت لحظة فارقة، انضافت إلى أسئلة كثيرة

---

(١) كنت نصرانياً، عبد الله سعد (واصف الراعي)، ص (٢٢)، ويمكن للقارئ الكريم الحصول من شبكة الإنترنت على عشرات الصور المعلقة في الكنائس للرب تبارك وتعالى وتنزه عن المثيل والشبيه، وتظهره على هيئة رجل عجوز، أبيض شعر الرأس واللحية.

جالت في ذهن الفتى المتقد ذكاء، فعشر سنوات من الحشو للمقررات الدينية في المدرسة كانت حصيلتها عند واصف أن «الدين أسرار.. وكأن الدين أنزل بلغة إلهية لا يكاد يعرفها غير الله ونوابه المزعومين في الأرض الذين يفسرونها بما تهوى أنفسهم»<sup>(١)</sup>، لقد أحلوا الدين إلى تمتات وهمهمات تشبه زمزمة السحار وسجع الكهان.

وقد أكد له هذا أحدهم حين قال: «لا يجوز لك أن تناقشني في نصوص الكتاب المقدس، لأن المعنى المقصود منها غير ظاهرها، وهي رموز لأشياء لا يفهمها الشخص العادي»<sup>(٢)</sup>، وهكذا فلم يكن السؤال عن الدين إلا واحداً من الحرمات ودليلاً على الكفر أو الشك والارتياب أو ما أسمته محاكم التفتيش السيئة الصيت (هرطقة).

وحين يتجرأ أستاذ أو قس على حوار واصف وزملائه؛ فإن من عادة القسس فرض ما يشاؤون من المقدمات، ويعتبرونها بدهية ينبغي التسليم لها، وإن أصيب الدماغ بالشلل لمجافاتها العقل والمنطق، فقد سأل واصف القسيس يوماً: لماذا نحتاج في الحصول على المغفرة إلى إله يتجسد على الأرض، ثم يصلب ويقتل نيابة عنا وهو بريء؟ ألا يقدر الله أن يغفر لنا بكلمة منه؟ فرفع القس عقيرته بذكر ما يعتبره مُسلمة بدهية لا مناص

(١) المصدر السابق، ص (٣٠).

(٢) المصدر السابق، ص (٣١).

عنها: لا غفران للخطيئة إلا بمقابل، ودم المسيح المسفوك على الصليب هو المقابل، وعبثاً حاول واصف أن يستفهمه عن دليل هذه المقدمة الخاطئة التي تبني عليها النصرانية؟ من قال هذا؟ وهل هو صحيح عقلاً؟ هل الله يحتاج إلى مقابل حتى يمنحنا الغفران؟<sup>(١)</sup>.

وأما الإسلام، فقد أُرُضِع واصفٌ من والديه كراهيته، ثم أُشرب وغُذي في مدرسته التبشيرية ما تبقى من حقد مشفوع بقصص عن الإسلام مختلقة وتلفيقات محبوكة، وأحياناً غير محبوكة «لم أسأل نفسي دليلاً على أن الإسلام يستحق كل ذلك الجفاء أو العداً مني أو من غيري، فعاديتُ ديناً لا أعرف عنه شيئاً غير ما علمني إياه من امتلأت قلوبهم بالحق على الإسلام جهلاً وتجنياً وتقليداً أعمى»<sup>(٢)</sup>.

لم يكن واصف شاباً متديناً بالمعنى الحقيقي للكلمة، رغم ترده بين الفينة والفينة على الكنيسة، ومحاولته المتكررة تطبيق ما يقوله القس أو الأستاذ عن أخلاق المسيحية، وأنها دين العفو والتسامح وحسن المعاملة، لقد سمع كثيراً منهم قول المسيح بحسب إنجيل متى: «وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً، ومن سخرك ميلاً

(١) المصدر السابق، ص (٥٥).

(٢) المصدر السابق، ص (٢٩).

واحداً فاذهب معه اثنين.. أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيك. وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم» (متى ٥/٣٩-٤٤)، لكن «إذا جد الجد، فمن يطيق أن يدير خده الأيسر لمن لطمه على خده الأيمن؟ ومن يفرط في شيء يملكه لمن يأخذه منه سرقة أو عنوة وقهراً؟ ومن يحب أعداءه ويبارك لاعنيه؟ .. ومن من النصرى اليوم يطبق هذه التعاليم في واقع حياته؟»<sup>(١)</sup> إن مثل هذه القيم غارقة في عالم الخيال، وتؤسس لمجتمع يسوده الظلم والإفساد والخنوع والرضا بالضيم.

وقع خلاف بين والد واصف وإدارة المدرسة التبشيرية، فاضطر لنقله منها إلى مدرسة خاصة تمتاز بسمعة طيبة؛ مدارس الأقصى، وهو قرار سيضع واصف جنباً إلى جنب مع المسلمين الذين يكرههم، وقد أوصاه أبوه - فراراً من المشاكل - أن لا يخوض معهم في أي مجادلات عقدية.

حصّة التربية الإسلامية الأسبوعية ليست إجبارية على واصف النصراني، ويستطيع التغيب عنها، لكن مظهر الأستاذ محمد هليل ينبئ عن مخبر جليل، جاذبيته دعت واصفاً للمداومة على حصّة التربية الإسلامية، ومشاركة زملائه المسلمين في حفظ آيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ، بل تفوق عليهم، فكان الأول على فصله في جميع

---

(١) المصدر السابق ، ص (٣٥).

المواد، وأيضاً في مادة التربية الإسلامية.

شارك واصف في فرقة المدرسة الكشفية، وحضر مع زملائه المسلمين العديد من الندوات والمحاضرات والمخيمات، فرآهم يصلون ويصومون، وشاركهم الصيام يوماً، كما لحظهم وهم يتحدثون عن الدين ويسألون ويجابون، ليس عندهم في الدين أسرار ولا خصوصيات «بدا لي وقتئذ أن الإسلام دين عقل ومنطق وقوة وعزة وواقعية، ومع القوة والعزة تجد الحلم والرحمة».

ما فهمه واصف من الإسلام خلال سنتين كان كافياً لتفنيد الصورة المغلوطة التي حشيت في رأسه طوال سنين عن الإسلام والمسلمين، كيف وصفوا الإسلام بظلم غير المسلمين والنبي ﷺ يقول: «من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس؛ فأنا حجيجه يوم القيامة»<sup>(١)</sup>، ودهش واصف لموقف الخليفة عمر بن الخطاب من اليهودي لما رآه يستعطي الناس، فقال لخازن بيت المال: «والله ما أنصفناه أن أكلنا شيبته ثم نخذله عند الهرم ﴿إِنَّمَا أَلْصَقْتُ لِفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ (التوبة: ٦٠) والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب. ووضع عنه الجزية وعن

---

(١) المصدر السابق، ص (٤٤، ٤٨)، والحديث أخرجه أبو داود ح (٣٠٥٢)، ونحوه في سنن النسائي ح (٢٧٤٩)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ح (٢٦٢٦).

ضربائه»<sup>(١)</sup>.

ستان من الدراسة مع المسلمين علمت واصف الكثير عن الإسلام، وانزاحت فيها معظم الأباطيل التي طوقته طويلاً، لكن الأهم فيها أنه حاز أسس التفكير السليم، فماذا كانت النتيجة؟ «أنى لعقلي بعد المؤهلات الجديدة أن يقتنع بالمسيحية وما فيها من الطلاسم والأسرار والتثليث و«ابن الله»، و«أم الله»، والاعتراف للخوري [القسيس] بالذنوب، وبلع الخبز المغموس بالخمير.. وأشياء كثيرة يسمو العقل عن تلقيها بالقبول إلا أن يكون حبيس غشاوات التعصب والتقليد الاعمى الموروث»<sup>(٢)</sup>.

بدأت فكرة الدخول في الإسلام تراود واصف، لكنه جبن عن هذا القرار الذي يصادم تعصبه للنصرانية ويفتح أبواب الخوف على ما يأتي، ف«اعتناق الإسلام ديناً يعني التخلي عن مبادئ ومعتقدات ونمط حياة ألفها؛ إلى معتقدات جديدة وحياة لم يألُفها.. هذا يحتاج إلى حكمة وشجاعة»<sup>(٣)</sup>، لكنه أيضاً لا يقدر على البقاء في النصرانية وقد استبان له بطلانها، فهرب من الصراع بين عقله وتعصبه إلى الإلحاد، فقرر أن يكون ملحداً لكن هيهات،

---

(١) كنت نصرانياً، عبد الله سعد، ص (٤٤)، والأثر أخرجه أبو يوسف في كتاب الخراج (١٥١).

(٢) كنت نصرانياً، عبد الله سعد، ص (٥٤).

(٣) المصدر السابق، ص (١٣).

فسرعان ما عدل عن قراره، فعاد إلى الإيمان بالله بعد أن استبان لعقله ضرورة اليقين بوجود الله و ببعض صفاته التي يدل عليها إحكام صنعته في خلقه.

لقد آمن واصف بالعديد من صفات الله تعالى (الخالق، العليم، الحكيم، القدير)، وقرر البحث عنها في أسفار كتب الأديان الثلاثة (اليهودية، النصرانية، الإسلام)، فلم يجد بغيته إلا في الإسلام، وقد أوقع الله في يديه كتاب «عقيدة المسلم» للشيخ محمد الغزالي رحمه الله، فقد عرف منه أن «الإسلام يؤكد أن الله واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله، لا تشبه ذاته الذوات، ولا صفاته الصفات، ولا أفعاله الأفعال، وجدت في هذا التنزيه لله ضالتي المنشودة، وعرفت أن الإسلام يقول في الله ما يقبله كل عاقل .. وقد كان ما نقله الشيخ محمد الغزالي عن عقيدة المسلم مطابقاً لما توصلت إليه استقصاءاتي العقلية الطويلة .. جزمت بذلك أن الإسلام هو الدين الصحيح الوحيد الذي يصدق عقلي أنه من عند الله عز وجل»<sup>(١)</sup>.

خوفه على المستقبل وتوقعه لعذاباته وما سيصيبه من العنت والأذى جعله يتلصقاً في الدخول في الإسلام، ثم رأى أن يخرج من قلقه إلى فكرة غريبة، وهي أن يجمع بين الإسلام والنصرانية، وأن يدع من النصرانية ما يتعارض

---

(١) المصدر السابق، ص (١٢٠).

مع الإسلام من عقائد، أي أن يصبح «مسلم كاثوليكي»!  
استمر واصف في قراءته في الإنجيل، واسترعى  
انتباهه نص يحذر فيه المسيح - بحسب إنجيل متى - من  
مدعي النبوة، ويعطي علامة واضحة للتمييز بينهم وبين  
الأنبياء الصادقين، فأثارهم في الأرض ونتاجهم بين البشر  
هي المقياس والمعيار: «احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين  
يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة،  
من ثمارهم تعرفونهم، هل يجتنون من الشوك عنباً أو من  
الحسك تيناً؟ هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة،  
وأما الشجرة الرديئة فتصنع أثماراً رديئة، لا تقدر شجرة  
جيدة أن تصنع أثماراً رديئة، ولا شجرة رديئة أن تصنع  
أثماراً جيدة، كل شجرة لا تصنع ثمرًا جيدًا تقطع وتلقى  
في النار، فإذا من ثمارهم تعرفونهم» (متى ١٦/٧-٢٠).

وحين طابق واصف بين هذا النص والإسلام  
«وجدت في تلك العبارات دليلاً قاطعاً على أن الإسلام  
رسالة سماوية، وأن محمداً بن عبد الله رسول الله حقاً وصدقاً  
.. فإن عبارة «من ثمارهم تعرفونهم» لتمييز الكاذب من  
الصادق من الأنبياء .. استعرضت الإسلام [فوجدت فيه من  
المزايا ما لم أجد في غيره] .. ومع تلك الميزات لم يكن  
في وسعي إلا أن أقول: إن الإسلام ثمرة صالحة وثمره  
جيدة؛ لا تقدر أن تعطىها إلا شجرة صالحة .. فقلت: أشهد

أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله»<sup>(١)</sup>.  
في حصة مادة الكيمياء نطق واصف الراعي  
بالشهادتين، في يوم جميل من أيام عام ١٩٦٦م  
(١٣٨٦هـ)، وعمره حينذاك عشرون سنة، وانتقل للعمل في  
الرياض عام ١٩٧٠م (١٣٩٠هـ) ، وفيها تزوج وأنجب،  
وكتب كتابه: «كنت نصرانياً»، فحكى فيه قصته مع الهداية  
التي قاده إليها الله الذي «أنعم علي بالإسلام بعد صراع  
نفسي مرير وتردد وفتنة كادت أن ترديني لولا أن تداركني  
ربي برحمته»<sup>(٢)</sup>.

وقد توفي رحمه الله في حادث سير في الرياض في  
هذا العام ٢٠١٢م، رحم الله أبا حمزة، وجمعنا به في  
جنات ونهر عند مليك مقتدر.

\* \* \*

---

(١) المصدر السابق، ص (١٣٦-١٤٠).

(٢) المصدر السابق، ص (١٣).

## أحمد سامي عبد الله) تناغو سامي قصد الله

في أواسط القرن العشرين، وفي واحدة من قرى سوهاج في صعيد مصر؛ ولد تناغو سامي قصد الله؛ الشاب الذي قَدَّر له ألا يعيش على هذه الأرض أكثر من ثلاثين سنة، فيدُّ الغدر ستمتد إليه لترديه، فيغدو بإذن الله شهيداً في سبيل الدين الذي اختاره؛ نحسبه كذلك، والله حسيبه.

منذ تفتق ذهن الطفل تناغو؛ رفض ببديهة فطرته ما يسمعه في الكنيسة من تعاليم أشبهت الألبان المستعصية لغموضها، ووصل الحال بأصحابها إلى حد تسميتها أسرار الكنيسة؛ في مقابل ذلك كان تناغو يرى في دين أصدقائه المسلمين وضوح المعتقد وروعة العبادة، فلم يفتأ رأسه الصغير أن قارن بين طقوس الكنيسة وعبادات المسلمين، وكذا بين ترانيم ما يسمونه القداسات الكنسية وتراتيل آيات القرآن الكريم.

في كل يوم يغدو تناغو مع أبناء قريته؛ المسلمين منهم والنصارى إلى القرية المجاورة؛ حيث يدرسون في مدرستها المتوسطة؛ يطوون طريقهم بتجاذب الحديث حول الدين والعقيدة، بحسب ما تقدر عليه أفهامهم البسيطة، وتناغو صامت مكتفٍ بالاستماع إليهم وتسجيل الملاحظات من حوارهم واستخلاص النتائج.

تخلص تناغو من بعض (أميته الدينية) حين التحق بمدارس الأحد الكنسية؛ لكنه أيضاً أصيب بالصدمة، حين استمع مرة إلى المشرف بالمدرسة، وهو يحدثهم عن قصة

ضيوف إبراهيم عليه السلام، قصة سمعها تناغو من أصدقائه المسلمين، لكن مشرف المدرسة يرويها عن الكتاب المقدس على وجه غريب على مسمعه، مستنكر في فؤاده؛ إذ تذكر رواية سفر التكوين الكنسي أن زوار إبراهيم عليه السلام: هم الله تبارك وتعالى واثان من ملائكته، وأنهم أكلوا عند إبراهيم وشربوا واستراحوا! تساءل تناغو وقد استنكرت فطرته، وأبى عقله: هل يعقل هذا؟ هل ينزل الله من عليائه ليأكل عند إبراهيم؟ وهل يتجسد الله - جل وعز- في صورة الإنسان الضعيف؟! ماذا دهى مشرف المدرسة؟! بأي كلام يهذي؟! هل يمكن أن يقول الكتاب المقدس هذا؟<sup>(١)</sup>

قطع تناغو الشك باليقين، واشترى نسخة من الكتاب المقدس، وأكب على قراءتها؛ لتزداد جروحه حرقه وإيلاماً؛ وليشرق بالمزيد من المفاجآت التي لم يتوقعها في كتابه المقدس الذي يزعم أن المسيح ابنُ الله، ثم يفاجئ قراءه بذكر نسين أرضيين للمسيح؛ بيد أن يوسفَ النجار؛ الخطيب المزعوم لمريم العذراء، فغر تناغو فاه وهو يسأل مستنكراً: ما علاقة يوسفَ النجار بالمسيح حتى يصدر باسمه الإنجيليان متى ولوقا قائمة آباء المسيح<sup>(٢)</sup>، أوليس

(١) لماذا وكيف أسلمت؟، أحمد سامي عبد الله (٥٨/١)، وانظر القصة في سفر التكوين في الإصحاح ١٨.

(٢) لماذا وكيف أسلمت؟، أحمد سامي عبد الله (٦٧/١)، وانظر إنجيل متى، في الإصحاح ١، ولوقا في الإصحاح ٣.

من عجب أن ينسب إنجيل لوقا إلى العذراء البتول أنها قالت لابنها المسيح: «هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذيين» (لوقا ٢/٤٨)، فمتى كان يوسف النجار أباً للمسيح؟ وكيف؟.

سيرة المسيح عليه السلام في الإنجيل زادت من تأوهات تناغو وعذاباته، ففي حين تقول الكنيسة: إنه ابن الله؛ فإن الإنجيل يحكي أن المسيح هرب إلى مصر خوفاً من الملك هيرودس، وأن الشيطان كان يتعرض للمسيح بالإيذاء ومحاولات الإغواء، فلو كان المسيح إلهاً كما يزعمون لما هرب من هيرودس ولما تجرأ الشيطان على غوايته!

وفي مقابل هذا؛ لحظ تناغو أن الإنجيل يتحدث عن المسيح كبشر رسول من عند الله فحسب، فيوحنا ينقل في إنجيله عن المسيح عليه السلام أنه صرح لليهود بإنسانيته: «تريدون قتلي، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله» (يوحنا ٨/٤٠)، وأنه ناداهم في موطن آخر للإيمان برسالته قائلاً: «من نفسي لم آت، بل الذي أرسلني هو حق، الذي أنتم لستم تعرفونه، أنا أعرفه، لأنني منه، وهو أرسلني» (يوحنا ٧/٢٨-٢٩)، فالمسيح بحسب الأناجيل المقدسة عندهم: إنسان رسول، ولم يدع الألوهية قط<sup>(١)</sup>.  
بعد صراع عنيف بين الفطرة النقية والتعاليم الكنسية

---

(١) المصدر السابق (١/١٠٨).

توصل تناغو إلى حل وسط، بالبراءة من كل الأمور التي لا يرتضيها عقله، وتخلص من الكلمات الشركية التي تلتخ القداسات والتراتيل التي يرددتها في صلواته الكنسية، وظن أنه بذلك يصطلح مع عقله ويريح ضميره الذي سرعان ما رفض أنصاف الحلول، ودعاه إلى إعادة التفكير والمزيد من الدراسة والجدد في البحث عن الحقيقة التي يحبها الله ويرضاها لعباده.

وخلال دراسته للأديان سجل الغلام الباحث عن الحقيقة عدداً من الملاحظات على دينه مقارناً إياها بالإسلام، منها ما لمسه من فروق بين صلاة المسلمين في المساجد جماعة، والصلاة الكنسية التي يكتفي فيها النصراني بالاستماع إلى التراتيل الدينية المتلوة باللغة القبطية التي لا يفهم منها تناغو أكثر مما يفهمه من كلمات اللغة الهيروغليفية أو السنسكريتية.

ليس في الإسلام رجال دين، تلك ميزة أخرى جعلت تناغو يفضل الإسلام على النصرانية، فقد اشتمأت نفسه من فكرة الوسيط بين الله وعباده، وتساءل: هل يضع الله هؤلاء القسوس الخاطئين وكلاء له يغفرون ذنوب العباد ويرفعون إلى الله صلواتهم؟! وأين هؤلاء القسوس من أخلاق المسيح وتواضعه؛ فقد نفرت نفسه واكفهرت من مشاهد ركوع شعب الكنيسة للرهبان والقسوس الذين لا ينادون إلا بأعظم الألقاب وأفخمها، نحو (قداسة البابا ، ونيافة الحبر)، بينما كان النداء المحبب والشائع للمسيح

عليه السلام عند تلاميذه «يا معلم»، وذلك وفق العديد من النصوص الإنجيلية<sup>(١)</sup>.

في عام ١٩٦٨م قرر الشاب تناغو سامي قصد الله الدخول في الإسلام سرّاً، واختار لنفسه اسم (أحمد سامي عبد الله) ولمّا يتجاوز من العمر الرابعة عشرة، وقد اجتذبه إلى الإسلام ما رآه من دقة متناهية في أداء الشرائع، زماناً ومكاناً وكيفية، فلكل عبادة زمانها المخصوص، وكيفيةها المخصوصة، ولربما مكانها، وهذه الدقة في الشرائع التفصيلية تغطي مجالات الحياة الإنسانية، بينما تفتقد ذلك النصرانية التي لا تنضبط صلواتها ولا صيامها، علاوة على فقد شرائعها لمبدأ الإلزام الديني، هذا كله دفع تناغو للتساؤل: «إن كان محمد ﷺ كاذباً كما يزعمون، فمن أين أتى - وهو أمّي - بهذه الأحكام التفصيلية المتناهية الدقة، والتي يفتقر إليها أولئك المكذبون!»<sup>(٢)</sup>.

إن ما اجتذب أحمد سامي إلى الإسلام جليلٌ معناه وعظمة مبناه، يقول: «جذبني أيضاً إلى الإسلام إقراره بوحداية الخالق تبارك وتعالى، وتنزيهه عن المشابهة لما عداه؛ مع الثناء الكامل عليه .. عقيدة التوحيد الخالص هذه تمتاز بالوضوح واليسر والبعد عن التعقيد والغموض والاجتهاد في إثباتها .. الإسلام لله رب العالمين معناه

(١) المصدر السابق (٢/٣٨-٤٠).

(٢) المصدر السابق (١/١٤٧).

الانقياد والطاعة والتسليم لله وحده .. هو إسلام العقل والقلب والروح والوجدان والحس والمشاعر والأموال والأعمال كلها لله الواحد القهار»<sup>(١)</sup>.

الدخول في الإسلام كان نقطة انطلاقة جديدة في حياة الشاب أحمد سامي، فقد أكب على قراءة القرآن خلال دراسته في المرحلتين الثانوية والجامعية، وتوقف ملياً عند الآيات التي تتحدث عن المسيح عليه السلام، وتذكر إنسانيته وعبوديته لله عز وجل ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ، فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ (المائدة).

كما درس أحمد سامي المذاهب المسيحية المختلفة، وتأمل ردودها على بعضها، ولفت نظره أنك «إذا سألت هؤلاء أو هؤلاء: أين الأدلة؟ لا ينطق أحدهم بمنت شفة؛ كالمألوف منهم»<sup>(٢)</sup>، واستغرب أن المحتجين يستدلون لمعتقداتهم وأقوالهم بأقوال الرهبان والآباء؛ لا بالنصوص المنسوبة إلى الله أو المسيح؛ والأصل في كلام

(١) المصدر السابق (١/١٤٨-١٤٩).

(٢) المصدر السابق (٢/٢٠).

هؤلاء القسس أن يُستدل له؛ لا أن يُستدل به.

بذل أحمد سامي جهده في الإسرار بإسلامه فَرَقاً من أذى أهله، وحرص على المحافظة على الصلاة والصيام بعيداً عن أعين إخوانه، بل كان يرافقهم إلى الكنيسة ليبدد شكوهم، فيزداد كل يوم يقيناً بحسن اختياره هجر النصرانية التي تمتلئ كنائسها بالصور والأيقونات التي تتزاحم الركب ركوعاً لها وسجوداً، تطلب بركات تماثيلها الحجرية والخشبية، وتخشى لعناتها، فيهمهم في قلبه: ويلكم، أفي هذه التماثيل الصماء أو الصور الورقية ما يضر أو ينفع<sup>(١)</sup>

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ (٦٦) ﴿ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٦٧) (الأنبياء).

وكلما مرت الأيام زاد يقين وتمسك أحمد سامي بدينه الحنيف، يقول: «كان القرآن من عوامل تثبيتتي على يقين الإيمان، لأنه ينفرد بتنظيم حياة الإنسان بشكل لا مثل له في كل الكتب وسائر الأديان»<sup>(٢)</sup>.

نال أحمد البكالوريوس من كلية التجارة بأسبوط، وأحب التعرف على مزايا شريعة الإسلام، فرجع إلى مقاعد الدراسة في كلية القانون والحقوق، وحصل على الليسانس، ثم ضاق ذرعاً من الإسرار بإسلامه، وأحب أن

(١) المصدر السابق (٥٧/٢).

(٢) المصدر السابق (٣٠/٢).

يعلنه على الملأ، وهو يعلم أن ذلك قد يكلفه حياته، ولنسمع إليه وهو يكتب، وكأنه يقرأ المخبأ له في قدر الله: «ليتني أفوز بأشد ما ينالونه مني. إن أشد ما ينالونه مني قطعاً هو قتلي، وما هو بقتل، ولكنه شهادة في سبيل الله، لا يفوز بها إلا المجاهدون الصابرون، إنني كما أوّمن بالله، فإنه لا توجد قوة على وجه الأرض تستطيع إنقاص عمري المكتوب لحظة واحدة»<sup>(١)</sup>.

أعلن أحمد إسلامه عام ١٩٨٤م في الأزهر الشريف، وأشهره أمام أهله وذويه في شهر فبراير من عام ١٩٨٦م، وحاول الهرب منهم إلى خارج مصر، فكانت يد الغدر أسرع إليه؛ إذ قتله أخوه غيلةً بالرصاص بعد ثمانية أشهر، وهو متوجه إلى عمله في سوهاج، نسأل الله أن يتقبله، وأن يحشره في الشهداء الذين قضوا في سبيل دينهم، مع ياسر وسمية، رضي الله عنهم وعن سواهم من شهداء المؤمنين

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١١١) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾

(آل عمران).

\* \* \*

(١) المصدر السابق (٨٥/٢).

## الدكتور مصطفى محمود

لا يصح أن تطوى صفحات كتابنا قبل أن أتحدث عن إسلام رجل من أعلام الفكر الحديث، رجل ولد ونشأ مسلماً، ثم ما لبث أن تلتخ بأوحال الإلحاد، وغرق في لججه زهاء ثلاثين سنة، كما دان خلالها بمعتقدات الهنود في تناسخ الأرواح ووحدة الوجود، حيث يتماهى الخالق بالمخلوق، ومارس مع الهندوس طقوسهم المعروفة باليوغا، قبل أن يفيق من سكرة الباطل ويعود إلى الإسلام من جديد.

إنه الدكتور مصطفى محمود رحمه الله، مقدم البرنامج الشهير «العلم والإيمان»، أربعمائة حلقة قدمها في ترسيخ الإيمان بالله الخالق عن طريق العلم الذي زعموا أنه يوصل إلى الإلحاد.

بدأ انحراف مصطفى محمود عن الإيمان في أواسط العقد الثاني من عمره، حين أغراه ذكاؤه البارِع وموهبته الكلامية بإقحام عقله الصغير فيما هو أكبر منه، ولم يدر - حينذاك - أن الباب الكبير لا يفتح بمفتاح صغير؟ وأنه لا يمكن لعقل بشري محدود أن يدرك العوالم البعيدة المحدودة؛ فضلاً عن إدراك ما يتعلق بالله عز وجل ووجوده، يقول الفيلسوف إيمانويل كانت: «العقل لا يستطيع أن يحيط بكنه الأشياء، وهو مهياً لإدراك الجزئيات والظواهر فقط»<sup>(١)</sup>.

(١) حوار مع صديقي الملحد، د. مصطفى محمود، ص (٥).

بدأت مسيرة الشكوك عند مصطفى محمود بأغلوطة إبليسية تمثلت سؤال بلا معنى، فقد بني على الغلط (من خلق الله)؛ فالخالق لا يمكن أن يكون مخلوقاً؛ وإلا لاحتاج إلى خالق، وخالقه يحتاج إلى خالق... وهكذا حتى ننتهي إلى ما يسميه المناطقة (الدور)، وهو ممتنع.

وقد كان النبي ﷺ قد أخبر بوقوع هذه الشبهة الشيطانية في أمته بعده «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا: خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله»<sup>(١)</sup>، وهذه الإجابة النبوية البليغة هي الأنسب لمثل لهذا السؤال، لأنه مما لا تقدر عقول العباد على إدراك جوابه، وهو كذلك من نزغ الشيطان ووساوسه، فكان الأصلح لصاحبه أن يأرز إلى إيمانه، ويلوذ بالله ليعيذه من وساوس الشيطان ومكره، قال ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله، ولينته»<sup>(٢)</sup>.

وفي جواب هذه الشبهة البائدة يذكر الدكتور مصطفى محمود بعد عودته إلى الإسلام أن السببية هي قانون الفناء الذي ينطبق على المخلوقين؛ أبناء الزمان والمكان، ولا يمكن أن نجريها على الله تعالى خالق الزمان والمكان، هل رأيت مهندساً يصنع آلة ثم يخضع للقوانين

(١) أخرجه مسلم ح (١٣٤).

(٢) أخرجه البخاري ح (٣٢٧٦).

التي تحركها كالزنبك والتروس والكهرباء؟! ويستشهد الدكتور مصطفى لبطلان هذه الشبهة بسلسلة عالم المنطق الشهير أرسطو الذي قال: الكرسي من الخشب، والخشب من الشجر، والشجر من البذر، واستمر في سلسلته في عالم السببية، واضطر أخيراً إلى الاعتراف بوجود سببٍ أولي، يحرك ما بعده، ولا يحتاج إلى من يحركه، سببٍ خالق غني عن يخلقه<sup>(١)</sup>.

ولذلك فإن الإيمان بالله تعالى أمر مركوز في الفطرة البشرية، ولم يجد الملحدون ما يدفعه، فتهربوا من الإقرار بالله الخالق، وأرجعوا كل هذا الكون البديع إلى خالق اصطنعته عقولهم أسموه «قوانين الطبيعة»، اسم مبهرج هرب الطبيعيون إليه سفسطة وخداعاً لأنفسهم؛ من غير أن يتعبوا عقولهم في التفكير والبحث عن وضع هذه القوانين وأجراها في الكون بهذا الشكل البديع والحساب الدقيق.

وهنا يسجل الدكتور مصطفى محمود إخفاقاً بالغاً للإلحاد الذي يقوم على الإيمان بالمحسوس والتنكر لعالم الغيب غير المحسوس، فالقوانين الطبيعية هي - في حقيقتها - غيب نؤمن به لما رأيناه من آثاره؛ دون أن ندرك سره وكنهه.

وضرب الدكتور مصطفى لذلك مثلاً باكتشاف نيوتن

---

(١) حوار مع صديقي الملحّد، د. مصطفى محمود، ص (٤).

لقانون الجاذبية، وهو يتأمل تفاحة تسقط من فوق الشجرة، قانون زمر الملاحدة له وطبلوا، وقالوا: اكتشفنا سر الكون، ولا حاجة لنا إلى الإيمان بخالق يدبر الكون، فالأمر -بحسب هؤلاء- متعلق بجملة قوانين تعمل في الموجودات، وتسيطر على مجرياتها، ولا حاجة عندهم للاعتقاد بوجود خالق مدبر مهيم على خلقه<sup>(١)</sup>.

حقاً لقد اكتشف نيوتن قانون الجاذبية، لكن ما سقط من فكر الطبيعيين أو تغافلوا عنه، وهو اسم واضع قانون الجاذبية، ومقرره وفق هذا الحساب الدقيق الذي يبهرنا في كل شيء حولنا، وقد كان العالم نيوتن نفسه أكثر تواضعاً من هؤلاء الطبيعيين، فقال: «لا أعرف كيف أبدو في أعين العالم، ولكن بالنسبة لِنفسي؛ فإنني أبدو فقط مثل طفل يلعب على شاطئ البحر مسلماً نفسه من حين لآخر بالبحث عن حصاة أنعم، أو صدفة أجمل من المعتاد، بينما انظر أمامي فأجد أن محيط الحقيقة العظيم لم يكتشف حتى الآن»، فنيوتن كان يؤمن بالله خالقاً، وهو رجل عاقل، لم يخرج اكتشافه لقانون الجاذبية إلى أوهام الملاحدة، فقد أحس بالعجز في الوصول إلى كنهها، فكتب إلى صديقه بنتلي يقول: «إنه لأمر غير مفهوم أن نجد مادة لا حياة فيها ولا إحساس [أي الأرض] تؤثر على مادة أخرى

---

(١) يعرف هؤلاء بالربوبيين، وهم مؤمنون بوجود خالق للكون، لكنهم يرفضون فكرة التدخل الإلهي في الشؤون الإنسانية.

وتجذبُها؛ مع أنه لا توجد بينهما أي علاقة»<sup>(١)</sup>.  
بعد ثلاثين سنة من الضياع وتقليب الفكر في ردهات  
الفلسفة وكتبها النافقة؛ رجع الدكتور مصطفى محمود إلى  
مخابر العلم، واكتشف تحت عدسات مجهره وجودَ الله؛  
بما رآه من آثاره في مخلوقاته التي تدل على كمال علمه  
وإحكام صنعه، فكل شيء في هذا الكون يدعو إلى  
الإيمان به تبارك وتعالى.

نداء استجاب له الدكتور مصطفى محمود، فأمن بالله  
الخالق من جديد، وكتب في تنفيذ مذاهب الإلحاد كتابين  
مهمين: الأول: «رحلتي من الشك إلى الإيمان»، والثاني:  
«حوار مع صديقي الملحد»، وعرض فيهما بعقلية العلم  
لما يلوكة الملاحظة بألستهم من أوهام عقولٍ غشيها ما  
غشيها من تقديس الذات وغرور العقل ، وغاب عنها  
المنطق السليم والفكر الرشيد ، يقول رحمه الله: «لأن الله  
غيب، ولأن المستقبل غيب، ولأن من يذهب إلى القبور لا  
يعود؛ راجت بضاعة الإلحاد، وسادت الأفكار المادية،  
وعبد الناس أنفسهم، واستسلموا لشهواتهم»<sup>(٢)</sup>.

تناول الدكتور مصطفى محمود في نقده لأقوال  
الملاحظة قولهم بالصدفة التي يرونها سبباً في وجود هذا  
الخلق المتناسق البديع، بينما يراها الدكتور مصطفى نوعاً  
من السداجة الفكرية التي لا تُتصور إلا في الأفلام الهزلية

(١) رحلتي من الشك إلى الإيمان، د. مصطفى محمود.

(٢) حوار مع صديقي الملحد، د. مصطفى محمود، ص (٢).

الرخيصة، فالمصادفة تخبط خبط عشواء، ومثل هذا العشواء لا يقيم كوناً بديعاً متسماً بالتناسق الذي يشهد في كل لحظة بحكمة خالقه ومبدعه، الله ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ (السجدة: ٧).

ويتساءل الدكتور مصطفى محمود: هل كان من الصدفة أن تكون أرضنا بهذا الحجم الموزون والمحكم، فلو زاد حجم الأرض لازدادت الجاذبية، ولم يمكننا العمل فوقها، ولو نقص حجم الأرض لأفلت الهواء من جوها، وتبخرت المياه من محيطاتها، فصارت جرداء قاحلة مثل القمر وغيره من الكواكب حولنا.

وهل من الصدفة أن تستدل الطيور والأسماك المهاجرة إلى موطن آبائها عبر آلاف الأميال من الصحاري والبحار؟ وهل من الصدفة أن تلقي البعوضة بيضها في الماء مزودة بكيسين للطفو، حتى لا تغرق بيوضها؟ من علمها ذلك وهي تفعله قبل أن يكتشف ارخميدس قانون الطفو؟ وأي صدفة أرشدت حشرات الحباب، لتضيء بأنوارها ظلمة الليل، فتجتذب البعوض إليها ثم تبتلعها قبل أن تغرق في الظلام من جديد؟ ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمِمْ بِالْبَصْرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ (القمر: ٤٩-٥٠).

إن أمثال هذه الصور العجيبة مبثوثة في كل ذرة من أجسامنا، بل وفي كل شيء حولنا ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ (الذاريات: ٢٠-٢١)، وهذه الصنعة لا تنتج - برأي العقلاء - من صدف عشوائية يهرف بها الملاحدة كلما أعيتهم الحيل في فهم شيء من أسرار روعة الكون ودقيق توازنه وتناسقه؛ فالهراء المسمى بالصدفة لا يقبله العقل، ولا يصدقه العلم إلا بمقدار تصديقه لخبر يروي أن قرداً قفز لاعباً على لوحة مفاتيح كمبيوتر (كيبورد) ، فكتب شعراً يماثل شعر شكسبير أو يناطح أدب المنفلوطي!<sup>(١)</sup>

كما نقد الدكتور مصطفى محمود الداروينية، وهي إحدى أكبر شرك الملاحدة، حيث يقول الداروينيون بتطور الكائنات عن بعضها البعض نتيجة استجابة المخلوقات لتأثيرات البيئة من حولها، فقد لاحظوا أن الدب القطبي يتميز عن أقرانه بوفرة صوفه، وأن سحالي الكهوف المظلمة عمياء، وهي لا تحتاج الإبصار الذي تتميز بقوته السحالي البرية، وكذلك فإن منقار الحمامة آكلة الحبوب أضعف وأرق من مناقير الصقور والنسور آكلة اللحوم، وهكذا بنى الداروينيون على أمثال هذه الملاحظات الصادقة أكبر ترهاتهم وأوهامهم ، إذ أغفلوا الحديث عن القوة الفاعلة المؤثرة في هذا التنوع، أو صاحب التطوير المبدع لهذه الكائنات.

وحالهم - كما يرى الدكتور مصطفى - يشبه حال

(١) انظر رحلتي من الشك إلى الإيمان، د. مصطفى محمود.

من نظر في تطور وسائل المواصلات التي استخدمها الإنسان بدءاً من عربة اليد التي يجرها الإنسان، ثم عربة الكارو التي يجرها الحمار، ثم عربة الحنطور المرفهة التي تجرها الخيول، ثم السيارة فالقطار وما تبعها من وسائل النقل، فالتشابه بينها ملحوظ في استخدام الخشب والمسامير والحديد وتقنية العجلة الدائرية، والتطوير واضح من حيث تطور الفكرة الميكانيكية، لكن ذلك لم يتم بشكل تلقائي، فلم تطور هذه الوسائل نفسها بنفسها استجابة للمؤثرات والبيئة، بل طورها الإنسان ، وبالمثل فإن أي ترقٍ - لو صح - في هذه الكائنات فإنما صنعه الله عز وجل الذي يتغافل عنه الداروينيون اليوم.

وكان من أهم ما تعلق به الملاحظة في إقرار مذهبهم؛ القول بأزلية الكون الذي ينفي عنه صفة الحدوث والمخلوقية، وهو قول أبطله العلم بمقرراته الحديثة التي تتأكد يوماً بعد يوم عبر نظرية الانفجار الكبير التي تفسر نشأة الكون، كما تتحدث عن إمكانية فناءه؛ بدليل فناء كل شيء من حولنا النجوم والحيوانات والنباتات، وفي كل ذلك ما يشهد بفناء الكون وعدم سمرديته ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (١٦) وَبَعَثْنَا فِيهِ مِنْ رَبِّكَ ذُؤَلْجَانَ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٧﴾ (الرحمن).

ويشهد لحدوثه نظرية التبادل الحراري التي تنص على أن الحرارة تنتقل من الساخن إلى البارد، ومن الأكثر حرارة إلى الأدنى، حتى يتعادلا في درجة حرارتهما، ولو كان الكون أزلياً لتوقف التبادل الحراري بين مكونات

الكون، ولبردت النجوم حتى أضحى الصقيع يلف كل شيء. فاستمرار عملية التبادل الحراري إلى اليوم دليل على حدوث الكون وعدم أزليته.

منذ عاد الدكتور مصطفى إلى إسلامه وفطرته؛ لم يفتر عن فعل الخير ونشر المعرفة والتأكيد على العلاقة الوطيدة بين العلم والدين، فقد بنى مسجداً جامعاً في القاهرة، وإلى جنبه جمعية خيرية، تضم مستشفى خيراً؛ إضافة إلى مركزٍ فلكي ومكتبةٍ عامة، ومتحفٍ للجولوجيا، وآخرٍ للأحياء المائية.

كما ترك للمكتبة العربية زهاء تسعين كتاباً أو قصة أو رواية تحكي في جملتها إبداع مؤلف جمع بين الطب والفلسفة والأدب<sup>(١)</sup>.

رحمه الله، وأجزل له المثوبة.

\* \* \*

---

(١) بعض روايات الدكتور مصطفى كتبها إبان تخبطه وإلحاده، ومنها رواياته «العنكبوت» و«التابوت»، وتظهر فيهما عقيدته في تناسخ الأرواح.

## الشماس ( محمد ) فؤاد الهاشمي

هل تراه يصح أن نكتب عن قصص الأماجد الذين دخلوا إلى الإسلام دون أن نعرج للحديث عن الدكتور محمد فؤاد الهاشمي.

العلم الذي يحمل أرقى الشهادات العلمية في فلسفة الأديان، والأكاديمي الذي ترك للمكتبة الإسلامية ذخراً نافعاً يليق بمكانته العلمية قبل وبعد الإسلام مصداقاً لقول النبي ﷺ: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»<sup>(١)</sup>.

ولد فؤاد في أسرة مصرية نصرانية متعصبة، وقد تعاهدته والدته بمزيد من الرعاية الدينية، وشجعتة على المواظبة على زيارة الكنيسة وحفظ التراتيل والصلوات الكنسية.

قبيل دخوله إلى المدرسة التحق بروضة تمهيدية، فحفظ فيها ما يحفظه أبناء المسلمين من صغار سور القرآن الكريم، الأمر الذي أطاش عقل أحد قسس الكنيسة الذي عز عليه أن يرى واحداً من أبنائها يترنم بسور القرآن الكريم، فافتتح فصلاً في الكنيسة لرعاية الأطفال وتعليمهم بعيداً عن مدارس المسلمين.

درس فؤاد التعليم الابتدائي في مدرسة نظامية داوم على الغياب عنها يوم الأحد، ليتعلم مع أبناء دينه في

(١) أخرجه البخاري ح (٣٣٧٤)، ومسلم ح (٢٣٧٨).

الكنيسة في مدارس الأحد، ولم يمنع ذلك تعلقه وحبه لحضور حصة التربية الإسلامية التي يحضرها الطلاب المسلمون، ولا يجبر عليها الطلاب النصارى.

شبّ فؤاد الهاشمي، وأنشأ في المدرسة جماعة للطلاب النصارى، وبدأ بمؤازرة خفية من الكنيسة في إثارة موضوعات الحوار الديني مع الطلاب المسلمين الذين فتك بهم التغريب والاستعمار، فلا يكادون يعرفون من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه.

هذا النشاط الديني المبكر أهّله لينال رتبة شماس في الكنيسة، وليعد من بعد ذلك لوراثة كرسي القس في كنيسة القرية، فشرع يتلقى التعليم الإكليريكي واللاهوتي على يد الكهنة المتخصصين، وانكب على الدراسة بين أيديهم بنهم ونشاط، وضعاه سريعاً أمام الكثير من المشاكل العقدية والأسئلة المتكاثرة التي واجهت الشاب المتحمس الذي لم يجد ما يدفع غصصها إلا انتظار اتساع مداركه وتمام عقله، لعله حينذاك يجد لها جواباً.

لكن لا شيء يمنع أن يختصر الزمن فيسأل من هو أعلم منه وأكثر خبرة ودراية في النصرانية وكتبها وعقائدها وفرقها، فراح يسأل أساتذته من الكهنة والقسس، فما وجد عندهم إلا ما يجده العطشان في البحر الأجاج.

تكاثرت ما أسماها الهاشمي «الغازاً وأشباه عقد»، فأثمرت قراراً إيجابياً مهماً، ولنسمع إلى الهاشمي قوله: «ولذا آثرت أن أبحث عن الإله الحق، لأن الحياة لا فائدة

فيها بلا عقيدة سليمة تريح النفس ويطمئن إليها الفؤاد ،  
تنبع من فطرة الإنسان السليمة التي فطر الله الناس عليها،  
وبرئت من عقيدة كلها تُرّهات تقليدية يؤمن بها الإنسان  
مقلداً بلا إرادة ولا تفكير، ومن هنا بدأ بحثي عن عقيدة أو  
دين يوصلني إلى الإيمان الصحيح بالله الذي عزمت أن  
أخلص له ديني»<sup>(١)</sup>.

في كتابه «سر إسلامي» يشرح فؤاد الهاشمي قصته  
في التحول من النصرانية إلى الإسلام، فيقول: «ومن الشك  
كانت البداية؛ بداية اليقين، ومن الدراسة كان الإيمان؛ كما  
آمن الإنس والجان من قبل»<sup>(٢)</sup>.

وأما تفاصيل شكه بالنصرانية فهي طويلة؛ نقتبس بعض  
ملامحها، فقد اكتشف فؤاد من قراءاته الواسعة أن النصرانية  
نسخة مطورة من أديان وثنية سابقة، فشعارها الصليب كان  
شعاراً عند المصريين الوثنيين للحب والتضحية، وكذلك فإن  
عقيدة التثليث التي تقوم عليها النصرانية معروفة في الوثنيات  
القديمة التي سبقت النصرانية التي استنسخت تلك العقائد،  
ولم يتجاوز تطويرها لها تغيير أسماء الآلهة التي عبدها  
الوثنيون، فالإله عند المصريين الوثنيين يتكون من ثلاثة أقانيم  
(آتون - آمون - رع)، وكذلك يعبد الهنود ثالوثهم (براهما -  
سيفا - فشنو)، وهو ما صنعه النصرانية المحرفة التي وضعها  
الامبرطور قسطنطين في القرن الرابع الميلادي، حين زعمت

(١) سر إسلامي، محمد فؤاد الهاشمي، ص (٨٨).

(٢) المصدر السابق، ص (١٥).

مجامعها الكنسية أن الله هو (الآب - الابن - الروح القدس)،  
 فالثلوث الوثني يعيد إنتاج نفسه في النصرانية مع تغيير  
 الأسماء فقط ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى  
 الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضِلُّهُنَّ  
 قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَن يُوَفَّكَونَ  
 ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَتَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ  
 وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا  
 وَاحِدًا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾  
 (التوبة).

لقد اكتشف الشماس فؤاد أن رجال الكهنوت  
 والكنيسة والمجامع سبب رئيس في ضلال أهل ملته،  
 حيث أخطؤوا، بل خطئوا في تفسير الكثير من النصوص  
 الكتابية التي تحدثت عن المسيح عليه السلام، فميلاده  
 العذري من غير أب اعتبروه دليلاً على ألوهيته، وهو خطأ  
 ظاهر، إذ أن آدم خلق من غير أب ولا أم، ولم يعتبره أحد  
 من العالمين إلهاً<sup>(١)</sup>.

وكذلك فإن تسمية بعض النصوص الإنجيلية  
 للمسيح عليه السلام بـ (الرب) لا تعني اعترافاً بألوهيته، بل  
 تعني (المعلم)، وهو معنى جلي لمن قرأ الإنجيل، وفقه  
 دلالات الكلمات في لغاتها الأصلية، فكلمة (رب)  
 الإنجيلية كثيراً ما تشتق من الكلمة الآرامية (رَبِّي) ويقابلها

(١) انظر المصدر السابق، ص (٥٧).

في العبرية (رَبَاي)، وفي العربية (رباني) التي تعني (المعلم)، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَكَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: ٧٩)، وهو معنى واضح في الإنجيل وضوح الشمس في رابعة النهار، ففي إنجيل يوحنا (١٦/٢٠) أن مريم المجدلية التفتت إلى المسيح «وقالت له: رَبُّونِي الَّذِي تفسيره: يا معلم»، ومثله في إنجيل يوحنا (٣٨/١): «رَبِّي الَّذِي تفسيره: يا معلم»، فهذا هو المعنى الحقيقي للكلمة (رب) حين تطلق على المسيح عليه السلام، وهي لا تقتضي ألوهيته التي يدعيها قسس الكنيسة<sup>(١)</sup>.

وحين قرأ فؤاد توراته وإنجيله قراءة فاحصة؛ وجد فيهما ذكر النبي ﷺ يتلألاً؛ رغم ما شاب هذه الكتب من العبث والتحريف، فالتوراة تتحدث عن نبي قادم يبعث من فوق جبل تُسميه جبل فاران: «جاء الرب [أي نبي الرب] من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألاً من جبل فاران» (التثنية ١/٣٣-٢)، وفي سفر حبقوق نقول التوراة: «والقدوس من جبل فاران.. جلاله غطى السماوات، والأرض امتلأت من تسيبته» (حبقوق ٣/٣)، فمن هو هذا الذي ملأ الأرض بالتسيب؟ وأين يقع جبل فاران الذي تتلألاً النبوة من فوقه؟

سؤال شغل فكر الشماس فؤاد، فوجد جوابه في سفر

(١) انظر المصدر السابق، ص (٥٩).

التكوين (٢١/٢١)، حيث تذكر التوراة أن إسماعيل عليه السلام «سكن في برية فاران»، ولما كان إسماعيل عليه السلام قد نشأ في وادي مكة التي تسميها التوراة (فاران)؛ فإن محمداً ﷺ هو النبي؛ لأنه نودي بالنبوة من فوق جبالها، ﷺ<sup>(١)</sup>.

وهكذا وصل فؤاد الهاشمي إلى الحق، واستكانت نفسه إليه بعد طول دراسة وبحث، فأمن بالله رباً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وشهد شهادة الحق، وتسمى بمحمد فؤاد، لقد دعاه إلى الإسلام ما وجدته فيه من قيم ومبادئ ملكت عليه عقله، يجملها بقوله: «آمنت بالإسلام لأنه دين التوحيد الخالص الذي دعا الناس إلى عبادة الله وحده .. آمنت بالإسلام لأنه لم يضع الأغلال في عنق الإنسان، ولم يلزمه بخطيئة موروثه عن أب وجدٍ.. ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۗ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (الإسراء: ١٣) .. آمنت بالإسلام لأنه لم يمتن كرامة الإنسان، ولم يجعل أحداً مهيمناً على أمور الدين فيقول لتابعيه: اتبعني دون تفكير .. آمنت بالإسلام لأنه شرائع ونظم اجتماعية لا تعرف تضخماً للجانب التعبدي عن الجانب الاجتماعي .. آمنت بالإسلام لأنه حض على العلم والتعلم، بل جعله فريضة مقدسة...»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر المصدر السابق، ص (١١١-١١٢).

(٢) المصدر السابق، ص (١٤١-١٤٥).

درس فؤاد في كتابه «الأديان في كفة الميزان» اثني عشر ديناً من الأديان المعاصرة، وذلك من جهة معتقداتها ونظمها وشرائعها وقيمها ، ثم توصل إلى أن الإسلام فقط هو الدين الذي يتساوق مع ضمير الإنسان وعقله وفطرته ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: ١٩)، ويلخص تجربته في اختبار الأديان والمفاضلة بينها بقوله: «لقد كان قصدي من البحث في الإسلام استخراج العيوب التي أوحى إليّ بها أساتذتي، لكن وجدت أن ما زعموه في الإسلام عيوباً هو في الحقيقة مزايا! فأخذ الإسلام بلبيّ، فانقذت إليه ، وأمّنت به عن تفكّر ودراسة وتمحيص ، وبها كلها رجحت كفة الإسلام ، ومالت كفة سواه»<sup>(١)</sup>.

وأكمل دراسته فحصل على درجة الدكتوراه في فلسفة الأديان، وانبرى للبشارة بدينه الجديد، فقدم للمكتبة العربية اثني عشر كتاباً في الذود عن الإسلام والبشارة به، وفيها عبّر بقلم العالم المحقق عن سر حبه للإسلام واختياره له وتفضيله على دين الآباء والأجداد، فشرح الحقائق العظيمة التي وجدها في الإسلام وافتقدها في غيره، فكتب كتابه «محمد في كتب الغرب» و«الإنسان في الأديان» و«حوار بين مسيحي ومسلم» و«النبى لا كذب»، وغيرها من الكتب النافعة التي أبرزت معرفة الدكتور الهاشمي الكبيرة في الأديان عموماً؛ وفي النصرانية

---

(١) الأديان في كفة الميزان ، ص (٢٨٨).

خصوصاً، ولا عجب في ذلك فهو الشماس الذي أمضى  
سنين يتقلب بين كتب الأديان، وكانت لكتبه بصمات  
واضحة في علم مقارنة الأديان والجدل بينها، رحمه الله،  
وأجزل له العطاء، وجمعنا به في جنته.  
\* \* \*

## نوح حاميم كلر

ولد نوح كلر في أمريكا في عام ١٩٥٤ لعائلة كاثوليكية متدينة، ورغم تربيته الدينية فإن طفولته شهدت إحباطات ثلاثة أَلقت بشكوك عارمة في قلبه حول النصرانية، فقد صدمته التعديلات الطقوسية التي تبناها مجمع الفاتيكان الثاني (١٩٦٢-١٩٦٥م)، الذي أدخل في العبادات صيغاً جديدة، وأجاز الاستعانة بالآلات الموسيقية المتنوعة في الصلوات، بذريعة المواءمة بين العبادة والتطور العلمي والتقني الحديث، وهذه التعديلات أوحث لكلر وغيره بتقلب الدين بحسب أحوال الناس وبيئاتهم، وقد كان يفترض في عباداته أن تلبى الاحتياجات الروحية للإنسان، وهي حاجيات ثابتة في الإنسانية لا تتغير ولا تتبدل بتبدل الزمان والمكان.

القضية الثانية التي فجرت إيمان كلر بالنصرانية وأحالتها إلى سراب؛ هي عقيدة التثليث؛ إذ لم ير في حياته، ولا سمع عن أحد يقوى على شرحها أو تبسيطها للأفهام، فالكنيسة تقول بأن [الآب، الابن، الروح القدس] هم ثلاثة شخصيات متباينة في أسمائها وصفاتها وخصائصها وأفعالها، وهم - رغم ذلك كله- إله واحد! كيف يعقل هذا!

حاول نوح كلر مراراً التفاعل مع هذه العقيدة بإيجابية، فكان ينتقل في عبادة من يسميهم «أعضاء اللجنة الإلهية» (الثالوث)، فيوطد العلاقة مع واحد من أفراده

فيخضعه بالعبادة، ويطلب منه التوسط له عند شريكه اللذين قصر في عبادتهما، وما زال يتنقل بين أفراد الثالث، يعبد كل واحد منهم برهة من الزمن، ثم يغادره إلى غيره، حتى ضاق قلبه عن عبادة ثلاثة آلهة، فاكتفى - في خاتمة المطاف - بعبادة الله الواحد الأحد؛ جل عن الشريك، وتنزه عن الممثل، وترك عبادة المسيح، وأمن ببشريته، وتخلص من تشعب القلب وتخبطه في إرضاء الثلاثة الذين تدعو الكنيسة إلى عبادتهم؛ زاعمة أنهم ثلاثة في واحد، وواحد في ثلاثة!.

وبعدد أفراد الثالث النصراني كانت إحباطات كلر من النصرانية، فثالثها كان رفضه لصكوك الغفران التي تداولتها الكنائس الكاثوليكية طوال قرون، وبموجبها تمنح الكنيسة الخلاص للمؤمنين الذين يدفعون قسطاً من المال؛ لينالوا قسيمة صك الغفران؛ المذيلة بتوقيع أب من آباء الكنيسة، يقلبهم من عشراتهم وفجراتهم؛ في مقابل ما دفعوه من المال. ممارسة كنسية لم يقبلها نوح كلر، فكانت «المسماز الأخير» في نعش تدينه بالنصرانية.

أراد كلر إنقاذ إيمانه واستنباته من جديد بقراءة الكتاب المقدس، لكن هيهات أن تنبت بذور زرعت في الهواء، فقراءته للأسفار المقدسة لم تزده من الدين إلا بُعداً، فقصصها واستطراداتها غير المنطقية، جعلت منه كتاباً مهجوراً حتى عند المؤمنين به، فقد أعرضت عن جملته الكنائس المختلفة، مستعيضة عنه بالتزام بعض النصوص

الطقوسية التي استغنت بها عن قراءة تلك الاستطرادات المطولة التي يرى كلر أنها عاجزة عن تأسيس حياة إيمانية مطمئنة.

تعمقت مشكلات نوح كلر مع الكتاب المقدس في عام ١٩٧٢م حين بدأ بدراسة الفلسفة في جامعة غانزاغا الكاثوليكية، فقد درس كتاب «إشكالية يسوع التاريخي» للعلامة يواكيم يريمياس، وقد انتهى هذا الناقد الكبير إلى قصور الأناجيل عن الوفاء بتقديم سيرة واضحة المعالم للمسيح عليه السلام، وأنه «يمكن القول دون أدنى ريب: إن الحُلْم بكتابة السيرة الذاتية ليسوع قد انتهى إلى الأبد»<sup>(١)</sup>، فساءل نوح عن النتيجة التي يمكن أن يؤول إليها جهد باحث آخر لا يؤمن بمعتقدات يواكيم النصراني الذي عجز إلا بعد تكلف إلى إقرار وجود يسوع وبتفأ سيرة من سيرته.

تعلم نوح كلر من دراسة الفلسفة منطقية سؤاليين اثنين: ماذا تعني هذه الحقيقة بالتحديد؟ وكيف توصلت إليها؟ فطرحهما على نفسه بخصوص معتقداته النصرانية، فكان الجواب: «أدركت أن المسيحية قد سقطت من بين يدي، ونتيجة لذلك قررت خوض تجربة البحث عن معنى في عالم لا معنى له، وهي التجربة التي يمكن القول: إن كثيراً من الشباب الغربي قد خاضها بصورة أو بأخرى»<sup>(٢)</sup>.

(١) لهذا أسلمت (رحلة البحث عن معنى)، نوح كلر، ص (١٢).

(٢) المصدر السابق، ص (١٣).

في خضم هذه التجربة أُلحد نوح كلر، وانتقل من جامعته الكاثوليكية إلى جامعة شيكاغو، ليدرس فيها نظريات المعرفة الأخلاقية عند فلاسفة ومفكري الغرب الملحدين في القرنين التاسع عشر والعشرين (نيتشة وفرويد وكايم وآرثر شوبنهاور، وغيرهم)، فهؤلاء الملحدون مطبقون على أن القيم الإنسانية وضعية من صنع البشر، وأنها لم تنزل من السماء، وأنها غير ثابتة، بل تتبدل بتغير الزمان والمكان والأحوال، فما يعتبره مجتمع ما فضيلةً؛ قد يصبح رذيلة في مجتمع آخر أو في زمان آخر. فلسفة شيطانية تتنكر للدين، وقد تبين لكلر لاحقاً أنها لم تستطع تهذيب حياة الناس في الماضي، ولا إشباع جوعه التدين فيهم، بل تركتهم كذئاب هائمة في غابة الأنانيين والانتهازيين، «كنا قد أشبعنا ثقافتنا وماضينا بكل ما هو مادي، وبالتالي جردنا أنفسنا من إنسانيتنا بمفهومها الأوسع، كما جردنا أنفسنا من فطرتها وعلاقتها بحقيقة عليا»<sup>(١)</sup>.

في الإجازة الصيفية اعتاد نوح كلر كل سنة العمل في قوارب الصيد البحري؛ ليوفر مصاريفه الجامعية، البحر كتاب آخر فتحه كلر حين كان يستريح من كتب الفلسفة الدراسية، كتاب واسع بقدر اتساع المحيط أمامه، فأمواج البحر العاتية أشعرته بضالة الإنسان وضعفه مع كل زوبعة

---

(١) المصدر السابق، (٣٦).

بحرية توشك على ابتلاع سفينتهم، لقد حاصره الموت مراراً، وخطف عديدين حوله، وأجبره على العدول عن الإلحاد، والسعي للتصالح مع الفطرة من جديد، والبحث عن الحقيقة التي تجعل للحياة معنى.

قراءاتُ نوح كلر المختلفة وتأملاته البحرية قادتته إلى الإقرار بحقيقة مهمة، وهي (وجود الله، وأنه تبارك وتعالى شرع لنا السلوك المناسب الذي سيحاسبنا عليه يوم القيامة في جزائه العادل)، لكن هذه الحقيقة تدور حولها ثلاثة أديان (النصرانية التي تركها، وسلفها اليهودية، وكذلك الإسلام)، فأين تكمن الحقيقة؟.

للتعرف على الإسلام قرأ نوح كلر ترجمة معاني القرآن الكريم للمستشرق المتعصب جورج سيل، فتوصل إلى أنه «حتى لو كان هذا الكتاب منحولاً؛ فإنه لا يمكن أن يوجد تعبير عن الدين أكثر مساساً بجوهر القضية ولبها منه»<sup>(١)</sup>.

قرأ نوح كلر ترجمة أخرى للقرآن، وهي ترجمة المستشرق أربري «ورغم أن ترجمة القرآن لا تستطيع مهما بلغت جودتها نقل روحه الخاصة التي يستشعرها قارئه بالعربية؛ إلا أن تفوق القرآن في ترجمته هذه قد ظهر - في كل سطر من سطورهِ - على الكتاب المقدس بعهديه [القديم والجديد أي التوراة والإنجيل]، وشعرتُ كما لو

---

(١) المصدر السابق، ص (١٧)، والمنحول هو الكتاب الذي لا تصح نسبته إلى المؤلف الذي ينسب إليه.

أن حقيقة الوحي الإلهي قد مثلت نصبَ عيني .. لقد رأيت في هذا الكتاب أسلوبه الرفيع، وقوته وحجيتَه التي لا تقبل الرد، وطريقته المدهشة في استباق حجج القلب الملحد، والإجابة عنها قبل طرحها؛ رأيتُ في ذلك كله بياناً واضحاً للإله كإله، وللإنسان كإنسان، بحيث إن الوحي بوحدانية الإله الذي يثير الخشية والإجلال له؛ هو نفسه الوحي المتنزل بالعدالة الاجتماعية والاقتصادية بين البشر»<sup>(١)</sup>.

لغة مترجم القرآن جورج سيل الركيكة وتحامله - المعهود من المستشرقين على القرآن - دعت كلر للشعور بضرورة تعلم العربية، لفهم القرآن بعيداً عن تفسيرات سيل وشناعاته، فحمل - في عام ١٩٧٦م - على ظهره حقيبة الترحال ميمماً صوب مصر، ونزل بين أهلها ، فأدهشه ما رآه من طبيعتهم البالغة ، «في مصر وجدتُ ما أعتقد أنه سبب انجذاب كثير من الناس نحو الإسلام، وأعني بذلك أثر التوحيد الخالص على أتباعه .. فقد تنقلتُ في نواحي القاهرة وغيرها؛ أراقبُ الناس، وأتأملُ في عاداتهم ومعايشهم، وقابلتُ كثيراً من المسلمين من صالحين ومن دونهم؛ كانوا جميعاً متأثرين بتعاليم كتابهم بدرجة أكبر مما شاهدته في أي مكان آخر»<sup>(٢)</sup>.

كثير من هؤلاء الناس الطيبين تركوا في قلب نوح كلر بصماتٍ لا تمحى، فلن ينسى أبداً الشاب الذي يدرك

(١) المصدر السابق ، ص (٣٩).

(٢) المصدر السابق ، ص (٣٩).

فريضة ربه عليه، فيصلي بخشوع في الشارع، وكذلك لن ينسى كلر طالب الثانوية الذي يلتهب حماساً وهو يحدثه عن الإسلام، ولا يفارقه قبل أن يدعو له بالهداية، ولقد هزَّ أعماقه تأثر صديقه من سقوط المصحف على الأرض، فقام سراعاً يلتقطه، وعلامات الأسي تختلط في وجهه مع مشاعر الإجلال والاحترام لكلمات القرآن التي تكتنزها صفحاته «جالت في ذهني أفكار كثيرة في تلك الأشهر التي قضيتها في مصر، ووجدت نفسي أفكر في ضرورة أن يكون للإنسان ديناً ما، لقد كان فيمن رأيتهم من المسلمين نبلاً في القصد، وسماحةً في الروح، [اكتسبوها] من تأثير الإسلام في حياتهم، ذلك التأثير الذي فاق تأثير أيِّ دين رأيتُه .. لقد وقع ذلك من نفسي موقعاً كبيراً .. ولهذا وجدت نفسي تتطلع أكثر فأكثر نحو الإسلام؛ لغناه بهذه المعاني النبيلة، وثرائه في التعبير عن تلك المحاسن»<sup>(١)</sup>.

أما الموقف الأشدَّ تأثيراً في قلب نوح كلر، فكان رؤيته لعجوز مكتسية بجلبابها الإسلامي؛ رأته بملابس التنزه، فظنته فقيراً، ولم يمنعها اختلاف الجنس والدين عن وضع صدقتها في يده، فتقبلها كلر وهو غارق في ذهوله «لقد جعلني هذا الموقف أفكر كثيراً في الإسلام، لأنه كان الباعث الوحيد الذي ظهر لي من صنيع تلك المرأة»<sup>(٢)</sup>.

وفي ردهة الفندق جاءت القشة التي قصمت - بل

(١) المصدر السابق، ص (٤٣-٤٤).

(٢) المصدر السابق، ص (٤٣).

أنقذت - ظهر البعير، حيث اعترضت طريقه عجوز؛ عزَّ عليها أن ترى هذا الشاب الممتلئ بالحياة على دين الحيرة والضلال ، فكثيراً ما يستغرب هؤلاء البسطاء أن يكون للعقلاء دينٌ آخر غير الإسلام، وحقَّ لهم، فقد رأوا رغم بساطتهم من جمال الإسلام وروعته ما أدهش القاصي والداني، فكيف للعقلاء والمثقفين أن تعشى عيونهم عن أنواره؟!

سألته العجوز: لماذا لا تصبح مسلماً؟ يقول: «طرحْتُ هذا السؤال - في تلك اللحظة - على نفسي، فوجدتُ أن الله خلق في قلبي عزمًا للانتماء إلى هذا الدين الذي لمستُ مدى إغنائه لقلوب كل أتباعه؛ من بسطاء الناس إلى ألمعهم فكراً وفهماً على حد سواء .. لم يكن مجردُ الرغبة والافتناع العقلي هو السبب في إسلامي، إنما هي رحمة الله وهدايته التي تداركني بها، فأخرجني من الظلمات إلى النور، ومن الشك إلى اليقين، والله يختص برحمته من يشاء»<sup>(١)</sup>.

في عام ١٩٧٧ أسلم نوح كلر في الأزهر الشريف، ورحل إلى الأردن ليدرس فيها العلوم الشرعية، حتى غدا أستاذاً يَفد إليه أبناء المسلمين ، يتعلمون منه دينهم، وما زال يقيم في الأردن منشغلاً بالتأليف والترجمة والتدريس، نسأل الله أن يهدينا وإياه إلى كل خير.

---

(١) المصدر السابق ، ص (٤٦-٤٧).

## الدكتور ( عبد الواحد عمر ) جاري ملر

لم يكن من كبير عجب أن يتحول الدكتور جاري ميلر أستاذ علم الرياضيات إلى الإسلام، لكن العجب كل العجب أن الكثيرين من أمثاله من عقلاء الأمم مازالوا يصمون السمع عن الدين الحق الذي ارتضاه الله للبشرية ديناً.

نشأ جاري ميلر في كندا، وترعرع في مدارس طائفة الفرنسييسكان الكاثوليكية ، ثم درس اللاهوت في جامعة اليسوعيين (الجزويت)، وغدا بفضل ذكائه ومواهبه من المنصرين النشطين الداعين إلى النصرانية في الكنائس والقنوات التلفزيونية، قبل أن يحصل على درجة الدكتوراه في الرياضيات من جامعة تورنتو .

لم يستطع عقل ميلر الرياضي أن يقبل ما يلقيه إياه القسس الكاثوليك في كنائسهم فهجرها، وانتقل إلى المذهب البرتستنتي، ليطوف بين كنائسه المختلفة مدة تسع سنوات، وهو يسأل علماءهم وقسسهم، لكن: قد أسمعت لو ناديت حياً

ولكن لا حياة لمن تنادي

سألهم ذات مرة: من أبو عيسى؟ فقالوا: (الله)، سأل ثانية: فمن أمه؟ قالوا: مريم. فاجأهم بسؤال تلقائي: هل تقصدون أن الله عز وجل تزوج مريم فأنجبا عيسى؟! قالوا: لا. لا تقل هذا، فالله لم يتزوج مريم.

فألقي ميلر صاعقته: هل أنجب الله ومريم المسيح  
بغير زواج؟

فَغَرَّتِ الأفواه، ونكست الرؤوس، وغصت الكلمات  
في الحلوق حين سأل ميلر القسس نصاً واحداً يتحدث فيه  
المسيح عن ألوهيته أو التثليث؟ فقد استرعى انتباهه أن  
الوعاظ والقسس نادراً ما يستدلون على معتقداتهم بأقوال  
المسيح، إنهم يهجرون ما في الأناجيل من أسطر قليلة  
منسوبة إلى المسيح، أسطر لو جمع بعضها إلى بعض فلن  
يتجاوز في طوله عمودين من أعمدة مقالات الصحف،  
ولن يجد قارئها ما يبرهن به على أن المسيح كان يدعي  
الألوهية أو أقنومية الإله.

سنوات والشباب المشاغب جاري ملر يصدع رؤوس  
القسس بأسئلته، وقد أراد الله له الخير، فأقرأه الكثير من  
كتابات المستشرقين عن الإسلام ونبيه ﷺ، وأوصلته  
قراءته إلى اتفاق الكتاب الغربيين على رفض نبوة النبي  
ﷺ، مع تحيرهم وتخالفهم في تبريره، فالبعض منهم  
يتهمونه بالجنون، والبعض الآخر بالكذب، وهما تهمتان،  
بل فريتان متناقضتان، فإما أنه ذكي يكذب على الناس  
فيخدعهم بادعاء النبوة، وإما أنه مجنون لا يعي ما يفعل  
وما يقول ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ  
جَاحِلٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَّصَوْنَ بِهِۦٓ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ ﴿٥٣﴾﴾ (الذاريات: ٥٢ -  
٥٣).

لكن كلا الفريتين تكذبه سيرة النبي ﷺ ، وقد اطلع عليها جاري ميلر في كتاب المستشرق اليهودي الفرنسي مكسيم رودنسون ، ورغم ما في الكتاب من تحامل على شخص النبي ﷺ فإنه فتح أمامه أبواباً لظالما بقيت موصدة، منها أن إبراهيم ابن النبي ﷺ مات، ووافق ذلك كسوف الشمس، فقال الصحابة: «كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته»<sup>(١)</sup>، فما جوابه لهم بقول كذاب ولا مجنون، فلو كان واحداً منهما لصدق قولهم، ولما أنكره عليهم، ولزعم أن في هذا الحدث الكبير إثبات نبوته ورسالته.

في عام ١٩٧٧م قرر الدكتور جاري قراءة القرآن وتمحيص ما يتوقع أن يكون فيه من حق وباطل، قرأه في ثلاثة أيام؛ فلم يملك إلا أن قال لنفسه: «هذا ما كنت أقول به وأعتقد منذ خمس عشرة سنة»<sup>(٢)</sup>.

لقد كان يتوقع أن القرآن كتاب يتحدث عن محمد وأحاسيسه وعائلته وبيئته، كما هو الحال في كتب أهل الكتاب؛ فإذا بعينه تتسابق إلى ما لم ينتظره، لكم أدهشه

---

(١) أخرجه البخاري ح (١٠٤٣)، ومسلم ح (٩١٥).

(٢) الخلاف الحقيقي بين المسلمين والمسيحيين (ندوة أقيمت في ديربان في جنوب أفريقيا عام ١٩٨٤م)، أحمد ديدات وجاري ميلر، ترجمة: محمد مختار، طبعة دار المختار ، ص (١٤٥).

أن القرآن ذكر اسم النبي ﷺ خمس مرات فقط؛ في حين أنه ذكر اسم نبي الله عيسى عليه السلام خمساً وعشرين مرة، وذكر موسى عليه السلام ما يربو على المائة مرة.

دهش جاري لما وجد في سور القرآن سورة باسم مريم، وفي المقابل لم يجد فيه سورة خديجة أو عائشة أو فاطمة، لقد افتقد في القرآن كل ما يتعلق بأحاسيس النبي ﷺ الشخصية، فلا تظهر في آيات القرآن نشوة انتصاره في غزوة بدر، ولا ذلة انكساره في أحد، ولا يذكر القرآن حرفاً واحداً عن الأحزان التي توالى على النبي ﷺ في عام الحزن، لأنه كتاب الله؛ لا كتاب محمد ﷺ.

توقع جاري ملر أنه سيقراً في القرآن معارف قديمة كتبها رجل عاش في الصحراء قبل ألف وأربعمائة سنة؛ فإذا به يجده كتاباً لا يحده الزمان ولا المكان، كتاب سبق العلم الحديث إلى إقرار دقيق وجليل المسائل التي توصل إليها العلم حديثاً، فانحنى إجلالاً وإكباراً لحقائقه.

قبل مائتي سنة اكتشف العالم الهولندي أنطوني ليون هويك "Leeuwenhoek" أن الماء يكوّن ٨٠% من مادة الخلية الحية في الكائنات، وهو ما سبقه إليه القرآن بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (الأنبياء: ٣٠).

ومقدمة الآية السابقة ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ إضافة إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ

أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴿١٥﴾ سبقتنا إلى تقرير نظرية علمية مهمة حول بداية الخلق ونشأة الكون، وهي نظرية الانفجار الكبير (Big Bang) التي تحوز على قصب السبق عند العلماء اليوم، وقد نال عليها مكتشفوها جائزة نوبل للفيزياء.

وقد حدث الشيء نفسه عام ٢٠١١م حين نال جائزة نوبل للفيزياء كل من سول بارل موتر، وآدم رايس، وبرلين شميدت، وذلك لاكتشافهم ظاهرة تسارع اتساع الكون، وهي حقيقة علمية سبق القرآن نوبل وأهل نوبل إلى ذكرها ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات: ٤٧)، فمن الذي أنطق محمداً ﷺ بها قبل تلك القرون. إن من أوحى هذا الكتاب كان موجوداً يوم خلقت السماوات والأرض، إنه الله الأول والآخر.

وتحدث القرآن أيضاً عن أطوار الجنين ﴿فإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّينَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ (الحج: ٥)، آية استوقفت زميل الدكتور ميلر في جامعة تورنتو، البرفسور كيث ل مور أستاذ علم الأجنة ومؤلف الكتاب الشهير (The Developing Human) "أطوار خلق الإنسان" الذي يعتبر مرجعاً معتمداً في كليات الطب العالمية، فقال: «يتضح لي أن هذه الأدلة حتماً جاءت لمحمد من عند الله، لأن كل هذه المعلومات

لم تكشف إلا حديثاً وبعد قرون عدة، وهذا يثبت لي أن محمداً رسول الله»<sup>(١)</sup> ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (سبأ: ٦).

وضع القرآن بصمته في كتب البرفسور كيث مور، فأضاف في طبعتها اللاحقة ما تعلمه من القرآن حول علم الأجنة، لكن الدنيا قامت ولم تقعد حين أصدر كيث مور كتابه عن علم الأجنة السريري، فأشار فيه إلى سبق القرآن في تقرير حقائق تطور الجنين.

أجرى الدكتور جاري ميلر لقاء تلفزيونياً مع زميله البرفسور كيث مور، أسمع فيه الأخير الحضور شيئاً من علوم القرآن، وقال: «صفة العلقة جديد بالنسبة لي»، ووضع أمامهم صورة العلقتين (الجنينية والحيوانية)، ليبرهن على دقة الوصف القرآني والتشابه الكبير بينهما.

عثاً حاول الصحفيون إيجاد تبرير لهذا السبق العلمي القرآني، فافترض واحد منهم أن العرب قاموا بتشريح الجنين لوحشيتهم، فتوصلوا إلى هذا الوصف الدقيق، فأجابه البرفسور كيث مور: لو فعل العرب ذلك؛ فإنهم لن يروا شيئاً لأن العلقة لا ترى إلا بالميكروسكوب، وأضاف ساخراً: يمكنك أن تقول بأن أحد العرب كان لديه مكرسكوب دقيق رأى فيه العلقة، فأعلم بذلك محمداً دون

(١) إنه الحق، هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي (ص ٤٩، ٥١-٥٢، ٨١، ١١٦-١٢٠).

غيره، ليسجل لنفسه هذا السبق الفريد، ثم كسر هذا العربي  
مكرسكوبه حتى لا يتوصل غيره إلى ما توصل إليه. إن هذا  
من السخافة بمكان.

فلم يجد الصحفيون بُدأً من سؤاله عن مصدر محمد  
[ﷺ] بهذه المعلومات الدقيقة عن الجنين، فأجاب كيث  
مور: «لم يكن هذا ممكناً إلا بوحي من الله».

أدهش جاري ميلر في القرآن دعوتُهُ الآخرين على مر  
العصور والدهور إلى النظر في آيات الله الماثورة في  
الكون، وهو موقن واثق بنتيجة تجوالهم فيها ﴿سُرِّيهِمْ  
ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ  
بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣)، فالقرآن يتحدى  
أعداءه في إثبات دعواهم بشرية آياته، ويفتح لهم الباب  
على مصراعيه للتثبت والاختبار، ويمنحهم الفرصة لنقضه إن  
استطاعوا ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ  
أَخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

أذهل جاري اتفاق الكُتَّاب الغربيين على أن القرآن لا  
يمكن أن يكتبه النبي ﷺ من عند نفسه، وذلك لأنه كتاب  
مذهل بمعارفه وموضوعاته، وهو ما قد يضطرهم للقول  
بأنه وحي الله، وأيسر منه زعم بعضهم أن لجنة مجهولة  
ساعدت النبي ﷺ في إعداده، أو قول غيرهم: أعانته  
الشياطين على تأليفه.

ولكم عجب الدكتور جاري من هذا القول الأخير

الذي يعتبره نوعاً من الهروب والعجز عن المواجهة، فلئن كان هذا القرآن من وحي الشيطان كما يزعمون، فما بال الشيطان يملأ كتابه في ذم الشياطين والتحذير من أحابيلهم وخطواتهم، ويأمر بعداوتهم ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر: ٦)، وما بال هذا المزعوم يأمر قارئه بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم في استفتاح كل قراءة لآياته ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل: ٩٨).

رغم أن الموسوعة الكاثوليكية الجديدة لم تجد ما تقدمه لقراءتها من تفسير مقبول لروائع هذا القرآن؛ فإنها ملّت من ترداد ترهات المستشرقين عن مصادر القرآن، وصارحتهم بأنه: «عبر القرون الماضية قُدمت نظريات كثيرة عن أصل القرآن ... واليوم لا يوجد إنسان عاقل يقبل بأيّ منها»، لقد نطقوا بالحقيقة أخيراً!

أسلم الدكتور جاري ميلر في عام ١٩٧٨م، وتسمى بعد الواحد عمر، وترك عمله في أقسام الرياضيات، ليتفرغ للعمل الدعوي في كندا، وكتب كتابه الممتع «القرآن المذهل»، ليضيف من خلاله إلى المكتبة الإسلامية جهداً متميزاً، نسأل الله أن يتقبل منه.

\* \* \*

## كارمن سركيسيان

كارمن سركيسيان فتاة أرمنية نصرانية ولدت عام ١٩٦٥م في الكويت - حيث يعمل والداها - وفيها نشأت وترعرعت، لتعمل بعد ذلك سكرتيرة في شركة «الكويت للمشاريع الهندسية».

تعرفت كارمن في عملها على شاب مسلم مقيم في الكويت يعمل في الشركة نفسها، خطبها فقبلت الزواج منه خفية عن أهلها الذين لم يكونوا ليقبلوا بزواج ابنتهم من مسلم.

عرض عليها القاضي - الذي عقد قرانهما - الدخول في الإسلام، فقبلت، وأعلنت الشهادتين بين يديه؛ لا لقناعتها بالإسلام، بل لما رأت في ذلك من إرضاء لعريسها الذي لم يفته أن إسلام عروسه - الذي تدعيه - لا يعدو أن يكون مجاملة اجتماعية، أو جولة عاطفية تريد عروسه منها كسب قلبه والمزيد من محبته.

اكتشف أهل كارمن زواجها من مسلم، فجدُّوا في إقناع زوجها بتطليقها، ووعدوه بالتنازل عن مؤخرها وكافة حقوقها، لكن الزوج المحب لزوجته لم يكن أقل منها استمساكاً بديمومة الزواج والمحافظة على بيتها السعيد، الذي لا ينغصه إلا اختلاف دينهما.

اختلفت كارمن بعائلة زوجها، وتعرفت من خلالهم على الكثير من أعراف وقيم مجتمعاتنا الشرقية التي تنبع

من الإسلام، فتعرفت على الحجاب واحترام الوالدين وتوقير الكبير، وشدَّ انتباهها شغف المسلمين بالصلاة وحرصهم على الفصل بين الجنسين، وغيرها من تقاليد مجتمعنا الإسلامي.

قرأت كارمن في عيون أخوات زوجها وأمه حرصهم على أن تصبح مسلمة، إذ كانوا يفتعلون المناقشات أمامها حول الإسلام والمسيح وأمه العذراء البتول؛ ولم يدخروا جهداً بوصاتها بالقراءة عن الإسلام وعمما يقدمه للبشرية من إصلاح ونور؛ مستشهدين بأقوال العقلاء من الشرقيين والغربيين وهم يقدمون شهاداتهم المنصفة عن الإسلام وكتابه ونبيه<sup>(١)</sup>، فالشاعر الفرنسي الشهير لامارتين يقول: «إن محمداً هو أعظم رجل بجميع المقاييس التي وُضعت لوزن العظمة الإنسانية؛ فإذا كان مقياس العظمة الإنسانية هو إصلاح شعب متدهور، فمن الذي يطاول محمداً في هذا المضمار؟»

وإذا كان مقياس العظمة هو توحيد الإنسانية المفككة الأوصال؛ فإن محمداً أجدرُّ الناس بهذه العظمة؛ لأنه جمع شمل العرب بعد تفكك شامل.

وإذا كان مقياس العظمة هو إقامة حكم السماء في الأرض؛ فمن ذا الذي ينافس محمداً الذي محا مظاهر الوثنية، وثبت عبادة الله وقوانينه في عالم الوثنية؟».

---

(١) الكويت وقصة إسلامي، كارمن سركيسيان، ص (٦٤، ١٢٢).

وكذلك سمعت كارمن من أهل زوجها شهادة الأديب  
برنارد شو وهو يقول: «لقد درست سيرة محمد فوجدته  
بعيداً عن مخاصمة المسيح، ويمكن بحق أن نعتبر محمداً  
(منقذ الإنسانية)، وأعتقد أن رجلاً مثله لو حكم العالم -  
بإيثاره وخُلُقَه - لجلب للعالم السلام والسعادة».

وسمعت منهم أيضاً شهادة يوهان غوته أديب ألمانيا  
الشهير في ديوانه الشعري (الديوان الشرقي) إذ قال: «إذا  
كان الإسلام معناه أن نسلم أمرنا لله، فعلى الإسلام نعيش  
ونموت جميعاً»، وقوله: «إننا - أهل أوروبا بجميع  
مفاهيمنا - لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد [ﷺ] ،  
وسوف لا يتقدم عليه أحد... ولقد بحثت في التاريخ عن  
مثل أعلى للإنسانية ، فوجدته في النبي محمد ... وهكذا  
وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح محمد [ﷺ] الذي  
أخضع العالم كله بكلمة التوحيد».

وأما زوج كارمن فلم يشأ الحديث معها عن الإسلام  
- تنفيذاً لوعده لها بعدم التدخل في خصوصيتها الدينية -  
لكنه لجأ إلى الدعوة غير المباشرة؛ حين كان يحرص على  
الاستماع - حال اجتماعهما - إلى برامج إذاعتي القرآن  
الكريم من الكويت، وإذاعة نداء الإسلام من مكة  
المكرمة.

وذات مرة أصرت كارمن على محاوره زوجها حول  
ألوهية المسيح، واستدلت على ذلك بميلاده من عذراء،  
فأخبرها بأنه سيتحول إلى النصرانية إذا أثبتت له صحة

معتقدها ، حيث زعمت كارمن أن المسيح كائن خلقه الله من غير أب، وأنه أيضاً ابن الله، فجلى لها تناقض قولها بألوهية المسيح مع اعترافها بأنه مخلوق، وكذلك فإن من التناقض أن تقول: إن المسيح هو ابن الله وأنه أيضاً ليس له أب.

يبين لها زوجها أنه لا مزية تقتضي الألوهية من جهة ولادة المسيح العذراوية، فآدم أعجب منه ولادة وأكرم، حيث ولد من غير أب ولا أم، ولم يخرج من بين طمث النساء كما وقع لعيسى عليه السلام وغيره من بني البشر:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٥٩) <sup>(١)</sup>.

في عام ١٩٧٨م اعتنقت كارمن الإسلام، وارتدت الحجاب الإسلامي بعد سنتين من الإبحار في بطون الكتب، وقد رسّخ الإسلام في صدرها ما ألقاه الله في فؤادها من شغف بالقراءة والمطالعة التي مكنتها من اكتشاف كنوز القرآن الكريم، وقد لفت نظرها فيه أمور كثيرة، منها دعوته الواضحة للتوحيد، وتوافقه في ذلك مع نقول التوراة والإنجيل عن الأنبياء عليهم السلام، فكما أن القرآن صريح في قوله: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ (الصفات: ٤)، فكذلك التوراة - رغم تحريفها - صرحت بمثله: «اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد»، وكذلك يقول سفر

(١) المصدر السابق، ص (٥٢-٥٣).

الملوك الأول: «ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله، وليس آخر» (الملوك (١) ٦٠/٨).

وتوحيد الله هو ما نطق به المسيح عليه السلام حين دعا الله قائلاً - بحسب إنجيل يوحنا -: «الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يوحنا ٣/١٧)، وهكذا فالإسلام - كما رأته كارمن - هو الدين الحق الذي جاء به الأنبياء قبل محمد ﷺ<sup>(١)</sup>.

وزاد يقين كارمن في الإسلام، ما رأته إبان غزو الكويت الغاشم من تراحم بين أهلها، ولن تنسى كارمن - ما عاشت - زوجها وهو يؤوي في بيتهما موظفين غربيين التجأ إليه هرباً من ظلم وبطش الغازين، فخبأهما في بيته رغم أنهما غير مسلمين، وهو ما يعد في تلك الأحوال جريمة تبيح دمه، وقد فرقت كارمن من ذلك، فطلبت من زوجها إبعادهما عن البيت، فأجابها بأن خذلانها وتسليمهما لعدوهما ليس من شيم الإسلام وقيمه، فتبدد خوفها بما تلبّسها من زهو بقيم دينها واعتزاز بشهامة زوجها<sup>(٢)</sup>.

ناقشت كارمن في كتابها «الكويت وقصة إسلامي» عدداً من الأفكار المهمة، أولها تناقض الإلحاد مع الفطرة والعقل، واستشهدت لذلك بما انتهت إليه دراسة الدكتور الألماني دينسرت الذي حلل آراء ٢٩٠ شخصية علمية أو فلسفية، وتبين له أن ٢٤٢ منهم مصدقون بوجود الله؛ بينما

(١) المصدر السابق، ص (٦٠-٦٤).

(٢) المصدر السابق، ص (٢٥).

يتأرجح ٢٨ منهم بين العقائد المختلفة، وأما الذين لم يفكروا بالموضوع فلا يتجاوزون الـ ٢٠ شخصاً<sup>(١)</sup>.

ونقلت كارمن - في كتابها - شهادات العديد من العلماء الطبيعيين والفلاسفة الذين رفضوا جناحي الإلحاد (الصدفة والتطور)، وقد تميزت هذه النقول ببراعة الاقتباس وروعة التعليق، حيث أتبع كل واحد منها بآية سبق القرآن فيها إلى تقرير ما توصل إليه عباقرة الفلسفة والطبيعة.

فلئن صدق الدكتور كلود م هاثاوي في قوله: «لقد وجدتُ أن الإيمان بالله هو الملاذ الوحيد الذي تطمئن إليه الروح»؛ فإن القرآن الكريم قد سبقه إلى ذلك بقوله: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الذاريات: ٥٠).

وأما قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ (الحج: ٤٦)، ففيه تقرير سابق لما توصل إليه الفيلسوف الشهير جان جاك روسو حين قال: «يجب أن نعترف بالخالق القدير الحكيم، وما أغبى النظرية التي تقول: النظام العجيب للكون جاء نتيجة الصدفة»، وقد صدق، فروعة الكون وتناسقه يدلان على إحكام الخالق وعظيم صنعه وحكمته<sup>(٢)</sup>.

وأما النصرانية - دين كارمن القديم - فكان لها الحظ

(١) المصدر السابق، ص (٤٨-٤٩).

(٢) المصدر السابق، ص (٤٥).

الأكبر من نقد كارمن ودراستها، وليس يتسع المقام لتفصيل اللفظات الرائعة التي نبهت عليها كارمن في نقد الكتاب المقدس وإبراز تناقضاته وضياع أصوله، لكنني أكتفي بإبراز فكرة مهمة شغلت صفحات من كتابها، وهي اعتقاد معاصري المسيح أنه عليه السلام نبي ورسول فحسب، وهو نتيجة حتمية ساقتها إليها مجموعة من النصوص الإنجيلية، فالمرأة السامرية رأت معجزاته الباهرة، فقالت له: «يا سيد أرى أنك نبي» (يوحنا ٤/١٩)، ومُحِبُّو المسيح المؤمنون به حَمَوْه من كيد اليهود الذين كانوا يعتقدون نبوته، يقول إنجيل متى: «خافوا من الجموع، لأنه كان عندهم مثل نبي» (متى ٢١/٤٥)، ولما أطعم خمسة آلاف إنسان من خمسة أرغفة قال الناس: «إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم» (يوحنا ٦/١٤)<sup>(١)</sup>، وهكذا استبان لكارمن أن المسيح عبد الله ورسول؛ بشهادة الإنجيل والقرآن.

نسأل الله أن يثبتها على الإيمان، وأن يحسن خاتمتها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(١) المصدر السابق، ص (٧٩-٨١).

## (حذيفة عبد الرحيم) واين بنيت

واين بنيت رجل أمريكي أسود، عاش في أمريكا في أواسط القرن العشرين (١٩٥٦)، أي في الفترة التي استعر فيها تطبيق أنظمة الفصل العنصري بين السود والبيض في أمريكا، فكان لا يسمح - بموجب القانون - للسود بدخول كنائس البيض، وأحياناً مطاعمهم وحناناتهم، ويلزمون بالجلوس في مؤخرة حافلات النقل العام؛ حتى لا يؤذوا بمرآهم البيض أصحاب العيون الزرقاء والحس الرهيف.

ولد واين في أسرة كاثوليكية متدينة، وعمل خادماً في الكنيسة، والأمل يراوده في أن يصبح قساً يدعو الآخرين إلى دينه ومعتقده، لكنه عدل - في شبابه - عن هذه الرغبة، لاشتراط الكنيسة في القس أن يعيش أعزباً طوال حياته، وهو أمر استصعبه واين لما فيه من مخالفة لنداء الغريزة الذي أودعه الله في البشر، فضلاً عن الميل الفطري لتكوين الأسرة، والأنس بأطفالها.

ولن ننسى أن مخالفة هذا النداء الفطري أوحلت قسس الكنيسة في فضائح طار الركبان بأخبارها التي أركمت الأنوف ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: ٢٧).

ترك واين بنيت مذهب الكاثوليك الذي يحرم زواج

القسس، واتجه إلى مذهب البرتستانت، وشارك في نشاطات كنيسته الروحية مدة سنتين، فكان عازفاً وضارب طبل في جوقة الترانيم الكنسية، فقد أصبح الدين صورة من صور التسلية والترفيه، لكنه أعجز ما يكون عن تحقيق الإشباع الروحي لأتباعه.

عدم إشباع جوعه التدين التي تصرخ في قلب الشاب واين؛ دفعه لهجر الكنيسة ودينها، والفرار منها إلى المعابد البوذية ورياضاتها التي أعجبتة في بادئ الأمر، لما استثارته من مكنونات الخير والقيم في نفسه، فقد أشعرته بأهمية بعض السلوكيات والأخلاق الحسنة.

عمل واين خلال دراسته الجامعية في كلية علوم الأحياء الدقيقة؛ في سفينة أبحاث تتبع البحرية الأمريكية، ومهمتها رسم قيعان المحيطات وتصويرها ، وعلى ظهر هذه السفينة أتيح لواين التأمل في بديع خلق الله، فرأى جبال الجليد البيضاء في ألاسكا، وأدهشه ما يكتنزه البحر في ظلماته من مخلوقات أيقظت إيمانه بالخالق العظيم الذي لا ذكر له في دينه الجديد «البوذية».

على ظهر السفينة، دفع إليه صديقه المهندس "جو" رواية «الجدور» التي أعدها إيكس هالي، ويحكى فيها سيرة الأمريكي الأسود الشهير مالكوم إكس وتحوله إلى الإسلام «فكان أحسن كتاب قرأته حينها في التنوير والتثقيف الروحي .. عندما وصلت إلى نهاية الكتاب كنا قد اقتربنا من القطب الشمالي فوق قمة العالم؛ هناك

قررت أن أعتنق الإسلام، حاولت الصلاة والصيام كما ورد في كتاب مالكوم إكس، وما أعجب الأقدار، لقد كان على ظهر السفينة شخص يحمل نسخة من القرآن الكريم وبعض الكتيبات»<sup>(١)</sup>.

توقفت سفينة واين عند جزيرة (treasure) القريبة من سان فرانسيسكو، فركب واين حافلة قاصداً زيارة سان فرانسيسكو، وتجادب الحديث مع سائقها محمد عبد الله، وهو رجل أسود مثله تحول إلى الإسلام قبل سنوات، ويتمتع بفهم كبير لأحكامه ومقاصده، طرح عليه واين الكثير من الأسئلة حول الإسلام، وموقفه من اليهود واليهودية والمسيح والنصرانية، كما استمع بإنصات إلى قصة السائق محمد في اكتشاف الإسلام واعتناقه إياه.

صحب محمد صديقَه الجديد واين إلى بيته، وأهداه نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم، وترافقا إلى مسجد البلدة، حيث رأى واين المسلمين وهم يصلون جنباً إلى جنب .. وحَدَّهم الإسلام على اختلاف ألوانهم وجنسياتهم، فليس في الإسلام مساجدٌ للسود وأخرى للبيض.

أسبوعان قضاهما واين بين المسلمين، «مما جعلني أوقن أن الإسلام دين عالمي للناس كافة، وأعتقد أن السبب الرئيس الذي جعل صدري ينشرح للإسلام هو أنه

---

(١) هل تعرف لماذا غيرت دين آبائي؟ حذيفة عبد الرحيم الأمريكي ، ص (١١).

لا عنصرية فيه، حيث تتلاشى فوارق اللون والعرق .. كنت  
الأحظ كيف يتعامل الإخوان في الإسلام؛ كان يخيل إلي  
أنني كنت أبحث عن هؤلاء طيلة أيام حياتي، كنت أبحث  
عن أخوة حقة، وقد وجدتتها في الإسلام .. أعتقد أن  
الإسلام هو الحل الوحيد لاجتثاث مرض العصر ..  
[العنصرية]»<sup>(١)</sup>.

وصدق واين، فالعنصرية التي عانى منها - وكذلك  
السود في أمريكا وغيرها- مرض بغيض لا يعرفه الإسلام  
الذي لا يمايز بين الناس بحسب ألوانهم أو أجناسهم،  
فليس في اللون والجنس علامة فارقة تستحق أن يحمد  
عليها أحد، قال ﷺ: «إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية  
الجاهلية وفخرها بالآباء، [الناس] مؤمن تقي، وفاجر  
شقي، والناس بنو آدم، وآدم من تراب»<sup>(٢)</sup>، فقد اعتبر ﷺ  
التفاخر باللون من أفعال الجاهلية البغيضة «يا أيها الناس،  
ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي  
على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على  
أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»<sup>(٣)</sup>.

في تمام الأسبوع الثاني من التزام المسجد، أسلم

(١) المصدر السابق، ص (٢٩).

(٢) أخرجه أبو داود ح (٥١١٦)، وأحمد في مسنده (٨٥١٩).

(٣) أخرجه أحمد ح (٢٢٩٧٨).

واين؛ وذلك في ٢٩ من أغسطس ١٩٧٩م، وتسمى باسم حذيفة عبد الرحيم؛ تيمناً بالصحابي الجليل حذيفة بن اليمان؛ صاحب سر رسول الله ﷺ.

لقد اجتذب حذيفة إلى الإسلام أموراً كثيرة «لقد خلصني الإسلام من رِبقة العبودية للمادة والرغبات الحسية، علمني الحب والعطف والأخوة والمساواة .. إنني الآن أعرف إجابات الأسئلة الأربعة التي شغلت حياتي كثيراً، وهي: من أنا؟ وماذا أريد؟ ولماذا جئت إلى العالم؟ وإلى أين مصيري النهائي؟ إن الإسلام يعلمك كيف تحيا بطريقة صحيحة خالية من التعقيد»<sup>(١)</sup>.

لم يكن من المصادفات العارضة توالي هذه الأمور التي أخذت بيدي حذيفة إلى الإسلام، بل كانت - كما يرى - تحقيقاً لموعود الله على لسان النبي ﷺ في الحديث القدسي: «ومن تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإذا أقبل إليَّ يمشي أقبلتُ إليه أهرول»<sup>(٢)</sup>.

عاد حذيفة إلى جامعته وأهله بغير الوجه الذي ذهب به، إذ تغير سلوكه، بل انقلب رأساً على عقب، نظرته إلى كل شيء حوله تبدلت، بل حتى ملابسه، فقد كانت لحظة إسلامه علامةً فارقة في تاريخه؛ غيّرت كل شيء في حياته «أسرتي وأصدقائي وجدوا فرصة حقيقية لمعرفة الإسلام،

(١) المصدر السابق، ص (٣٩).

(٢) أخرجه مسلم ح (٢٦٧٥).

فقد رأوا كيف غيّر الإسلام أسلوب حياتي نحو الأفضل، خصوصاً الوالدين ، فقد أحبا طريقي في الحياة، وكانا يودان لو أصبح أخي [مثلي] مسلماً، وكانت أمي توقظني لصلاة الفجر [رغم أنها غيرُ مسلمة]»<sup>(١)</sup>.

لقد غيّرت الإسلام حياة حذيفة ، فانتسبه إلى الإسلام لم يكن ادعاءً أجوف ، وقد قارن حذيفة بين حاله قبل وبعد الإسلام، فوجد: «فرقاً كما بين الليل والنهار، أشعر أن الإسلام قد أنقذني من السقوط في الهاوية، أنظرُ الآن فأرى اثنين من أعز أصدقائي يقضيان حياتيهما في السجن: واحد بتهمة القتل، والآخر بتهمة السرقة، ولولا فضل الله علي لكنتُ - بدون شك - معهما، لقد أنقذني الإسلام، كما يُنتشل المشرف على الغرق في خضم المحيط تتقاذفه أمواج الشرور؛ بعد ضياع كل آماله بالنجاة»<sup>(٢)</sup>.

حذيفة الذي كان يتوق إلى العمل التبشيري كقسيس؛ كتب الله له قدرًا أفضل مما تمنى، إذ جعله من الدعاة إلى دينه العظيم «لقد أعطاني الله أكثر مما كنت أطلبه، أعطاني القدرة، وهياً لي الفرصة لشرح حقيقة الإسلام لكثير من الناس، وهذا أمر يسعدني جداً»<sup>(٣)</sup> وقد نشط في الدعوة إلى الله في جامعته وأصدقائه، فكان مشعل هداية لواحد وعشرين طالباً من طلاب جامعته.

(١) هل تعرف لماذا غيرت دين آبائي؟ حذيفة عبد الرحيم ، ص (٣٧).

(٢) المصدر السابق ، ص (٣٩).

(٣) المصدر السابق ، ص (٤٣).

أكمل حذيفة دراسة الماجستير في التربية الإسلامية، وعمل في المملكة العربية السعودية منذ عام ١٩٨٥م أستاذاً للغة الإنجليزية بمعهد وول ستريت ، إلى جانب عمله الدعوي في دعوة الجاليات غير المسلمة إلى الإسلام، كما قدم برنامج "نادي الشباب" الدعوي في القناة السعودية الثانية مدة تربو على عشر سنوات.

زار حذيفة في صيف عام ١٩٩٠م عدداً من الدول الإسلامية الفقيرة في أفريقيا، واطلع على جهود الجمعيات والبعثات التبشيرية التي تستهدف بنشاطها أبناء المسلمين؛ مستغلة قدراتها المالية الهائلة، وأصدر نشرة تضمنت تقريراً مفصلاً عن هذه الزيارة، وعن الدروس المستفادة منها.

لكن المشروع الأكبر في حياة الداعية حذيفة عبد الرحيم؛ كان في عام ١٩٩١م، فقد بذل جهده في تقديم الإسلام للمجندين الأمريكيين المشاركين في حرب تحرير الكويت، وأقام خيمة ثقافية كبيرة داخل معسكرهم، تحولت إلى محطة يتوافد إليها المئات من الضباط والجنود يومياً، يجيب حذيفة عن أسئلتهم حول الإسلام، ويلقي عليهم المحاضرات، ويوزع تراجم معاني القرآن الكريم، فاعتنق الإسلام - في خيمته المباركة - أكثر من ٦٥٠٠ جندي أو ضابط؛ علاوة على الألوف الذين لم يعتنقوا الإسلام؛ لكنهم تعرفوا عليه بعيداً عن دعاية التضليل الإعلامي التي ما فتئت تكذب على الإسلام

وتعتبره مصدر الشرور والأخطار<sup>(١)</sup>.

ويضرب حذيفة مثلاً لهذه الشنينة الإعلامية المغرضة بذكر فيلم سينمائي عنوانه «طارد الأرواح الشريرة»، حيث رافق مشاهد الذعر والعنف صوت المؤذن وهو يشدو بكلمات الأذان الذي يسمعه المسلم فيغدو بسكينة إلى بيت الله، ليعبده ، ويقوم سلوكه ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ بَيْتَ اللَّهِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٥)؛ فأى علاقة - معاشر المنصفين - تربط بين الأذان ومشاهد القتل في فيلم لا يتحدث عن الإسلام ولا المسلمين؟! إنها نموذج من هستيريا «الإسلاموفوبيا» التي تستهدف تخويف الناس من الإسلام لإبعادهم عنه والحيلولة دون تعرفهم على حقائقه. نسأل الله السلامة والهداية والثبات على الإيمان.

\* \* \*

---

(١) المصدر السابق ، ص (٦٧).

## الدكتور ( مراد ) فليفر د هوفمان

فليفر د هوفمان، رجل متعدد المواهب، سفير ألمانيا المخضرم في الجزائر ثم المغرب، والخير في مجال الدفاع النووي، ومدير قسم المعلومات في حلف الناتو، وهو أيضاً حاصل على الدكتوراه في الحقوق من جامعة ميونيخ، إضافة إلى كونه مفكراً موهوباً ومؤلفاً بارعاً ومحاضراً متميزاً.

ولد الدكتور فليفر د هوفمان في ألمانيا عام ١٩٣١م، ونشأ في بيئة نصرانية، وانتمى إلى جماعة ماريانا الكاثوليكية، فكان من المواظبين على لقاءاتها الأسبوعية، والمؤمنين بمعتقداتها المسيحية، لكن سرعان ما هجرها بعد ما تبين له فساد معتقداتها وتناقضاتها مع العقل والمنطق والفطرة.

تجربته الدينية مع النصرانية أفادته؛ إذ عمقت يقينه بوجود الله وحتمية الوحي، وضرورة الدين للإنسان، من غير أن تنجح في حل إشكال مهم عند هوفمان، ويكمن في تحديد ماهية الدين الحق من بين الأديان التي تدين بها الكيانات الإنسانية.

في شبابه تعرض هوفمان لحادث مروري كاد أن ينهي حياته، قال له الطبيب: «فليفر د هوفمان، مثل هذا الحادث لا ينجو منه أحد، وإن الله يدّخر لك يا عزيزي شيئاً خاصاً جداً»<sup>(١)</sup>.

---

(١) الإسلام كبديل، مراد هوفمان، ص (٢٠-٢١).

بدأت رحلة هوفمان في التعرف على الإسلام إبان عمله في القنصلية الألمانية في الجزائر في عام ١٩٦١م، وذلك في عهد الاستعمار الفرنسي لها، ورأى بعض المجازر في بلد المليون ونصف شهيد، وقد «شكلت هذه الوقائع الحزينة خلفية أول احتكاك لي عن قرب بالإسلام المعيش [الواقع]، ولقد لاحظت مدى تحمل الجزائريين لآلامهم، والتزامهم الشديد في رمضان، ويقينهم بأنهم سينتصرون، وسلوكهم الإنساني وسط ما يعانون من آلام، وكنت أدرك أن لدينهم دوراً في كل هذا».

وأراد هوفمان استكشاف هذا الدور للإسلام، فاقتنى نسخة من القرآن الكريم «لكي أعرف كيف يفكر ويتصرف هؤلاء السكان المثيرون للدهشة؛ بدأت أقرأ كتابهم؛ القرآن، ولم أتوقف عن قراءته منذ ذلك الحين» إن سر صبر الجزائريين وثباتهم مكنون في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

خلال قراءة هوفمان لسور القرآن الكريم لبث طويلاً يتأمل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ نَزَرُوا نَزْرَهُمْ وَزَرُّوا آخَرَهُمْ﴾، آية رآها تعارض كل معتقدات المسيحية التي كان يعتقدوها؛ إذ هي تنفي مبدأ وراثة الذنب بين أبينا آدم وأحفاده، وبذلك تدحض معتقد الكفارة الكنسي الذي يزعم - كذباً - أن الله مكن اليهود من

(١) الطريق إلى مكة، مراد هوفمان، ص (٣٢-٣٣)، وانظر الإسلام كبديل،

صلب المسيح ليكفر خطايا آدم وبنيه، وهذه الآية أيضاً تزيّف كل المعتقدات التي صيغت حول فكرة الخلاص الكفاري؛ كتأليه المسيح والقول بأنه واحد من ثلاث أقدمس، وتساءل هوفمان مستنكراً: «الله يتعذب من أجل الإنسانية؟! أمر فظيع ومروع وتجديف [أي زندقة] وإهانة بالغة»<sup>(١)</sup>.

كما لفت نظر هوفمان أثناء تجواله في الجزائر أن الكثيرين من فتيان البربر يحفظون - غيباً - القرآن أو أجزاء منه؛ رغم أنه بغير لغتهم الأمازيغية.

وأعجب منه مما لم يره هوفمان حينذاك، هو حفظ المسلمين الذين لا يفهمون العربية للقرآن الكريم، ومن أراد أن يقف على عظم دلالاته على حفظ الله لكتابه، فليجرب حفظ مقطع في لغة لا يفهمها، هل يمكنك أخي القارئ الكريم حفظ صفحة باللغة اليابانية أو الروسية، أو غيرها من اللغات التي لا تعرفها؟

المحطة الثانية في اجتذاب هوفمان إلى الإسلام كانت ولعه بالفن والجمال، فقد زار أسبانيا، ورأى جمال آثار المسلمين التي نقشتها خطوطهم وزخارفهم في المساجد والقصور «ألهمتني أعمال معمارية - مثل الحمراء في غرناطة، والمسجد الكبير في قرطبة - اليقين بأنها إفراز

---

(١) الطريق إلى مكة، مراد هوفمان، ص (٣٨)، والخلاص الكفاري هو الإيمان النصراني بأن المسيح المخلص مات على الصليب تكفيراً لخطايانا، وتخليصاً لنا مما لحقنا من ذنب بسبب خطيئة أينا آدم التي نتوارثها لاحقاً عن سابق.

حضارة راقية رفيعة»<sup>(١)</sup>.

قدّم هوفمان لابنه الكسندر في ذكرى ميلاده هدية غريبة ، أهدها بحثاً مختصراً ضمّنه خلاصة قناعاته في الدين والفلسفة؛ بما أوصله إليه عقله وضميره وفطرته، ودفع هذا البحث إلى دار نشر لطباعته، فأخبره مديرها المسلم بأن كاتب البحث يعتبر مسلماً إذا كان يعتقد بما كتب فيه، فقد كان في جملة متوافقاً مع معتقدات الإسلام، وقد طبعه لاحقاً تحت عنوان «درب فلسفي إلى الإسلام».

يقول هوفمان: «كنت لسنوات، بل لعقود منجذباً إلى الإسلام كالمغناطيس، لأنني ألفتُ أفكاره، كما لو كنت عايشته من قبل»، ويقول: «لقد وجدت أن الإسلام أصفى وأبسط تصور لله، تصورٌ تقدمي، ولقد بدت لي مقولات القرآن الجوهرية ومبادئه ودعوته الأخلاقية منطقية جداً؛ حتى إنه لم تعد تساورني أدنى شكوك في نبوة محمد ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

ويلخص هوفمان بحثه الفلسفي: «لقد وقفت خلال هذا الجهد على أن الموقف الفكري النموذجي لمعتنق اللاأدرية الإلحادي يفتقر إلى الذكاء، وأن الإنسان لا يملك ببساطة الهروب من اتخاذ قرار بالإيمان، وأن خلق الكائنات التي

(١) الطريق إلى مكة، مراد هوفمان ، ص (٣٥).

(٢) المصدر السابق، ص (٣٠ - ٣٩).

توجد حولنا هو أمر واضح، وأنه مما لا شك فيه هناك أعظم انسجام ممكن بين الإسلام والحقيقة الكلية، وهكذا أدركت - وقد هزنتني الحقيقة - أنني قد أصبحت - في خطوة وراء الأخرى؛ بالرغم مني، ودون أن أكون واعياً بذلك - مسلماً بمشاعري وفكري، ولم تبق سوى خطوة واحدة أخيرة، وهي أن أعلن إسلامي رسمياً.. نطقت بالشهادتين في المركز الإسلامي بكولونيا.. واخترت لنفسني من بين الأسماء الإسلامية اسم مراد فريد.. أصبحت منذ اليوم مسلماً.. وهكذا بلغت مرادي...»<sup>(١)</sup> وكان ذلك في صيف عام ١٩٨٠م.

وينبه مراد هوفمان قراءه إلى أن الإسلام ليس ديناً جديداً على البشرية، بل هو إرث الأنبياء، نبياً تلو نبي، وأنه الامتداد الصادق لما دعا إليه عيسى عليه السلام قبل أن يُدخل بولس على دينه ما أدخله من انحرافات وتغييرات جذرية جعلت النصارى بولسين؛ لا مسيحيين، ويرى أن الإسلام يخطو بالنصرانية إلى أصلها الصحيح، وأنه يوقفها على رجليها من جديد؛ بعد أن كانت تقف على رأسها<sup>(٢)</sup>.

لقد اختار هوفمان الإسلام، لأنه «الحياة البديلة بمشروع أبدي لا يبلى ولا تنقضي صلاحيته، وإذا رآه البعض قديماً فهو أيضاً حديث ومستقبلي، لا يحده زمان ولا مكان، فالإسلام ليس موجة فكرية ولا موضحة، ويمكنه

(١) الإسلام كبديل، مراد هوفمان، ص (٧٣-٧٤).

(٢) المصدر السابق، ص (٦٠، ١٢٥).

الاستمرار».

قدم مراد هوفمان للمكتبة الإسلامية مؤلفات متميزة، بدأها بذكريات متفرقة عن الإسلام، وعنون لها (يوميات مسلم ألماني)، وكتب تجربته في الانتقال للإسلام في كتابه (الطريق إلى مكة) كما أنجز كتابه عن مستقبل الإسلام بعنوان (الإسلام عام ٢٠٠٠).

وأما الكتاب الذي أثار ضجة واسعة في الأوساط الإعلامية والحزبية الألمانية، فهو كتابه (الإسلام كبديل)، ورأى فيه الإسلام الأمل الذي ترقبه البشرية للخلاص من آلامها وغصصها؛ وهو البديل الذي يستنقذ العالم عموماً وأوروبا خصوصاً من نكد النظامين المفلسين الشيوعيين والرأسمالية، فالشعوب الغربية أصبحت موقنة ومؤمنة أن الحضارة الغربية فشلت في إشباع احتياجاتهم الروحية، وأدخلتهم في حروب طاحنة، أكلت منهم الكثير بشرياً ومادياً، وكل ذلك يؤكد إمكانية أن يتحول المسيحيون إلى مسلمين، وأن تتحول الكنائس إلى مساجد إذا نجح المسلمون في تقديم الصورة الصحيحة لإسلامهم، فالنور يأتي دائماً من الشرق.

ويستشرف هوفمان المستقبل للإسلام فيقول: «ولا يخفى على المتأمل البعيد الرؤية أن يرى الزحف الإسلامي في القرن الحادي والعشرين مسيطراً ممكناً؛ لانتشاره ديناً لأغلبية البشر .. إن الإسلام لا يطرح نفسه خياراً

للمجتمعات الغربية .. إنه بالفعل هو البديل الوحيد»<sup>(١)</sup>.  
وفي كتب هوفمان الماتعة لا يدخر جهداً في التعريف بالإسلام والذود عنه وتفنيد دعاوى شائبه الطاعنين فيه زوراً وبهتاناً ، وفي مقدمة هذه التهم بهتانهم بانتشار الإسلام بحد السيف، وهي فرية جرى إشاعتها بين الغربيين لإبعادهم عن الإسلام وتعليل ظاهرة سرعة انتشار الإسلام في العالم، ويردها هوفمان ابتداءً بقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، «فالإكراه يدعو إلى النفاق، والله يمقت النفاق، إذا كانت الأعمال بالنيات، وكان المعول في الصلاح والإيمان على القلب، ولا يمكن أن يستكره أحد على ذلك، فإن الأفعال التي يأتيها المكروه وهو في داخله رافض لها؛ لا يثاب عليها، بل لا فائدة منها، ولا حاجة لله بها، فالدين هو الإخلاص كما علمنا النبي ﷺ»<sup>(٢)</sup>، ويستدل لقوله بانتشار الإسلام بسيف الحجة والبيان بدخوله إلى بلاد لم يدخلها جندي مسلم كالسنغال ومالي وغانا وتشاد ونيجيريا<sup>(٣)</sup> ، فقد أسلم هؤلاء وغيرهم ضمن ما يسميه هوفمان «الانتشار العفوي للإسلام [الذي] هو سمة من سماته على مر التاريخ، وذلك لأنه دين الفطرة المنزل على قلب المصطفى ﷺ»<sup>(٤)</sup>.

(١) الإسلام كبديل ، مراد هوفمان ، ص (٢٠).

(٢) المصدر السابق ، ص (١١٩).

(٣) المصدر السابق ، ص (٢٢).

(٤) يوميات ألماني مسلم، مراد هوفمان ، ص (١١٣).

وأما اتهام الإسلام بالتعصب فيكذبه هوفمان بالمقارنة بين تاريخ وواقع المجتمعات الإسلامية مع تلك التي تتبع غيرهم، فالمسلمون لم يهدموا الكنائس في البلاد التي دخلت تحت سلطانهم دهوراً طويلاً، كما في مصر والشام وتركيا، وغيرها من البلدان، فالتسامح مزية المسلمين التي أرساها القرآن الكريم وسنة نبيه ﷺ.

وفي مقابله يتساءل هوفمان عن سر اختفاء المساجد من الأندلس واليونان والصرب بعد خروج المسلمين منها<sup>(١)</sup>.  
نسأل الله لنا وللدكتور هوفمان الثبات على دينه.

\* \* \*

---

(١) انظر: الإسلام كبديل ، مراد هوفمان ، ص (٢٢).

## القس إسحاق هلال مسيحة

في أواسط القرن العشرين، ولد إسحاق هلال مسيحة في مصر الكنانة لأبوين نصرانيين كانا سبباً في تلوّث الفطرة التي فطر الناس عليها، وهي توحيد الله وتعظيمه، فأطفاً جذوة الإيمان في قلب المولود الصغير مصداقاً لقوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء»<sup>(١)</sup> أي تولد سليمة غير مقطوعة الأذن .

نشأ إسحاق على النصرانية يعبد المسيح من دون الله تعالى، وبدأ بدراسة العلوم الكهنوتية في مدارس الأحد ثم كلية اللاهوت في بيروت حتى وصل إلى مرحلة الماجستير ، وترقى في سلك الكهنوت من شماس إلى قسيس، قبل أن ينال أرفع المناصب القيادية في الكنيسة، فقد أضحى راعياً لكنيسة المثل المسيحي، ورئيساً فخرياً لجمعيات خلاص النفوس المصرية بأفريقيا وغرب آسيا.

في باكورة حياته الكنسية، قرأ إسحاق التوراة، ورآها تنتقص الأنبياء، وتنسب إليهم القبائح التي لا يفعلها إلا حثالة البشر، فتتهم نوحاً بشرب الخمر، وداود بالزنا ، وسليمان بعبادة الأصنام، فكان يتساءل: هل يمكن أن يكون الأنبياء كذلك؟ كيف تتهم التوراة الأنبياء بمثل هذه الرزايا؟ وهل يرسل الله هؤلاء لإبلاغ رسالته لو كان ما

(١) أخرجه البخاري ح (١٣٨٥)، ومسلم ح (٢٦٥٨).

تقوله التوراة حقاً؟

إن أحداً من النصارى لا يرضى باتهام راعي كنيسته أو أسقف بلاده بمثل هذه القبائح، بل يرى نصارى الكاثوليك عصمة بابا الكنيسة كما قرره مجمع الفاتيكان الأول عام ١٨٧٠م ، فهل يكون اختيار النصارى لقسسهم وبابواتهم أفضل من اختيار الله لأنبيائه ورسله؟ لِمَ لا يقبلون فيهم القول الدنيء الذي يرضونه في أنبياء الله الكرام؟ وحاشاهم صلوات ربي وسلامه عليهم.

أسئلة كثيرة تلجلجت في أعماق فطرة إسحاق، وهي تصرخ رافضة نسبة القبائح إلى أنبياء الله، أسئلة تبحث عن جواب، ولا مجيب، لقد كان القس إسحاق معلماً للناس في الكنيسة، يعلمهم وهو يتلوى باحثاً عنم يجيب عن أسئلة الفطرة التي لا يفارق طيفها ناظره، ولم تفلح في كبحها وطمسها الأموال الطائلة التي أغدقت عليه لشراء شكوكه وتساؤلاته التي أفضت مضاجع رجال الكنيسة من حوله.

في عام ١٩٧٩م، بدأ القس إسحاق أطروحته للماجستير في الكلية الإكليريكية في القاهرة ، فغلته الموضوعية البحثية، وتوصل ببحثه إلى دلالة النصوص الإنجيلية على البشارة بنبي قادم يسميه المسيح (بيروكلوتس أو الفارقليط)، وهي كلمة يونانية تعني (الذي له حمد كثير)، فقد رأى شهادة واضحة بنوبة النبي ﷺ فيما نسبه إنجيل يوحنا إلى المسيح عليه السلام: «قد ملأ

الْحَزْنَ قُلُوبِكُمْ، لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ أَنْ  
أَنْطَلِقَ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمُ الْمَعْزِي (الفارقليط)،  
وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أَرْسَلُهُ إِلَيْكُمْ».

دفع القس إسحاق هلال ثمن موضوعيته ، فُرُضَتْ  
رسالته بعد أربع سنوات من الجهد والمثابرة، وأنهم  
بالخبيل والجنون، وهي نفس الفرية السخيفة التي ما فتئ  
أهل الضلال يسمون بها دعاة الحق في كل عصر ومصر،  
تشابهت قلوبهم فتطابقت أقوالهم: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّونٌ﴾ (٥٢) ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾  
(الذاريات: ٥٢-٥٣).

اليوم السادس من الشهر الثامن من عام ١٩٧٨م، يوم  
لا ينساه إسحاق أبداً ، فبينما هو جالس في الحافلة بثيابه  
الكنسية؛ صعد إليها صبي يبيع كتباً إسلامية، فامتدت يد  
القس لتشتري منه جزء عمّ وكتاباً آخر، غلبا عليه ليلته،  
فلم يقدر على مدافعة فضوله للقراءة فيهما، واستوقفته في  
القرآن آياتٌ واضحة تنقض أركان عقيدته وتهز أعماق  
وجدانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (٢) ﴿لَمْ يَكِدْ  
وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٣) ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤) ﴿ (سورة  
الإخلاص).

فتساءل: كيف يكون المسيح إلهاً وهو مولود من  
امرأة؟

وكيف يؤمن بالوهية من يحتاج إلى الطعام والشراب،

فيشركه مع الله الصمد الذي يقضي حوائج خلقه، ولا يحتاج إلى أحد أو شيء؟ وكيف يقول بالوهية المسيح ومساواته لله الذي لم يكن له كفؤاً أو ولد؟

لقد كانت سورة الإخلاص المشعل الثاني في حياة القس إسحاق بعد نداء الفطرة وأسئلتها التي سببت له الكثير من المشكلات داخل الكنيسة.

خلال عمله في الكنيسة، رفض ضميره الفطري ما يسمى بالاعتراف الكنسي، حيث يعترف المذنب بين يدي القس بذنبه، فيمنحه القس براءة من الذنب وغفراناً له، كان يتساءل: كيف أغفر للآخرين وأنا أحتاج إلى من يغفر لي؟ هل الجنة رخيصة إلى الحد الذي يستطيع كاهن في كنيسة ما أن يمنحها لمن يشاء؟ أسئلة أرقته، ولم يغيبها عن عقله ما كان يتعاطاه من مسكرات وخمر زادته شقاء فوق شقائه: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (طه: ١٢٤).

أسئلته الكثيرة التي أعيى الكنيسة جوابها قادتته هذه المرة إلى السجن الكنسي في دير (ماري مينا) بوادي النطرون، حيث قضى في ذلّه مائة يوم عاني فيها الكثير من صنوف الضرب وأشكال الإهانة، ثم أسلم إلى كبير الرهبان في الدير، ليناصحه ويعيده إلى جادة الصواب الذي تزعمه الكنيسة.

لكن الراهب الكبير في الدير كلمه بكلام غريب لم

يعتد سماعه في الكنيسة من قبل، لقد قال له: يا ابني اصبر،  
ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، إن الله لا يضيع أجر من  
أحسن عملاً، استعن على قضاء أمورك بالكتمان.

لم يفهم القس إسحاق سر غرابة هذا المنطق وتلك  
الكلمات إلا حين دخل على كبير الرهبان في خلوته فجأة،  
ليكتشف أمراً مزلزلاً، فقد وجده متخفياً يصلي بصلاة  
المسلمين، واعترف له كبير الرهبان بأنه مسلم يكتنم إسلامه  
منذ ثلاث وعشرين سنة، يؤنسه في وحشته القرآن وما  
يعمر قلبه من إيمان.

أطلق سراح القس إسحاق هلال، ورجع إلى كنيسته  
ليُفهم الناس ما عجز هو عن فهمه، رجع وهو يحمل في  
قلبه ثلاثة مشاعل توقظ نداء الفطرة في أعماقه: سورة  
الإخلاص، وعقدة كرسي الاعتراف، وظيف كبير الرهبان  
وهو يصلي بصلاة المسلمين.

انتدبت الكنيسة القس إسحاق في رحلة تبشيرية إلى  
السودان في أواخر عام ١٩٧٩ م، وزَّع فيها الأموال الطائلة  
على فقراء من المسلمين، أعلنوا بين يديه انتقالهم إلى  
النصرانية؛ رجاء أن يحصلوا منه على مال يقوت أبناءهم  
ويكسي عريهم ويكون ثمناً لدوائهم، ثم استقل معهم  
الباخرة (مارينا)، لتحملهم إلى مصر، ليستكملوا فيها تعلم  
دينهم الجديد.

في الكابينة ١٤ يقيم المنتصر الجديد عبد المسيح،  
وكان اسمه من قبل محمد آدم، دخل عليه القس إسحاق

فوجده يصلي بصلاة المسلمين .. يا هذا كيف تصلي  
بصلاتهم وقد تركت دينهم؟ ألم تأخذ مني بالأمس المال  
الوفير ثمناً لترك معتقدك القديم؟

بثبات يزلزل الجبال أجاب عبد المسيح - أو إن شئت  
فقل محمد آدم -: «لقد بعْتُ لكم جسدي بأموالكم، أما  
قلبي وروحي وعقلي فمُلِّكُ الله الواحد القَهَّار، لا أبيعهم  
بكنوز الدنيا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً  
رسول الله».

موقف أذهل القس الذي ما زال متشككاً من صحة  
إيمانه، ثبات محمد آدم قلب الأمور رأساً على عقب،  
فتحول الصيد إلى صياد، وغدا الصياد صيداً للحقيقة التي  
ترددت زماناً في خلجاته، فرجع إلى مصر ليعلن إسلامه  
الذي كلفه التنازل عن كل ما يملكه من مدخرات بنكية  
وعقارات وأموال، دفعها جميعاً ليظفر بالإسلام وطمأنينة  
القلب المنشرح بالإيمان، القلب الذي كثيراً ما عانى من  
ظلمة الباطل وضيقته، وليخط فصلاً جديداً في التضحية  
في سبيل الدين والعقيدة: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ  
أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ اللَّهِ وَاللَّهُ رُءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (البقرة: ٢٠٧).

قصة إسحاق تذكرنا بسلف طيب، قال له النبي ﷺ:  
«ربح البيع أبا يحيى»<sup>(١)</sup> كلمات خالداً بُشِّرَ بها صهيب  
الرومي ؓ، حين أثار الآخرة على الدنيا، وتخلي عن أمواله

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ح (٧٢٩٦).

في مكة المكرمة، وهاجر إلى المدينة المنورة ليفوز بالإسلام والروض والرضوان، فهنيئاً له بيعه، وهنيئاً لمن مشى على غرزه، فالجنة حُفَّتْ بالمكاره، و«من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة»<sup>(١)</sup>، والإسلام طريق الجنة، وفي سبيله يرخص المؤمن الدنيا وما عليها.

لم يكن تخلي المسلم الجديد إسحاق هلال عن أمواله للكنيسة آخر ابتلاء تعرض له، فقد تعرض لثلاث محاولات للاغتيال من قبل أقاربه، كادت إحداها أن تودي بحياته لولا أن الله سلم: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة: ٢١٤).

لكن البلاء الأكبر الذي واجه إسحاق كان إحراق والديه لنفسيهما احتجاجاً على تحرر ابنهما من عبادة المسيح وتوجهه إلى عبادة رب المسيح، ولا ريب أنه كان محباً لوالديه، حريصاً على استبقاء حياتهما، لكن محبته للإسلام كانت أعظم، وبقينه بالحق الذي انشرح به صدره أكبر: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ.

(١) اخرجه الترمذي ح (٢٤٥٠).

فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾  
(التوبة: ٢٤).

ومن قبل، ثبت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه على الإسلام، ولم يتزحزح عنه رغم ما تعرض له من ابتلاء كبير بلغ أوجه حين أرادت أم سعد استغلال محبة ابنها لها وبزّه الكبير، فقالت له : «يا سعد، ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت، فتُعير بي، فيقال: يا قاتل أمه»، فأجابها الابن المؤمن: «لا تفعلي يا أمه، إني لا أدع ديني هذا لشيء.. .. يا أمه، تعلمين والله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً؛ ما تركت ديني، إن شئت فكلني أو لا تأكلي»<sup>(١)</sup>.  
ما يزال إسحاق مقيماً في الأردن بعيداً عن أهله ووطنه، فنسأل الله له ولنا الثبات على الحق والرشد.

\* \* \*

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/١٠٩).

## ( شكران واحدة ) ماري ويلدز

ما زال الطاعنون في الإسلام يزعمون أن الإسلام انتقص المرأة وظلمها، وقيد حريتها، لكن لغة الأرقام تكذبهم في كل يوم، حيث الداخلات في الإسلام تفوق أعدادهن الداخلين فيه من الرجال.

«ماري ويلدز» واحدة من هؤلاء .. فتاة إنجليزية ولدت في بيت كاثوليكي متدين، ودرست وعاشت تسع سنوات في مدرسة داخلية تشرف عليها راهبات الكنيسة، سنواتٍ زادت بعد ماري ومعظم زملائها عن الدين فارتابوا في أقاويله، وتشككوا في جدواه، فإن المرء لا يمكن أن يقنع بدين عماده الشكليات والطقوس.. والهياكل الفارغة من المضمون المقنع المتكامل.

خرجت ماري من سكنها المدرسي وهي تبحث عن سكنى قلبها وعمما يروي جوعه التدين في ضميرها، ويجب عن أسئلتها التي تتمحور حول معنى وجودها في الحياة، وماهية الدين وللثواب العقائدية «كنت أبحث عن أجوبة جوهرية في الحياة، عشت مع البوذيين والصوفيين في لندن ومع أعضاء عديدين كانوا من مختلف الفئات الدينية والسياسية، وكثيراً ما حاولتُ وبذلتُ جهدي لأشترك معهم، ولكن دون جدوى، إذ لم تجب أي من تلك المعتقدات والأيدولوجيات عن أسئلتني وحاجاتي

التي كنت أشعر بضرورتها لتحديد هدفي في الحياة»<sup>(١)</sup>.  
واجهت ماري واقعاً مادياً صادمًا يلف الحياة الغربية  
برمتها، ويصبغها بالأثرة والقسوة والعنف، فكرهت عالمها،  
بل وحتى الأشياء الجميلة من حولها، وضافت عليها  
الأرض بما رحبت ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً  
ضَنْكًا ﴾ (طه: ١٢٤).

تعرفت ماري على الإسلام خلال دراستها في قسم  
الأدب التركي والفارسي في جامعة درهام ، وقرأت في  
تلك الأثناء العديد من الكتب التي ألفها المستشرقون عن  
الإسلام، كما استمعت إلى الكثير من المحاضرات  
والندوات حوله، لكن فتح مغاليق قلبها كان موصولاً  
باطلاعها على مجموعة رسائل النور التي كتبها العلامة  
التركي بديع الزمان النورسي الذي عاش في النصف الأول  
من القرن العشرين، فكانت رسائل النور طريقها إلى فهم  
«لغة القرآن ، تعلمناها من بديع الزمان سعيد النورسي،  
الذي أفهمنا بالإيمان الخالص في رسائل النور: ما الكون؟  
وما الطبيعة؟ ومن نحن؟ ولماذا هذه الأعداد الغفيرة من  
المخلوقات؟ وما وظائفها؟ ولماذا وُجدوا؟ وإلى أين  
المصير؟ وكيف أن الإسلام دينٌ متكامل؟ وكيف أنه  
يخاطب عقل الإنسان ومداركه وكل لطائفه ومشاعره ..  
وننظر من خلال الخلق إلى أسماء الخالق العظيم

---

(١) رحلتي من الكنيسة إلى المسجد. لماذا؟، ماري ويلدز، ص (١٣).

والرحمن الحكيم»<sup>(١)</sup>.

رحلة ماري مع التأمل والمراجعة لم تكن قصيرة، فبعد ثلاث سنوات طوت ماري حياة النصرانية، واختارت الإسلام، «فله الحمد الذي ساقني إلى هذا الطريق لأنعم بالإسلام، وقد نجوت من تلك الحفرة المظلمة التي كنت أشعر بها، وانزاحت عني غشاواته، واحدة بعد الأخرى، بمعاونة أصدقاء مسلمين في الجامعة، وبصبرهم علي، ومؤازرتهم إياي .. فطوال هذه السنين [أي الثلاث] بدأت تتفتح أمامي دنيا تبدو ذات معنى ومغزى وانسجام»<sup>(٢)</sup>.

لقد استطاع الدكتور فارس قايا - أستاذ الهندسة الميكانيكية وزميل ماري في دراستها الجامعية ببريطانيا - هو وزملاؤه إقناعها بالإسلام وتخليصها مما تسميه «البكم العقدي»، فولجت إلى الإسلام مختارة قريرة العين في عام ١٩٨١م، وتسمت بـ«شكران واحدة»، وتزوجت من الداعية التركي "محمد فرنجي" رفيق رحلة جهاد الشيخ سعيد النورسي.

وسرعان ما أضفى الإسلام على حياتها رونقه الجليل، وطبعها بجماله الأخاذ، فقد «كانت حياتي السابقة رحلة إلى الأعماق، فكانت تغور إلى الأعمق فالأعمق، في ظلمات بعضها فوق بعض، من شقاء وياس ووحشة، وشعور بالوحدة والغربة، بينما الآن أرى نفسي والناس

(١) المصدر السابق، ص (١٦).

(٢) المصدر السابق، ص (١٥-١٦).

جميعاً قد جُهِزنا بأجهزة ننال بها سعادة الدنيا؛ فضلاً عن أنها تنتج سعادة أبدية خالدة»<sup>(١)</sup>.

أرادت شكران ردَّ بعض جميل العلامة النورسي عليها، فأقامت في بلاده تركيا، وعكفت على كتبه ورسائله لترجمها إلى الإنجليزية، لينتفع بها غيرُها من أبناء قومها الذين يبحثون عن الحق، كما كتبت كتاباً عنه بعنوان «مؤلف رسائل النور»، وكذلك كتبت كتابها «الإسلام والغرب ونحن»، ثم سجلت أبرز معالم قصة هدايتها في كتابها «رحلتي من الكنيسة إلى المسجد. لماذا؟».

وقد تحدثت شكران في كتبها عن دينها القديم؛ النصرانية، فنبهت على أصالة التوحيد في تعاليم المسيح عليه السلام، وأن الكنيسة التي اعتبرت نفسها ممثلة للمسيح عارضت معتقداته وتعاليمه، واضطرت خوفاً من افتضاح أمرها إلى محاصرة الفكر، ومنع العلم، ووأد محاولات تطوير المعرفة، من خلال سيطرتها على الحياة الثقافية والفكرية في أوروبا؛ واعتبارها أيّ دعوى للإصلاح هرطقةً بغیضةً.

وأجابت شكران عن سؤال قد يجول بخاطر من يقرأ سطورها، فيدعي بأن الحضارة الغربية المعاصرة وتقدمها التقني بعض إبداع الفكر النصراني، وهو قول يهرف به من لا يعرف تاريخ أوروبا إبان حكم الكنيسة قبل ميلاد الثورة

---

(١) المصدر السابق، ص (١٨).

الصناعية، التي نشأت بعد تخلص أوروبا من الكنيسة ودينها المحرف، وهروبها إلى إرثها القديم المتمثل في الحضارة الإغريقية الرومانية القديمة، ومنها - كما ترى شكران - استمدت أوروبا الجديدة قيمها المادية وفلسفة جوهرها التي تقوم على القوة والعنف والأنانية، ولم تستطع النصرانية؛ دينها حينذاك أن تقدم لها أي إضافات أخلاقية جوهريّة؛ وإن أثّرت في السلوك الشخصي لمتبعيها؛ دون القيم الجمعيّة للمجتمع.

أخذت المرأة الغربية المسلمة "شكران واحدة" على عاتقها تبصير أهلها وأبناء جنسها بالإسلام وحقائقه الذي ترى جذراً غليظة تحول دون وصوله إلى الغربيين، ومن أهمها شيوع الصورة النمطية الخاطئة عن الإسلام الذي يسمونه «دين السيف»، حجب صنعتها - في القديم - الدولة والكنيسة لحماية مصالحهما وبسط سيطرتهما، ثم طورتها - لذات السبب - المؤسسة الاستشراقية المتصلة بالاستعمار، فحققت - بطرقها المتواصل - اختراقات هائلة في الذهنية الغربية التي خدعت بتلبس دراسات المستشرقين وأبحاثهم بدعاوى الموضوعية والحياد العلمي الزائفة.

ولا تتنكر شكران للاعتراف بدور المسلمين السلبي مجتمعاً وأفراداً في تعميق هذه النظرة الخاطئة التي يذكيها ويغري بصدقها تصرفات المسلمين الخاطئة في الغرب أو أفعالنا في الشرق التي سرعان ما يطير الخبر بها، ليثبت

الصور المزرية المبنوثة عن المسلمين ودينهم.  
وترى شكران أن الدراسات الاستشراقية أولت وضع  
المرأة في الإسلام أهمية بالغة؛ واستخدمت فنونها  
وأحابلها في التنفير من تشريعات الإسلام والافتتات على  
نظمه الخاصة بالمرأة وغيرها، فأثقلت الحياة الثقافية  
والاجتماعية في الغرب بالدعاية الكاذبة عن اضطهاد  
مزعوم للمرأة في الإسلام، فكانت دعواهم أهمّ السدود  
والجُدر التي حالت بين الغربيين والإسلام، إذ كيف  
للغربي أن يؤمن بالإسلام وقد عشعش في رأسه ما زعموه  
من صور زائفة عن المرأة المسلمة الأسيرة الذليلة بزعمهم  
.. صورٌ تقوم على انتقاص مزعوم للمرأة في ظل الإسلام،  
وتهميش لها في مقابل الرجل، وازدراءً لكيونتها، وهو ما  
تسميه «الضلالة الكبرى»، فشكران وهي الأنثى التي  
عاشت أوضاع المرأة في الحياتين؛ الغربية ثم الإسلامية  
ترى الصورة مقلوبة، بل إن شئت فقل: تراها على صورتها  
الصحيحة من غير رتوش ولا أصباغ، ف«واقع المرأة في  
الغرب محزن للغاية، فقد تعطل دورها في البيت،  
وتحطمت أنوثتها، وأصبحت ضحية للمجتمع الغربي،  
فالنظام القائم يستغل عرض أجسادهن لأغراض الإعلانات  
والدعاية .. هذه التحولات والتطورات صوّرت وكأنها  
خطوات نحو التقدم والتحرر للمرأة .. غير أن المرأة  
خُذعت واستُغلت استغلالاً سيئاً .. وهم بدعوتهم هذه لا  
يُدعون إلى تحرير المرأة، بل إلى العبودية؛ إذ ما يدعون

إليه يخالف طبيعة المرأة؛ متمثلاً بالحرية المطلقة واتباع الشهوات دون رقيب ولا حسيب»<sup>(١)</sup>.

وفي مقابل هذا الوضع المهين للمرأة فإن شكران ترى القرآن الكريم وقد راعى - في تشريعاته وأحكامه - أنوثة المرأة ومهمتها وطبيعتها، فالبيت ليس سجنًا لها، بل هو مملكتها تربى فيها أبناءها، وتصنع منهم جيلاً نافعاً، وتحمي بلباسها الإسلامي نفسها من نهم الرجال ورغبتهم في استغلالها كمادة للإثارة والتسلية، وهو ما تعتبره شكران أحط أنواع الإهانة للمرأة؛ لما فيه من إهدار لكرامتها وتغييب لدورها وابتذال وتقزيم لشخصيتها، فضلاً عن انتهاكه لخصوصيتها، وتتساءل شكران عما تحقق من حرية وكرامة للمرأة الغربية العارية الضائعة المبتذلة التي تتعرض، وتعرض في صالات ونوافذ العرض الجنسي كما تعرض الأحذية وقطع الأثاث.

وترى شكران أن الغرب يتعامل مع الإنسان - رجلاً كان أم امرأة - بعيداً عن فطرته.. وقد انجرف كل من الرجل والمرأة بعيداً بعيداً عن هذه الفطرة السليمة.. فأدخلوا المرأة في قضايا وأعمالٍ ليست من اختصاصها، وزجّوا بالرجل في قضايا وأعمالٍ واهتمامات لا تتواءم بحال من الأحوال مع فطرته، وهو - والكلام لشكران - وضع شاذ ومعاكس ومؤقت، لأنه بعد رحلة الشقاء

---

(١) المصدر السابق، ص (٥٧-٥٨).

والتعاسة لا بد أن يعود الإنسان إلى فطرته التي فطره الله عليها ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣).

لذا تحذر شكران من المؤامرات التي تحاك على المرأة فيما يسمى مؤتمرات المرأة وتحريرها ، وتراها «الكأس المسمومة .. فاسكبوها على الأرض، وأريقوا عليها ذنوباً من ماء، فمن الهلاك المحتم أن يسير الإنسان في أرض التيه دون بوصلة هادية»، فالقاصي والداني يعلمان أن تحرير المرأة لا يعني في مضمونه سوى الانفلات والبحث عن اللذة التي تعصف بمعاني الحياة كلها من فرد وأسرة ومجتمع.. لتصبح لذة عدمية لا معنى لها سوى المغالطة والعبث والشذوذ.

هنيئاً لأختنا شكران ما وهبها الله من عمق الفكر ونور القلب وسلامة الفكر، ونسأل الله الثبات لنا ولها على الإسلام.

\* \* \*

## البرفسور ( رجا ) روجيه جارودي

كثيرون عرف الحق طريقه إلى قلوبهم، فأسلموا، لكن فيلسوف فرنسا ومفكرها جارودي كان مختلفاً عن كل هؤلاء، فجارودي ليس مجرد رجل فارق دينه، وانتقل إلى الإسلام.

ولد روجيه جارودي في مرسيليا في عام ١٩١٣م، ولم يمنعه تنشئة أبويه له على الإلحاد من المزوجة الغربية بين المسيحية البرتستنتية والشيوعية الماركسية، فقد كان من قيادات الحزب الشيوعي الفرنسي، وكذلك كان رئيس جمعية الشبان المسيحيين البرتستانت.

نال جارودي شهادتي دكتوراه في عامي ٥٣-١٩٥٤م: أولاهما في فرنسا عن رسالته «النظرية المادية في المعرفة»، والثانية من موسكو بعنوان «الحرية».

عام ١٩٥٦م مثل نقطة البداية لمراجعاته للفكر الماركسي الشيوعي، فقد صدمه خطاب الرئيس خرتشوف الذي كشف فيه عن ممارسات لا إنسانية وسادية في الحقب الشيوعية الماضية، وبخاصة الحقبة الستالينية، وقادت المراجعات جارودي إلى نقد مثير للشيوعية فكراً وممارسة ورجالاً، فكان ذلك سبباً في طرده من الحزب الشيوعي عام ١٩٧٠م.

بدأ جارودي في البحث عن صيغة أخرى تتشمل البشرية من جمود الشيوعية التي أفلست وأعلنت عجزها عن الاستجابة لمتطلبات العصر، فعقله وخلفيته اليسارية وضميره لا يتقبل الفلسفة الرأسمالية الغربية، وحضارتها التي وجه

إليها جارودي نقداً مُراً، فهو لا يكف عن التذكير بأن النموذج الغربي للحضارة أنفق عام ١٩٨٠م أربعمائة وخمسين ملياراً لصناعة الأسلحة الفتاكة التي يتوفر منها اليوم ما لو ألقى على رؤوس البشر لكان نصيب كل واحد منهم خمسة أطنان من المتفجرات التي أبدع في صنعها التقدم العلمي الغربي!!.

يقول جارودي: «وهذا تقدم علمي وتقني لا مرء فيه، ولكن يجب أن يوقف هذا التقدم .. متى إذن نعود إلى رشدنا، ونعي أن نموذج النمو الغربي تشوه، وأنه ظاهرة تاريخية مرضية»<sup>(١)</sup>، لذلك دعا جارودي إلى ضرورة الانتقال من الهيمنة الحضارية الغربية، والانتقال إلى التعاون في صناعة حضارة إنسانية سوية، يمكن للجميع الإسهام فيها عبر الحوار بين الحضارات.

الحوار الحضاري قاد جارودي إلى دراسة الحضارات الإنسانية المختلفة، وأوقفه طويلاً مع إنجازات الحضارة الإسلامية التي قدمها المسلمون خلال ثمانية قرون، فكانت حضارتهم حلقة فريدة متميزة في سلسلة الحضارة الإنسانية، وقرأ جارودي في سجلاتها ما أعجبه وأدهشه، ف«الإسلام.. نفخ في امبرطوريات مفككة وحضارات مشرفة على الموت روحاً اجتماعية جماعية جديدة، وأعاد إلى البشر ومجتمعاتهم أبعادهم الإنسانية والإلهية بنوع خاص

---

(١) وعود الإسلام، رجاء جارودي، ص (٨٧).

من التسامي والتوحيد؛ كما أعاده انطلاقاً من ذلك الإيمان البسيط والقيم الحميدة التي أدت إلى تجديد العلوم والفنون والشرائع والفلسفة»<sup>(١)</sup>.

ولو شئنا تأمل بعض الصور الحضارية الإسلامية التي أدهشت جارودي فإننا واجدون الكثير في كتابه «وعود الإسلام» الذي ألفه قبل سنة من اعتناقه الإسلام، ويجمل في سطره فكرة رئيسة، وهي أن الإسلام هو الاختيار الوحيد الذي تملكه البشرية اليوم للخروج من مأزقها وأزماتها.

أفلا يحق لجارودي أن يدهش من وجود مليون كتاب في رفوف مكتبة بيت الحكمة في بغداد زمن الخليفة المأمون؟ وهي على كل حال لا توازي مكتبة العزيز بالله في القرن الرابع الهجري، فقد ضمت مكتبته في القاهرة أزيد من مليون وستمئة ألف كتاب، منها ستة آلاف في الرياضيات، بينما ضمت مكتبة الأمير الأندلسي الحكم بن هشام أزيد من أربعمئة ألف كتاب، وعلى الضفة الحضارية المقابلة فإن مكتبة ملك فرنسا شارل - الذي سمي بالحكيم لاهتمامه بالعلم - لم تتجاوز التسعمائة كتاب<sup>(٢)</sup>.

وحين شاد المسلمون أرفع المستشفيات وكتبوا عشرات الكتب في الطب؛ لم تكن مكتبة كلية الطب في باريس تحوي في ردها الوحيد أزيد من كتاب واحد، هو موسوعة الرازي الطبية.

---

(١) المصدر السابق، ص (١٨).

(٢) المصدر السابق، ص (٩٢).

هذه النهضة العلمية في المشرق واكبها تقانة العرب للكثير من الصناعات المفيدة، ومنها صناعة الورق التي اقتبسوها من الصينيين، ثم بني أول مصنع للورق في بغداد عام ٨٠٠م، وهي صناعة تعرّف عليها الغرب بعد المسلمين بأربعمئة سنة<sup>(١)</sup>.

هذا الاهتمام بالعلم لم يستغربه جارودي من المسلمين الذين لم يطلب خليفتهم المأمون من الامبرطور البيزنطي ميشيل الثالث تعويضاً عن أضرار الحرب بينهما إلا مخطوطات بعض الكتب النافعة<sup>(٢)</sup>.

هذا الاهتمام المشرقي الكبير بالكتاب والقلم أثمر مشروعات علمية ذكر جارودي نتفاً منها، فالعالم الفلكي محمد بن جابر البيتاني (٩١٨م) القائل: «بعلم النجوم يقترب الإنسان من البرهان على وحدانية الله ومعرفة الحكمة من خلقه»، البيتاني الملقب ببطليموس العرب حسبَ زاوية ميل دائرة الكسوف الشمسي ، فوجدها ٢٣,٣٥، وما أقرب هذا القياس من الرقم الذي توصل إليه العلم الحديث، وهو ٢٣,٢٧ .

وأما الأمير أوغ بيك فشيّد مرصد سمرقند لمراقبة الفلك والنجوم ، وقاس فلكيوه السنة الشمسية، فتطابقت أرقامهم مع أرقام العلم الحديث، ولم يفترقا إلا في أربع عشرة ثانية.

(١) المصدر السابق ، ص (٩١).

(٢) المصدر السابق ، ص (٩٠).

وقد تعلم الغرب كثيراً من حضارة المسلمين،  
فالمدونة القانونية التي أصدرها ألفونسو العاشر، ويشرّع  
فيها لأخلاق الحرب وقواعد الشرف فيها، وحماية الشيوخ  
والنساء والعجزة والأطفال؛ هذه المدونة - بحسب  
جارودي - منحولةٌ عن تشريعات إسلامية سجلتها وثائق  
أندلسية سابقة<sup>(١)</sup>.

لقد وفق جارودي في قراءته للحضارة الإسلامية،  
حين أدرك أن ارتباطها الوثيق بالإسلام قد أكسبها زخماً  
جغرافياً وإنسانياً «فبعقيدتهم، قدم المسلمون أغنى مساهمة  
في الثقافة العالمية، بينما كان سبب الركود العلمي  
الرئيسي في أوروبا المسيحية الارتياح من الطبيعة الذي لا  
يمكن إلا أن يبعد عن الله، وهذه إحدى ثوابت تلك الثنائية  
التي أفسدت الروح المسيحية»<sup>(٢)</sup>.

وأرجع جارودي الفضل في النتاج الحضاري  
الإسلامي إلى مصدره وملهمه، فالقرآن منذ تنزل أول آياته  
﴿أَقْرَأُ﴾ (العلق: ١)، وهو يدعو المسلمين إلى البحث  
العلمي، ويحثهم على الإبداع، ويعتبر الجدّ في تحصيل  
المعرفة والعلم عبادةً يوجب فاعلها «من سلك طريقاً يطلب  
فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة  
لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم

(١) وعود الإسلام، جارودي، ص (٧٥-٧٧).

(٢) المصدر السابق، ص (٩٢).

ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»<sup>(١)</sup>.

القراءة في الحضارة الإسلامية كانت مفتاح جارودي في التعرف على الإسلام، وقد لفت نظره أمور:

١. لم يزعم نبي الإسلام اختلاقه ديناً جديداً، فهو يحمل نفس الجوهر الذي سبقه إليه الأنبياء، ولذلك وجدت فيه الفرق المسيحية - التي أرهقها الخلاف الديني - الأصل الصحيح لنصرانية المسيح عليه السلام، وأنه السبيل الذي يمكنه أن يخلصها من تناقضاتها، ويجردها من انحرافاتهما «فإن المشكلات [العقدية] لم تكن قد حسمت البتة في عقول الشعب .. بحيث إن الأريوسيين والبريسيانيين والغنوصيين في أسبانيا؛ انتموا بسهولة إلى الإسلام الذي شعروا أنهم قريبون منه»<sup>(٢)</sup>.

٢. أن الإسلام لا يفصل بين العلم والوحي، فالعلم والدين في الإسلام خطان متوازيان، بل متطابقان، فالقرآن هو ينبوع حضارة المسلمين، «حتى لو لم يكن المرء مسلماً، ولو لم يكن يعترف بالقرآن كتاباً موحى به من الله إلى محمد ﷺ؛ فإنه لمن المستحيل على المؤرخ أن يرفض الأخذ بعين الاعتبار، كحقيقة واقعة يتعذر ردها ..

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود ح (٣٦٤٣)، وانظر وعود الإسلام، رجاء جارودي، ص (٨٩).

(٢) وعود الإسلام، جارودي، ص (٤١).

ذلك الانبثاق لينبوع الحياة الذي راح يقلب أوضاع العالم»<sup>(١)</sup>.

٣. انفتاح الإسلام على غير المسلمين، وتسامحه مع قيامهم بشعائرتهم الدينية، ف «السمة الثانية من سمات الإسلام التي تفسر سرعة توغله هي انفتاحه وتسامحه»<sup>(٢)</sup>، وبسبب هذا التسامح انساح الإسلام في الأرض.

ويضيف جارودي «الإسلام تمكن من الانتشار بمثل هذه المقدرة وبهذه السرعة .. لأنه كان يجدد معنى الحياة لدى شعوب ضلت الطريق بتفكك مجتمعاتها وثقافتها وعقيدتها»<sup>(٣)</sup>.

وبعد طول دراسة وتأمل قرر روجيه جارودي اعتناق الإسلام، وذلك في جنيف في عام ١٩٨٢م، وتسمى بـ (رجاء جارودي)، يقول: «إن انتمائي للإسلام لم يأت بمحض الصدفة، بل جاء بعد عناء وبحث، ورحلة طويلة تخللتها منعطفات كثيرة حتى وصلتُ إلى مرحلة اليقين الكامل والخلود إلى العقيدة أو الديانة التي تمثل الاستقرار، والإسلام في نظري هو الاستقرار»<sup>(٤)</sup>.

كتب جارودي في حياته أزيد من ستين كتاباً، منها كتابه

---

(١) المصدر السابق، ص (٢٤).

(٢) المصدر السابق، ص (٤٣).

(٣) المصدر السابق، ص (٣٣).

(٤) لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، د. رجاء جارودي، ص

(٧٠).

«المسجد مرآة الإسلام»، و«الإسلام وأزمة الغرب»، و«حوار الحضارات»، و«فلسطين مهد الرسالات السماوية»، و«الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»، وكان فكره موضوعَ دراسة خمسة وعشرين باحثاً في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، كما منح في عام ١٩٨٥م جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام عن كتابه: «وعود الإسلام»، و«الإسلام دين المستقبل»، ولمواقفه الداعمة للقضية الفلسطينية، وتصديه للمزاعم اليهودية حول أحقيتهم بأرض فلسطين.

ويأبى القلم أن يعود إلى غمده قبل أن نقول بأن جارودي قد وقع في أخطاء جسيمة في فهمه لبعض قضايا الإسلام، كالبعث والجنة والنار التي يتأولها على معنى شاذ منكر لا يوافق عليه من له أدنى معرفة بمعاني القرآن الكريم، وكذلك يؤخذ عليه موقفه من الأديان الأخرى؛ حيث يُشتمُّ من بعض أقواله إيمانه بفكرة وحدة الأديان، ولعله مما اعتذر عنه بقوله: «قرأت القرآن الكريم، وأعدت قراءته مرات كثيرة، ولا أدري إن كنت قد فهمته جيداً بالطريقة التي يجب على الإنسان أن يفهمه بها أم لا؟ فقد بدا لي أن الرسول عليه الصلاة والسلام جاء بدين عظيم هو أساس الأديان»<sup>(١)</sup>.

رحمه الله ، وعفا عنا وعنه

---

(١) حوار مع الأستاذ جارودي، عدنان سعد الدين، ص (١٩).

## ( عمر ) شيام غوتم

ولد شيام غوتم في ستينيات القرن الماضي في أسرة هندوسية عريقة النسب، ومثقفة في ولاية يوبي الهندية ، وتنتمي أسرته إلى طبقة الشتري، وهي ثاني طبقات المجتمع الهندوسي من حيث رفعتها ومزاياها التي يعطيها الدين الهندوسي.

نشأ شيام هندوسي في الهند دهرأ ، وهو يعبد أحجار أصنامها، ويمجد حيواناتها وأشجارها، ويقدم سفاسفها، رغم أن عائلة شيام لم تكن ممن يحفل بالدين؛ الذي لا يعدو عندهم أن يكون «عاداتٍ وتقاليِدٍ توارثناها أباً عن جد، وظللنا عليها عاكفين»<sup>(١)</sup> ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا لَفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٠).

أول ما صدم شيام في الهندوسية نظام الطبقات فيها، حيث تقسم أسفار الفيذا - المقدسة عند الهندوس - البشر إلى أربعة مراتب (البراهما الذين يزعمون أنهم خُلقوا من فم الإله، ثم طبقة الشتري، ويزعمون أنهم خُلقوا من ذراع الإله، ثم طبقة الويش، وبحسب زعمهم فقد خُلق هؤلاء من فخذ الإله ، ثم طبقة رابعة مسحوقة في منزلة الحيوانات، وهي طبقة الشودر).

(١) من الظلمات إلى النور، د. خليل الدين شجاع الدين (نسخة إلكترونية)، أهدها لي الأخ المهدي عمر غوتم حفظه الله.

وهذا التقسيم لم يرق لشيام رغم انتمائه إلى طبقة  
 الشثري، وهي الطبقة الثانية من حيث رفعتها، وقد كان  
 يؤذيه مشهد والده وهو يعذب عمال مزرعته من طبقة  
 الشودرا، وكان يتساءل: كيف يسمح الدين بمثل هذا  
 التمييز العنصري؟ فأجابه الكهنة بإجابة مشينة: هذه مشيئة  
 الله ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ  
 اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٨).

ولقد كان «يقبح في نفسي أن أرى برهماياً أو سليل  
 أسرة رفيعة يتفاضل مع غيره بلا عمل ولا حسنة، حتى  
 يُخشى بأسه، ويُخطبُ وُدُّه، وأن أرى فرداً من الطبقة الدنيا  
 منبوذاً شقياً بلا ذنب ولا تقصير، حتى تقتحمه العيون  
 بنظراتها وتزدريه؛ فلم أزل بين هذه الشبهات متأرجحاً  
 كريحة في الفلاة تطيرها الريح كيف تشاء»<sup>(١)</sup>.

لقد وصل الحال بالهندوسية في احتقارها لهؤلاء  
 المنبوذين؛ أن منعتهم من ممارسة شعائر الدين، وحرمت  
 عليهم قراءة الكتب الدينية أو لمسها، بل حرمت عليهم  
 سماع تراثيل تلك الأسفار، وألزمتهم بوضع ما يمنع  
 وصول صوت القارئ إلى آذانهم، فهؤلاء بحسب  
 الهندوسية مخلوقات وجدت لخدمة الطبقات العليا  
 فحسب.

(١) المصدر السابق.

كل هذه الصور وغيرها أوصلت شيام إلى قناعة راسخة، وهي «أن هذا الدين لن يهدي الإنسان الهداية الصحيحة، كيف وقد قام على مثل هذه الفوارق والامتيازات المجحفة»<sup>(١)</sup>.

زادت شكوك شيام وتعززت حين أزرى عقله كثرة الآلهة في الهندوسية، فما من شيء إلا وقد عُبد بالهند وقُدس، لقد عبدوا ما يحبونه من الأشياء وما يكرهونه، بل وما يتخيلونه، فطفحت كتب الهندوس بأسماء الآلهة وقصص حروبهم مع بعضهم، ومؤامراتهم على منافسيهم من الآلهة المزعومة «رأيت في تلك الكتب نظريات دينية متضادة في صدد الآلهة الكثيرة البالغ عددها ٣٣٠ مليوناً .. أحسست بدبيب الخوارج والشبهات إلى قلبي أكثر من قبل، ووقعت في قلق واضطراب، وكأني أبحث عفويًا عن الإله الواحد الأحد .. كلما طالعت كتب الهندوسية خامرتني شكوك تلو شكوك»<sup>(٢)</sup>.

وللتخلص من آلام هذه الشبهات، عكف شيام عند رفوف مكتبة الجامعة، وواظب خلال سنتين (١٩٧٨-١٩٨٠م) على قراءة أسفار الفيدا وغيرها من كتب الهندوس، كما قرأ كتب فلاسفة النصارى والجينيين ورواد الإصلاح في الديانات المختلفة، فما زاده عكوفه على هذه الكتب إلا ضياعاً في لجج الباطل، لكن وقرت في قلبه

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

حقيقة راسخة، وهي أن التوحيد هو الحقيقة المطلقة التي تدعيها الأديان، ثم سرعان ما تخالفها، فالهندوس الذين يؤمنون بملايين الآلهة يزعمون أن فوق هذه الآلهة إلهاً واحداً، والنصرانية التي تعبد الابن والروح القدس تزعم أيضاً أنها موحدة، وأن آلهتها الثلاثة إلهٌ واحد.. صدق فيهم قول ربي: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ (يوسف: ١٠٦).

وانتهى بشيام الحال إلى اتخاذ قرار بالترهين واعتزال الناس في البراري ، ولحسن حظه وسعده، فقد أجل تنفيذه إلى ما بعد تخرجه من الجامعة، واستمر في القراءة والاطلاع في كتب الأديان والعقائد المختلفة.

دين واحد لم يقرأ عنه شيام، إنه الإسلام، فقد صرفه عنه «ما تغلغل في أذهاننا من تصورات خاطئة وسلبية عنه .. فقد كنا نسمع من بواكير الصبا أن المسلمين يسبون الهنود، وأنهم حساد سفاكون وجديرون بالنبد والازدراء .. فمن طفح صدره بمثل هذه العواطف الجياشة للنفور ضد المسلمين أيرغب في الإسلام؟!»<sup>(١)</sup>.

أصيب شيام إصابة بالغة حين انقلبت به دراجته النارية، ولزم المستشفى أسابيع تكاد لطولها أن تكون شهوراً، تردد عليها فيها صديقه محمد ناصر خان، فكان «يختلف إليّ كل يوم ، ويقدم لي الطعام والشراب

---

(١) المصدر السابق.

والدواء، ويسألني عن صحتي؛ حتى مضت على ذلك أسابيع، وهو متحدث معي في كل شيء إلا الإسلام؛ بيد أن سلوكه الإنساني النبيل وأدبه الجم العالي قد أثرا في نفسي تأثيراً عميقاً؛ فأبْتُ عليّ إلا أن أسأله يوماً: أنى تحصلت على هذه المشاعر الإنسانية السامية؟ فلم يزد على أن قال: أنا مسلم رُضعت بلبان الإسلام الذي من مبادئه المساواة والتعاطف والتعاون بين الجيران»<sup>(١)</sup>.

لقد تعلم محمد ناصر هذا الأدب الجم من النبي ﷺ ، فقد زار ﷺ عمه أبا طالب في مرض موته وهو مشرك، كما عاد غلاماً يهودياً في مرض الموت، وزار رأس المنافقين عبد بن أبي بن سلول حين أدركته الوفاة.

قال البراء بن عازب رضي الله عنه : «أمرنا النبي ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع: أمرنا باتباع الجنائز، وعبادة المريض، وإجابة الداعي، ونصر المظلوم، وإبرار القسم، ورد السلام، وتشميت العاطس، ونهانا عن آنية الفضة، وخاتم الذهب، والحير، والديباج، والقسي، والإستبرق»<sup>(٢)</sup>.

على سرير المرض بدأت قصة شيام مع الإسلام، فقد شرع في القراءة عنه لأول مرة، قرأ ما يربو على الثلاثين كتاباً، كان أكثرها تأثيراً في قلبه: «إلى فهم الإسلام» للمودودي، و«الإسلام في المحور» لحمودة عبد العاطي، و«العدالة الاجتماعية» لسيد قطب، و«حياتنا الإسلامية»

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه البخاري ح (١٢٩٣)، ومسلم ح (٢٠٦٦).

ليوسف إصلاحه، ثم كان واسطة العقد ترجمة معاني القرآن الكريم التي أهداها إليه صديقه محمد ناصر «فكنت كلما قرأت منه صفحة؛ شعرت بشيء فيه يجذبني جذب المغناطيس للحديد، وأحسست بنور يلف كياني، ويملأني بالإيمان واللذة الروحية؛ حتى تطاير ما جثم على صدري في سحب الأباطيل الداكنة»<sup>(١)</sup>.

يقول شيام: «أعجبني في الإسلام ما فيه من تعاليم وآداب وقيم لا عهد للهندوسية بها، كحق الجار، واحترام الوالدين، وحسن المعاشرة للزوجة، وأن الإسلام ليس دين طقوس بالية، بل هو منهج حياة»<sup>(٢)</sup> ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَيَذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦١-١٦٣).

أمر واحد حير شيام وقاده بعيداً عن الإسلام، إنه أحوال المسلمين وسلوكياتهم التي لا تشبه شيئاً من الأمور الرائعة التي يقرأ عنها في القرآن الكريم، فسلوكيات هؤلاء وتصرفاتهم المزرية تقدم صورة شوهاء مزرية للدين الذي يعتنقونه، ويصدق فيهم قول النبي ﷺ: «يا أيها الناس، إن

(١) من الظلمات إلى النور، د. خليل الدين شجاع الدين (نسخة إلكترونية).  
 (٢) سعدت بمقابلته في أستانا عاصمة كازاخستان على هامش المؤتمر الرابع لزعماء الأديان العالمية في ٢٩/٥/٢٠١٢م، فأكمل لي شذرات من قصته التي حكى بعضاً من فصولها الدكتور خليل الدين شجاع الدين.

منكم منفرين»<sup>(١)</sup>.

بعد ستة أشهر من القراءة عن الإسلام والتأمل في ترجمة معاني القرآن (يوليو ١٩٨٤م)، نطق شيام بالشهادتين بين يدي صديقه محمد ناصر خان ، ثم جهر بها ونادى بين المسلمين في صلاة الجمعة، وتسمى بعمر لتأثره البالغ بشخصية عمر الفاروق رضي الله عنه التي يصفها غوتم بـ «العبقرية العملاقة التي فاقت غيره من أساطين الإسلام». منذ أسلم عمر، لم يألُ جهداً في تبيان الإسلام للألوف الهائمة من قومه، الساجدة أمام الأصنام في معابد الهندوس، فشرع في دعوة الهنود إلى الإسلام، فكتبت عنه الصحافة محذرة من نشاطه، واختطفته العصابات الهندوسية، وهددوه بالقتل، وأمهلوه ثلاثة أيام ليرجع عن دينه، فهرب من بين أيديهم، واستقر في دلهي؛ حيث أكمل دراسة الماجستير في الجامعة الإسلامية العالمية في نيودلهي (١٩٩٠م)، ثم شرع في دراسة الدكتوراه في مقارنة الأديان، ولم يكملها بسبب ظروفه المادية التي آل إليها بعد إسلامه، فقد قطع عنه أهله المال، ولسان حالهم كما قال إخوانهم من قبل: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ حَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (المنافقون: ٧)، وأما عمر فقد عضَّ على إسلامه النواجذ، ويعينه على الشدائد ما «أذوق في قلبي حلاوة

(١) أخرجه البخاري ح (٧٠٤)، ومسلم ح (٤٦٦).

الإيمان وبرد الاطمئنان وطمأنينة القلب»<sup>(١)</sup>.

سعد عمر بصحبة ثلة من علماء الهند كأبي الحسن الندوي، وعبد الله الحسني، والعالم الزاهد صديق الباوندي، وصحبة هؤلاء الأكابر مكنته من الكثير من علوم الشريعة فكان من ثمراتها أن دفع إلى المكتبة الإسلامية بكتابه «المعرفة الإسلامية»، وهو مطبوع بالأوردية والهندية.

وأضحى عمر غوتم من الدعاة إلى الإسلام الحنيف، وقد كتب الله له القبول بين الناس، فأسلم بسبب دعوته ما يربو على المائتين من أهل بيته ومعارفه ورواد مركز المعارف للبحوث والتعليم الذي يديره الأستاذ المهتدي عمر غوتم منذ ما يربو على عشر سنين.  
نسأل الله أن يثبته على الإسلام، وأن يبارك في جهوده.

\* \* \*

---

(١) من الظلمات إلى النور، د. خليل الدين شجاع الدين (نسخة إلكترونية).

## البرفسور جيفري لانغ

عشر سنوات في ظلمات الإلحاد قضاها البرفسور جيفري لانغ أستاذ الرياضيات في جامعة سان فرانسيسكو اليسوعية قبل أن يشرق نور الإسلام عليه ويلهب الإيمان أحاسيس قلبه المتلبد بنخر الماديين الماكر، وأسئلتهم التي لا معنى لها.

لم ينشأ جيفري على الإلحاد، فقد ولد لأبوين كاثوليكين حرصا كثيراً على حضوره قُداس الأحد في الكنيسة قبل أن يصارحهما بعدم رغبته في الحضور، وكان صريحاً معهما حين أخبرهما أن ما يسمعه فيها من وعظ القسيس لا يثبت له حتى مسألة وجود الله .. فالحجة غائبة في دين غدا مجموعة من الأسرار التي لا يعرف حلها حتى الحُواة المهرة.

خلال عمله في الجامعة جمعتة صداقة مع الطالب السعودي المبتعث محمود قنديل، وقد أهداه ترجمة لمعاني القرآن باللغة الإنجليزية، فانكب على قراءتها، ومشاعرُ متباينة تتتابه، وأسئلة كثيرة تلوح في مخيلته، لكن يا للمفاجأة، القرآن كان يتحدث إلى أعماقه، فالقرآن بحسب جيفري «يجادلك ويتتقدك ويخجلك ويتحداك .. بدا واضحاً أن مبدع هذا القرآن يعرفني أكثر مما أعرف نفسي .. ولكن، أي مؤلف يستطيع أن يكتب كتاباً مقدساً يستطيع أن يتوقع حركاتك وسكناتك اليومية؟ لقد كان

القرآن يسبقني دوماً في تفكيري، ويزيل الحواجز التي كنت قد بنيتها منذ سنوات، وكان يخاطب تساؤلاتي، وفي كل ليلة كنت أضع أسئلتني واعتراضاتي، ولكن كنت - إلى حد ما - اكتشف الإجابة في اليوم التالي، ويبدو أن هذا المبدع كان يقرأ أفكاري، ويكتب الأسطر المناسبة لحين موعد قراءتي التالية، لقد قابلت نفسي وجهاً لوجه في صفحات القرآن»<sup>(١)</sup>.

أحس البرفسور جفري أنه بحاجة للحديث مع المسلمين، فيمم وجهه - في يوم جميل في صيف عام ١٩٨٤ - تلقاء مسجد صغير يؤمه بعض طلاب الجامعة قرب كنيسة القديس أوغسطين، اقترب من باب المسجد، تردد كثيراً في الدخول، أقدم ثم رجع ، كان يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، ارتجفت يدها عند مقبض باب المسجد قبل أن يعود أدراجه بعيداً عنه، يصف لنا البرفسور جيفري تلك اللحظات فيقول: «لم أدر ماذا يجب أن أفعل، وشعرت بالحرَج والهزيمة، فكرت بالعودة إلى مكتبي، مرت عدة ثوان، نظرتُ خلالها إلى السماء محدقاً، لقد كانت هائلة ومليئة بالأسرار ومطمئنة، لقد مضت عشرُ سنوات كاملة وأنا أقاوم دافع الدعاء، أما الآن فإن المقاومة انتهت، وسرعان ما فاضت مشاعري، فأخذت أدعو: اللهم إن كنت تريدني أن أنزل هذا الدرج إلى المسجد فامنحني القوة من

---

(١) الصراع من أجل الإيمان، الدكتور جفري لانغ، ص (٣٤).

فضلك»<sup>(١)</sup>.

استجاب الله دعاءه، فاقترب إلى الباب الصغير من جديد، التقت عيناه مع عيني الطالب الماليزي عبد الحنّان، الذي بادر بسؤاله: هل تريد أن تعرف شيئاً عن الإسلام؟ ثم انطلق بمشاركة إخوانه يشرح له حقائق الإسلام العامة، لقد شد جفري حديثُ الطالب غسان عن الله عز وجل: «إنه الكبير، ونحن لا شيء بجوار عظمته، نحن أقل من ذرة تراب واحدة، ومع ذلك فإن محبة الله لنا هي أكثر من حب الأم لطفلها الوليد.. عندما نستنشق فإن ذلك بمشيئته، أو نزرع فإن ذلك بمشيئته .. وما تسقط ورقة من الشجر على الأرض إلا وهو يعلمها، فعندما نصلي ونضع أنوفنا على الأرض في السجود؛ فإننا نشعر بالقوة والطمأنينة والسرور، تفوق حدود هذا العالم، ولا يمكن وصفها في كلمات، ولا يعرفها إلا من جربها»<sup>(٢)</sup>.

شقت كلمات غسان الصادقة طريقها إلى قلب البرفسور جيفري لانغ أستاذ الرياضيات، فنطق لسانه بشهادة التوحيد، وصار في عداد المؤمنين.

بعد يومين رأى البرفسور جيفري أول بشارات الخير الذي ساقه الله إليه، إذ انضم إلى جمع من المسلمين يصلون صلاة الجمعة في غرفة صغيرة يعرفها جيفري تماماً، إنها الغرفة نفسها التي كثيراً ما رآها في منامه في

(١) المصدر السابق، ص (٣٧).

(٢) المصدر السابق، ص (٤١).

السنوات التي تلت ابتعاده عن دروس الكنيسة، رؤيا لطالما أشعرته بالراحة، وأنها تنبئه بحدث روحي جميل ينتظره في قابل الأيام «من خلال حلمي هذا رأيت مقطعاً من حياتي .. أدركت أن الله قريب مني، يوجه حياتي، ويخلق لي الظروف والفرص كي أختار.. أستطيع القول بأني وجدت في هذه الرؤيا إحياء وتشجيعاً وفرصة جديدة في الحياة»<sup>(١)</sup>.

بعد أربعة عشر عاماً قضاها البرفسور جيفري في الإسلام قرر أن يهدي بُنياته؛ جميلة وسارة وفاتن قصته مع الإسلام، وأن يجيبهن فيها على سؤال كبير سألته إياه: لماذا اخترت الإسلام يا أبي؟

كتب البرفسور جيفري كتابه الأول "الصراع من أجل الإيمان" شرح فيه قصة إسلامه، ثم انطلق يقدم لهن وللدعاة من بعدهن خلاصة تجربة طويلة من التأمل والتفكير، وليكون أنموذجاً في طريقة تقديم الإسلام للرجل الغربي المشبع بثقافة بعيدة عن ثقافتنا العربية.

بعد كتابه «الصراع من أجل الإيمان» دفع البرفسور جيفري لانغ إلى المكتبة الدعوية كتابين آخرين، أولهما «حتى الملائكة تسأل»، والثاني «رحلة الإسلام إلى أمريكا»، وفي كتبه قدم البرفسور جيفري لانغ إجابات للكثير من الأسئلة التي تطرحها الذهنية الغربية، فلئن كان المستشرقون ومن تابعهم يتهمون الإسلام بالإرهاب لقوله

---

(١) المصدر السابق، ص (٤٧).

تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠)، فإن جيفري يؤكد أن الآية لا تتحدث عن الإرهاب الممقوت الذي تسفك فيه دماء الأبرياء والأمينين، بل تأمر بإعداد العتاد والعدة التي ترهب الآخرين وتردعهم وتمنعهم عن سفك الدماء: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ أَلْحِيلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠)، أي أعدوا من القوة ما يخافه الآخرون فلا يحاربونكم، فبين الإرهابيين (القرآني والاصطلاحي) من البون كما بين السماء والأرض<sup>(١)</sup>.

كما يستنكر البرفسور جيفري المعنى الخاطئ الذي تشيعه بعض الدوائر حول مصطلح الجهاد الإسلامي، حيث يعمدون إلى تفسير هذه الكلمة القرآنية بمعنى القتال أو الحرب الدينية أو المقدسة، وهو تحريف وتشويه، فالجهاد هو بذل الجهد، ويكون في القتال وفي غيره، ويستدل لصحة فهمه بالعديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ومنها قوله تعالى: ﴿فَلَا تَطْغَبْ أَلَكُنْفِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٢)، فالآية تأمر بجهاد المشركين بالقرآن، أي بسيف البيان والحجة، لا القتال والحرب.

ومثله قوله ﷺ: «أفضل الجهاد حج مبرور»،

(١) انظر المصدر السابق، ص (١٢٧).

فالمقصود هو بذل الحاج جهده في إرضاء الله تعالى<sup>(١)</sup>.  
 واسترعى انتباه البرفسور جيفري الفروق الكامنة بين  
 القرآن والكتاب المقدس الذي يؤمن به اليهود والنصارى،  
 فالكتابان مختلفان ظاهراً وباطناً، أسلوباً وموضوعاً، وإن  
 ظهر لقليل الخبرة والتدقيق نوع من المشابهة في بعض  
 قصص الأنبياء السابقين المسجلة في صفحات الكتابين.  
 ويسجل البرفسور جيفري - في هذا الصدد - مزايا  
 للقرآن الكريم، وهي أنه خطاب الله للإنسانية جمعاء، وأنه  
 يتجاوز حدود الزمان والمكان، وأنه غير معني بالتفاصيل  
 التاريخية التي لا تحتاجها البشرية، لأنها لا تدفع شراً،  
 ولا تستجلب خيراً<sup>(٢)</sup>.

لكن الأمر الأهم الذي لفت نظر أستاذ الرياضيات كان  
 هو تلك الإشارات القرآنية التي سبقت العلم إلى تقرير  
 بعض المسائل العلمية، فأول ما نزل من القرآن قوله  
 تعالى: ﴿أَفَرَأَى بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (العلق:  
 ١-٢)، فهذا الوصف الدقيق للبيضضة لم يكتشفه العلم إلا  
 في العصور الحديثة، وهو ما أدهش أستاذ علم الأجنة  
 الشهير كيث مور الذي ازدادت دهشته للتطابق بين أطوار  
 الجنين المعروفة علمياً وقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ

(١) انظر المصدر السابق، ص (٢٩٨)، والحديث أخرجه البخاري ح  
 (٢٧٨٤).

(٢) انظر المصدر السابق، ص (٦١).

عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا  
أَعْظَمَ لَحْمًا ثُمَّ أَدْنَيْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾  
(المؤمنون: ١٤).

يعلق البرفسور جيفري على هذا الخبر بالقول: «إن  
على المرء أن يقر بالعرفان للتشابه الرائع ما بين الوصف  
القرآني لتطور الإنسان والاكتشافات المتأخرة في علم  
الأجنة، وخاصة عندما نفكر بحجم الأفكار المغلوطة حول  
تطور الإنسان التي سادت أكثر من ألف عام بعد نزول  
القرآن»<sup>(١)</sup>.

أمثلة عديدة ذكرها البرفسور جيفري لما سبق القرآن  
العلم إلى تقريره، ولعل من أهمها ما اكتشفه العلم حديثاً  
عن اتساع الكون وتمدده، وهي حقيقة علمية مذهلة لم  
يمكن للعلم الحديث رصدها قبل رؤية تباعد النجوم  
بواسطة المكرسكوب هابل، لكن القرآن قررها قبل ١٤٠٠  
سنة بعلم اللطيف الخبير ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾  
(الذاريات: ٤٧)<sup>(٢)</sup>.

كثيراً ما كان يُسأل البرفسور جيفري عن قصة إسلامه  
وملابساتها، فكان يلخصها لسائليه بالقول: «في لحظة من  
اللحظات الخاصة في حياتي، من الله بوسع علمه ورحمته  
عليّ، بعد أن وجد فيّ ما أكابد من العذاب والألم، وبعد

(١) انظر المصدر السابق، ص (٧٥).

(٢) انظر المصدر السابق، ص (٧٦).

أن وجد لدي الاستعدادَ الكبير إلى مَلء الخواء الروحي في نفسي، فأصبحت مسلماً... قبل الإسلام لم أكن أعرف في حياتي معنىً للحب، ولكنني عندما قرأت القرآن شعرت بفيض واسع من الرحمة والعطف يغمرنني، وبدأت أشعر بديمومة الحب في قلبي، فالذي قادني إلى الإسلام هو محبة الله التي لا تقاوم»<sup>(١)</sup>.

لقد أدرك الدكتور جيفري المعاني التي تتضمنها الشهادتان من استسلام لله تعالى واعتراف صادق بهيمنة شريعته - تبارك وتعالى - على حياته بمختلف أنماطها ف«اعتناق الإسلام هو أكثر من مجرد مقولة فكرية، بل إن ذلك يعني ارتباطاً اجتماعياً وسياسياً بالمجتمع الإسلامي وأهدافه. إن إقرار المرء بإيمانه أمام الملاء - وبشكل نظري نطقُ الشهادة - تزوده بالمفتاح إلى كافة مؤسسات المجتمع الإسلامي، وتزوده أيضاً بمزايا الشراكة المتساوية مع المسلمين»<sup>(٢)</sup>.

وقد عجب جيفري للمنهج الذي يخطه المستشرقون في نقد الإسلام، وتطرق لبعض معالمه، ولعل من أطرفها نظرتهم إلى أحاديث النبي ﷺ التي انتهجوا التشكيك في موثوقيتها، فإذا ما عجز المنافحون عن السنة عن إثبات دليل مسألة ما تتعلق بالحديث قال المستشرقون بأن العجز

(١) انظر المصدر السابق، ص (٢٣٥).

(٢) المصدر السابق، ص (٣١١).

دليل الخطأ، أما إذا قدموا دليلاً فذلك يدل على حاجتهم إليه، وهو بذلك يثبت - حسب رأيهم - خطأ المنافحين عن السنة.

بقي أن نشير بأننا لا نوافق البرفسور جيفري على بعض ما سطره في كتبه، لكن اعتذر عن ذلك بقوله: «عرّفت بناتي أن والدهن ليس باحثاً في الإسلام، وهذا ما يستطيع أن يدركه علماء المسلمين بسهولة أيضاً»<sup>(١)</sup>، ويمضي ليذكر سبباً آخر لهذا الخلل بالقول: «أدرس ما يقوله الباحثون عن دين ما، سواء أكان هؤلاء الباحثون من داخل هذا الدين أم من خارجه .. وعلى هذا فإن فهمي للإسلام متأثر إلى حد كبير بأراء الباحثين من غير المسلمين»<sup>(٢)</sup>.

نسأل الله لنا وللبرفسور جيفري الثبات على الإيمان، والهداية إلى أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

\* \* \*

---

(١) انظر المصدر السابق، ص (١٥).

(٢) انظر المصدر السابق، ص (١٨).

## القس ( يوسف ) جوزيف إستس

قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا  
الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا  
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا  
وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ  
أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا  
فَاكْتَبْنَاكَ مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (المائدة: ٨٢-٨٣).

آيات كريمة حكت قصة نفر من قساوسة الحبشة،  
قدموا إلى النبي ﷺ، وآمنوا به، وهي قصة تتكرر على مرِّ  
الأزمان مع كل باحث عن الحق مدعن إليه.

ولعل القس جوزيف إستس أحد هؤلاء، فقد كان قساً  
في كنيسة بروتستانتية في الولايات المتحدة الأمريكية،  
حيث درس علم اللاهوت وحصل على درجة الدكتوراه.  
القس جوزيف لم يكن يؤمن حقاً بما يدعو إليه في  
الكنيسة، فلم يكن ليصدق بأن الله ثلاثة في واحد، وواحد  
في ثلاثة، عقيدة غامضة لم يفهمها؛ كما الملايين من قبله،  
وأنى له أن يؤمن بهذه العقيدة التي لم ينسب المسيح عنها  
بنت شفة في الكتاب المقدس الذي يؤمن به سائر  
النصارى.

ولجوزيف مع كتابه المقدس قصة مؤلمة أخرى، فقد  
كان يرى تلاعب زملائه القسس بنصوصه، وتحريفهم له  
في مواعظهم، وإضافتهم فيه ما ليس منه كلما احتاجوا إلى

دليل لمعنى من المعاني التي كانوا يعلمونها في الكنيسة،  
وحين كان يستنكر عليهم فعلهم كانوا يجيبونه بأن أحداً لن  
يكتشف مثل هذا التدليس، فما من أحد من شعب الكنيسة أو  
قسسها يحفظ سطرًا واحداً من سطور هذا الكتاب.

وفي مقابل هذا فإننا سنراه بعد الإسلام يفخر ويفاخر  
بحفظ الملايين من المسلمين لآيات القرآن، وتراه في  
محاضراته يتلذذ بسماع أصوات عوام المسلمين ، وهم  
يكملون له آية قرأ مطلعها، ليثبت للعالم تفرد القرآن  
الكريم من بين الكتب السماوية بالحفظ والصون ﴿ إِنَّا نَحْنُ  
نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩) ، وقد حفظه الله بأمة  
بذلت أعمارها في تعلمه واستظهاره، «أناجيلهم في  
صدورهم»<sup>(١)</sup>.

توقف القس جوزيف ملياً مع تناقضات الأسفار  
المقدسة، فلم يقدر على حل طلاسمها، فكيف له أو لغيره  
من العقلاء المنصفين أن يؤمن بصحة ما جاء في سفري  
الملوك والأخبار عن عُمر الملك أخزيا حين تولى الملك  
على بني إسرائيل، إذ يزعم سفر الملوك الثاني أنه تولى  
الحكم وعمره اثنان وعشرون سنة، بينما يذكر سفر أخبار  
الأيام الثاني أن أخزيا تولى الحكم حين بلغ الثانية والأربعين.  
اثنان وعشرون سنة أم ثنتان وأربعون؟ هي واحدة من

---

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ح (٩٩٠٣)، والبيهقي في دلائل النبوة  
ح (٣٤٣)، وضعفه الألباني.

تناقضات الكتاب المقدس التي صدّعت رأس القس جوزيف، ولم يجد لها جواباً حتى عند كبار القسس الذين لجأ إليهم، فاكتفوا بالقول: إن أحداً من شعب الكنيسة لا يتنبه إلى هذه الأخطاء والتناقضات؛ فلا تقلق بسببها يا جوزيف!

ومثله مثل كثيرين وقعوا ضحية الدعاية الكاذبة عن الإسلام والمسلمين، كان جوزيف إستس يتصور أن المسلمين قوم من البرابرة والمتوحشين، يقتلون من خالفهم في دينهم، ويعبدون صندوقاً أسوداً في الصحراء يسمونه الكعبة، وذلك وفقاً لهستيريا "الإسلاموفوبيا" التي يشيعها الخائفون من وصول الإسلام إلى ضمير أتباعهم، فيصبحوا من المؤمنين به والمهتدين إلى حقائقه.

كثيراً ما حذره القسس من قراءة القرآن الكريم، لئلا تصيبه ما أسموها «لعنة القرآن». خابوا وخسروا، يريدون بناء الجُدُر التي تحول بين أتباعهم وبين اطلاعهم على آيات القرآن العظيم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: ٢٦).

إلى جانب عمله في الكنيسة اشتغل جوزيف بالتجارة، وقد كانت له مفتاح خير، فقد اجتمع ولمدة شهرين - أو يزيد - مع شريكه المسلم المصري محمد عبد الرحمن، فرأى فيه من حسن معاملة المسلمين ما يناقض كل الأفكار الصدئة التي عشعشت في رأسه عن وحشية المسلمين وهمجيتهم .. كذب يصيب المرء بالاشمئزاز والتقزز؛

وأحياناً بالشفقة على عالم أدمن الكذب، فصار له سجية وعادة.

اجتمع القس البروتستنتي جوزيف وأبوه وزوجته، واستعانوا بالقس الكاثوليكي بيتر جاكوب، ليكونوا فريق عمل قادراً على محاورة الشاب المسلم محمد عبد الرحمن الذي أعياهم بأسئلته، وفضحهم أمام أنفسهم بأجوبته، وأدهشهم، وأفغر أفواههم حين أعلمهم بأن القرآن عند جميع المسلمين كتاب واحد، بينما تحمل يد كل واحد منهم نسخة من الكتاب المقدس تختلف عن النسخة التي يحملها الآخر، فتوراة البروتستنت التي يحملها القس جوزيف إستس تتكون من تسعة وثلاثين سقراً، بينما يحمل صديقه الكاثوليكي بيتر جاكوب كتابه ذا الستة وأربعين سقراً.

وحين تباحث جوزيف مع شريكه محمد حول الإسلام والنصرانية؛ أسمعته محمد سورة الإخلاص، فأدرك جوزيف وضوح عقيدة التوحيد وبساطتها التي تلامس الفطرة وتوائمتها، وتزلزل ما تبقى في قلبه من أوضار الوثنية والشرك والتثليث، فالله واحد أحد، وليس ثلاثة في واحد، وهو الذي لم يلد ولم يولد، فهيهات أن يكون له ولد، «وكأن صوته [وهو يقرأ سورة الإخلاص] لا زال يرن صداه في أذني، ولا أزال أتذكره.. أما معناها فلا يوجد أوضح ولا أفضل ولا أقوى ولا أوجز ولا أشمل منه إطلاقاً. فكان هذا الأمر مفاجأة قوية لنا.. مع ما كنا نعيش

فيه من ضلالات وتناقضات في هذا الشأن وغيره». وعلى مدى ليال طويلة من المناقشات لم يفتأ الشاب المسلم يؤكد بأدب واقتدار على أن الإسلام دينُ الحجة والدليل والبرهان، دين يحترم العقل، ويراه هبة إلهية للإنسان، تعينه في الوصول إلى نور الحقيقة وهدى الله القويم.

كان هذا منطقياً غريباً على جوزيف إستس الذي كان يعتقد أن الإيمان والعقل نقيضان لا يجتمعان، فكثيراً ما كان يسمع المقولة الشائعة بين القسس والرهبان «أغلق عقلك واعتقد».

شهور من عام ١٩٩١م قضاها يوسف إستس في الحوار مع صديقه محمد عبد الرحمن، وأضاف إليها الكثير من البحث والدراسة في اليهودية والبوذية والهندوسية والإسلام، ثم وضع جبهته على الأرض ذات ليلة، وهتف من أعماق قلب تائه يبحث عن الخلاص: «إلهي، إن كنت موجوداً فاهدني».

وبعد ليلة طويلة سهرها القس إستس وزوجته في جدال شريكه المسلم؛ قرر أن يبرأ من الشرك ويعتق التوحيد، وانضم هو وزوجته ووالده إلى ركاب المؤمنين، وقد سبقهم إليها صديقهم القس بيتر جاكوب، حدث عظيم يعلق عليه جوزيف إستس أو بالأحرى يوسف إستس - بالقول: «أرى أن إسلامنا جميعاً كان بفضل الله، ثم القدوة الحسنة عند ذلك المسلم الذي كان حسن الدعوة، وكان قبل ذلك حسن

التعامل، وكما يقال عندنا : لا تقل لي.. ولكن أرني». هذا المفتاح العظيم من مفاتيح الدعوة يفرط فيه بعض الدعاة الذين يقصرون في إصلاح أخلاق وسلوكيات إخوانهم المسلمين، ثم يكتفون بالقول للآخرين: لا تنظر إلى حال المسلمين وسوء فعالهم، بل انظر إلى القرآن والسنة فحسب. وهو جواب يعيبه الداعية يوسف إستس، ويراه نوعاً من الهروب لا ينطلي على المدعوين الذين يقول لسان حالهم: لو كان هذا الإسلام عظيماً لأثر في أتباعه، فالناس يريدون أمثلة حية، يريدون رؤية شخوص تمثل الإسلام أمام البشرية وتهديهم إليه.

لم يكن يوسف إستس أنانياً، بل أحب لبني جنسه ودينه السابق ما أحب لنفسه، فانطلق يوجب البلدان؛ يبشر بدينه الجديد عبر محاضراته في مختلف البلدان؛ علاوة على دروسه ولقاءاته في القنوات الفضائية، وكذلك في موقعه المميز ([www.islamtomorrow.com](http://www.islamtomorrow.com))، وقد كتب الله له الكثير من القبول عند الناس، فأسلم بسبب دعوته ودمائة خلقه وحسن عرضه للإسلام الألوّف من الناس، ففي محاضرة له في ألمانيا في ٢٧/٧/٢٠٠٨م أسلم زهاء ألف ومائتين وخمسين من الباحثين عن الحق؛ الظامئين إليه.

في إحدى محاضراته أمكن للشيخ إستس خلال دقيقة واحدة أن يثبت للحاضرين أن المسيح ليس هو الله، وليس أيضاً ابنَ الله. فالمسيح وسم نفسه بالإنسانية كما في إنجيل يوحنا (٤٠/٨)، وذلك بقوله: «وأنا إنسان قد كلمكم بالحق

الذي سمعه من الله»، وكذلك وُصِف عليه الصلاة والسلام في الإنجيل ثلاثاً وثمانين مرة بأنه ابن الإنسان، وهكذا فالمسيح في الإنجيل إنسان وابن إنسان، والله ليس إنساناً ولا ابن إنسان، لأن سفر العدد (١٩/٢٣) يصرح بذلك: «ليس الله إنساناً فيكذب، ولا ابن إنسان فيندم»، وهكذا تتلألاً الحقيقة في أبهى صورها رغم - أو بسبب - بساطة الطرح التي تثبت روعته.

وحين سأله أحدهم عن انتشار الإسلام بالسيف؛ قال: أي سيف هذا الذي وصل إلى أندونيسيا أو ماليزيا أو غيرها من البلدان التي دخلت في الإسلام قبل أن ترى جندياً واحداً من جنود المسلمين؟! لقد اختاروا الإسلام عن حب وقناعة لما رأوه من أخلاق تجار مسلمين قدموا إلى تلك البلاد، ففتحوها بحسن معاملتهم وطيب أخلاقهم ومعشرهم.

ويعجب إستس من قول القائلين: إن الإسلام انتشر بالسيف. مع أن كلمة السيف وسائر مرادفاتها التي تربو على الستين (كالحسام، والمهند..) لم ترد في القرآن الكريم؛ ولو مرة واحدة، وفي المقابل وردت كلمة السيف في توراة النصارى وإنجيلهم زهاء مائتي مرة، مما سبب حرجاً لبعض القسس الذين لجؤوا للخداع والكذب والتليس على الدهماء، حين حرفوا القول المنسوب إلى المسيح في إنجيل متّى (٣٤/١٠): «ما جئت لألقي سلاماً على الأرض، بل سيفاً»، وقالوا: إن كلمة السيف (sward)

قد تصحفت عن الكلمة الأصلية (ward)، أي (كلمة) بسبب وقوع قطعة مكرونة على هيئة حرف (s) على المخطوط الذي كان آكل المكرونة يكتبه، فتحول قول المسيح: «بل كلمة» إلى «بل سيفاً».

قصة طريفة تضحك منها الثكلي، قد تنظلي على بعض العوام الذين لا يعرفون أن الإنجيل لم يكتب بالإنجليزية، بل باليونانية، وليس ثمة مناسبة تسمح للمكرونة أو غيرها بتغيير كلمة (λόγος) التي تعني (كلمة) إلى (μάχαιραν) التي تعني (سيف).

نشاط الشيخ الداعية يوسف إستس لا يهدأ في التعريف بالإسلام والدعوة إليه على شبكة الإنترنت، ورعاية المسلمين الجدد وتعليمهم أمور دينهم، نسأل الله أن يبارك في جهوده، وأن يرفع به رايته، ويعلي دينه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

\* \* \*

## الشماس فوزي السيسي (المهدي)

ولد فوزي السيسي لأبوين كاثوليكين يسكنان قريباً من كنيسة "ماري جرجس" بمدينة الزقازيق المصرية، وكان غاية أملهما أن يصبح ابنهما فوزي قسيساً للكنيسة؛ يتشرف الأطفال بتقبيل يده، والكبار بالاعتراف بين يديه، فالقس - بحسب دين الكنيسة - نائب الرب على الأرض الذي يرجى نوال مغفرته وعفوه<sup>(١)</sup>.

حين بلغ فوزي سن الثانية عشرة، أخذه أبواه إلى الكنيسة لتعميده، فلامهما القس طويلاً على تأخرهما في تعميد ابنهما حتى بلوغه هذه السن المتأخرة، ووبخهما بالقول: ألم تعلما أن ابنكما كان مسلماً طوال هذه السنوات؟

كلمات لم يفهمها فوزي حينذاك، لكنه سيدرك دقيق معانيها حين يقرأ لاحقاً قول النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»<sup>(٢)</sup>.

ويكمل فوزي قصة تعميده بالقول: كنت أسمع أن المرء بعد التعميد يحل عليه الروح القدس، فتساءلت بعد تعميدي: أين هو؟ لم لا يحل علي؟ .. لا أشعر بأي تغيير؟! ما هو مصيري لو لم أتعمد؟ أو لم أولد مسيحياً؟ تساؤلات

---

(١) ما نقله من قصة فوزي المهدي، اعتمدت فيه على محاضرة له منشورة على شبكة الإنترنت، بعنوان: قصة إسلامي. وقد أعد منها الأستاذ محيي الدين عبد الحميد كتيباً بعنوان: «كنت نصرانياً وأسلمت».

(٢) أخرجه البخاري ح (١٣٨٥)، ومسلم ح (٢٦٥٨).

لم يجد القسيس المعمد إجابة لها إلا تجاهلها وتعزية الغلام بقوله: «أسئلتك كثيرة يا ولدي، أنت تصلح شماساً في الكنيسة».

ولئن أعرض القس المعمد عن إجابة بعض أسئلة فوزي فإننا نحيله إلى قول علامة النصرانية الكبير أوغسطينوس الذي يعتقد بأن الإنسان وارثٌ للخطيئة، وأنه غير مفدي إلا إذا آمن بالمسيح، ودلالة الإيمان: التعميد، فمن عمّد فُدي ونجا، ومن لم يُعمّد لا ينجو؛ ولو كان طفلاً.

ويجزم العالم الكاثوليكي الشهير توماس الأكويني في كتابه "The Summa Theologica" «الخلاصة اللاهوتية»: بأن الأطفال الذين ماتوا قبل التعميد محرومون من التمتع برؤية ملكوت الرب، أي الجنة<sup>(١)</sup>.

جدّ الغلام فوزي في تحقيق مطلبٍ والديه وتشوّف القس فيه، وعمل خادماً في الكنيسة برتبة شماس، يزور القرى لتثبيت إيمان شعب الكنيسة بالمسيح الإله، وبالثالوث الأقدس.

وخلال عمله الكنسي، واجه عقل فوزي أسئلة لم يجرؤ على البوح فيها، فالتمتة بمثل تلك الأسئلة كافية لطرده من الكنيسة أو سجنه في الدّير، وهو ما يعني تحطيم حلم والديه، ولذلك فإن من المستحسن حبس هذه

---

(١) انظر: ما هي النصرانية؟ محمد تقي العثماني، ص (٨٦-٨٧).

الأسئلة في أعماق الصدر لعل الزمن يتكفل بنسيانها، أو حل ألغازها وفك طلاسمها.

لم يرق كثيراً للشباب فوزي طقس التناول؛ حيث يعمد القس إلى كسرات خبز يلقمها فم النصراني بعد أن يلتها في إناء خمر، وتزعم الكنيسة أن هذا الخبز مقدس، وأنه يتحول إلى جسد المسيح، بينما يتحول الخمر إلى دم المسيح، كيف يروق مثل هذا لعقل فوزي الذي عجز عن فهم كينونة هذا التحول السري للخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه؟

وتساءل: لو كان هذا حقاً، فلماذا نأكل جسد المسيح ونشرب دمه، ونحن نعلم المكان الذي يؤول إليه الطعام والشراب في أجسادنا وبعد خروجه منها؟ هل يليق أن نسب إلى المسيح الحلول في هذه الأمكنة القذرة والوضيعة؟ لأجل هذا كله فإن فوزي لم يفعل هذا الطقس إلا مرة واحدة في حياته.

ثالثة الأثافي التي تقاطرت أمام فوزي، وأبت الانفكاك من مخيلته؛ هي ما يسمونه سر الاعتراف، حيث يعمد النصراني إلى الاعتراف بذنوبه أمام القس، فيكشف ستر الله عليه، ويبوح أمامه بما يستحي من تذكره أو التفكير فيه، لكنه - بموجب هذا الطقس الكنسي - مدعو للاعتراف بذنوبه أمام الكاهن حتى يحوز الغفران من قسيس خاطئ يحتاج بدوره إلى غفران الأسقف الذي يعترف بذنوبه للبابا لينال غفران الله ورحمته.

دخل فوزي يوماً إلى غرفة الاعتراف في الكنيسة،  
وسأل القس: أنا اعترف لك بذنوبي، وأنت تعترف  
للمطران الذي يعترف للبابا، فلمن يعترف البابا بذنبه؟ ومن  
الذي يغفره له؟ فأجابه القس: الله.

أجاب فوزي ببدهية وذكاء فطري: ألا يكفي أن أعترف  
بذنبي أنا أيضاً لله؟ لماذا تضطرنني الكنيسة لفضح نفسي  
وإظهار عيوبي أمام الآخرين؟.

وتساءل فوزي ملياً في نفسه: ما حاجتنا إلى الاعتراف  
وقد تحمل المسيح على الصليب ذنوبنا وبوائقنا؟

وإذا كان المسيح هو الله، فكيف قدر العباد على  
صلبه؟ ولم؟ أما كان الله يقدر على غفران ذنوبنا من غير أن  
يصلب ويتألم ويهان؟ ولماذا يصلب المسيح البريء نيابة  
عن الخطاة؟ أوليس من أول مقتضيات العدل والمنطق  
السليم أن لا يُعذَّب شخص لذنوب ارتكبتها غيره؟ ﴿ أَمْ لَمْ  
يُنْتَبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَا نُرِىٰ وَازِرَةً وَّزَرَ  
أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَىٰ ﴿٤٠﴾  
ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ (النجم: ٣٦-٤١)، فإذا لم يقدر  
على تخليص نفسه من الصلب فكيف يخلصنا؟.

أما المعضلة الكبرى التي أرقت فوزي وأطالت شهادته  
فكانت الثالث الموحّد الذي تدعيه الكنيسة، ففي حين

تنادي النصرانية بأن الآب والابن والروح القدس ثلاثة أشخاص مختلفين في كينونتهم وصفاتهم؛ فإنها تفجأ السامع بقولها: إن الثلاثة إله واحد، وهذا يتعارض مع أبسط مسلّمات علم الرياضيات التي تقول:  $(3 = 1 + 1 + 1)$ ، بينما الكنيسة تقول:  $(1 = 1 + 1 + 1)$ .

بعد تسع سنوات من التقلب على جمر الحيرة، قرر فوزي التخلي عن حلمه القديم بأن يصبح قساً يمشي الناس خلفه يرجون منه البركة والقداسة، ولم يشفع لهذا القرار عشرات المواعظ التي كان قد ألقاها في الكنيسة، فكلها لم تطفئ نيران الشك التي تضطرم في أعماقه، لذا حزم أمره بدراسة الإسلام من خلال قراءة القرآن الكريم وبعض الكتب الإسلامية، فارتعد قلبه، ودمعت عيناه وهو يقرأ قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ (المائدة: ١١٦ - ١١٧)، لقد كان القرآن ينطق بالحقيقة المستقرة في أعماق ضمير فوزي.

وجد فوزي في القرآن إجابة لما يردده القسس في الكنيسة من الاستدلال على ألوهية المسيح وأنه ابن الله،

لميلاده من غير أب بشري ، فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران: ٥٩) ، فعيسى عليه السلام مخلوق لله؛ وإن بطريقة غير معتادة، وهو كآدم عليه السلام، لكنه -بالتأكيد - ليس ابنَ الله.

توجه فوزي إلى الإسماعيلية لأداء الخدمة العسكرية، فتوفر له المزيد من أوقات الصفاء والتفكير والقراءة التي قادته رويداً رويداً إلى الإسلام، وأوصلته إلى أعتابه، لكنه قرر - قبل الولوج إليه - منح النصرانية الفرصة الأخيرة، فذهب إلى الكنيسة في الإسماعيلية، وأسمع القسيس فيها الكثير من أسئلته القديمة، وأضاف إليها أسئلة عديدة حول الفرق بين الطهارة عند المسلمين والنصارى، وسأل القس: لماذا لا نغتسل من الجنابة ولا نتوضأ للصلاة مثل المسلمين؟ ولم يقتصر صومنا على الامتناع عن تناول اللحوم، ولا نصوم كصومهم؟

أجابه القس: هل تقرأ في القرآن يا فوزي؟ إن ذلك لا يجوز لك قبل أن تصبح قسيساً، فأنت شماس فحسب!.

اغرورقت عينا فوزي بالدموع ، ووجد نفسه منجذباً إلى الأرض يسجد فوقها بسجود المسلمين؛ يناجي ربه سائلاً إياه أن يريه الحق وينير به قلبه «ربي.. أنت تعلم حيرتي، فإن كانت النصرانية هي الحق فاجعل روح القدس تحل عليّ الآن.. وإن كان الإسلام هو الحق فأدخله في قلبي»، ولم يرفع رأسه من سجوده إلا وقد عزم على

اعتناق الإسلام، فقد أجاب دعاءه رب قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه.

أشهر فوزي إسلامه في عام ١٩٩١م، وتسمى بفوزي المهدي .. خيرٌ لم يَرُقْ للكنيسة، فأرسلت تعرض عليه الزواج والمساعدة في الهجرة إلى أمريكا، حيث يسيل لعاب الشباب، لكنه استعصم بإيمانه، ورفض عروضهم، فأشاعوا أن إسلامه وهجره للنصرانية كان بسبب حبه لفتاة مسلمة، وعزَّ عليهم أن يعترفوا بالحقيقة التي لأجلها اختار فوزي الإسلام.

زاره واحدٌ من أصدقاء الخدمة الكنسية، فتجادلا طويلاً حول الدين والإيمان، ثم وصل الصديق إلى ترياق زعم أنه يعيد فوزي إلى النصرانية، وقال له: إن الشيطان يتكلم على لسانك!.

أجاب فوزي: أَلَسْتُ تُخْرِجُ الشياطين؟ أخرج مني هذا الشيطان المزعوم.

وضع الصديق يده على رأس فوزي، وهمهم وتمتم بكل ما يعرفه من نصوص مقدسة وغير مقدسة؛ لكنه لم يجد لهذا الشيطان المزعوم أثراً في قلب المهدي فوزي، فما زادته تلك القراءات إلا يقيناً بالإسلام واطمئناناً بصحة القرار الذي اتخذه.

أسلمت أخت فوزي، ثم لحقها والده، وارتحل من مصر إلى السعودية، ليتعلم فيها دينه، ثم أضحى معلماً للمسلمين؛ يؤمهم في مساجدهم، ويخطب الجمعة

ويوجههم ، فحقق حلم طفولته بتوجيه الناس ودلالاتهم  
على الخير، ولكن في ظلال الإسلام؛ لا المسيحية، وفي  
رحاب محاريب المساجد؛ بعيداً عن أجراس الكنيسة.  
نسأل الله أن يثبتنا وإياه على الحق، إنه جواد كريم.

\* \* \*

## الشَّامْسُ عماد جت ( المهدي )

قصة اليوم لصديق أعتز بصداقته، أرادوا له أن يكون قسيساً، وأراد الله له أن يكون داعية مبرزاً في خدمة الإسلام، إنه الأخ عماد سمير جت، المعروف بعماد المهدي.

ولد عماد في مصر الكنانة في عائلة أرثوذكسية متدينة، حرص أبواه على أن يكون مع أخته «هبة» من رواد الكنيسة الدائمين المستظلين بضباب أبحرتهما، يؤديان طقوس المسيحية المختلفة (الاعتراف - التناول - الترانيم والصلوات المملة)، التي لم يكن عماد يفهم منها حرفاً واحداً، فهي تؤدي باللغة القبطية التي لا يفهمها، لكنه على كل حال كان حريصاً على الحضور إلى دروس الكنيسة وأنشطتها، لما يهبه القس للصغار من هدايا يطرب لها قلب عماد وأقرانه.

بدأت رحلة عماد إلى الإسلام لما بدأت أمه بمشاهدة حلقات الشيخ محمد متولي الشعراوي التلفزيونية .. حديث الشيخ يشد الفؤاد، ويناجي العقل .. تابعته بشغف، فقادها إلى استماع القرآن، فكانت كثيراً ما تعلق على آياته بأن هذه الآية حلوة، وتلك مقنعة، وهكذا.

دخل شهر رمضان موافقاً في ذلك العام لصيام العذراء المسيحي الذي يمتد خمسة عشر يوماً، فصامت أم عماد ثلاثين يوماً، وكانت لا تفطر إلا بعد غروب الشمس، بينما

يدخل وقت الإفطار عند النصارى مع ظهور أول نجم في السماء، أي قبل الغروب بدقائق، ويقتصر صيامهم على الامتناع عن أكل ما يستخرج من الحيوانات.

لم يطلُ عَجَبَ عماد مما رأى من أمه، فقد أسرَّت له بخبر إسلامها، ثم سرعان ما هربت من بيتها، وتوارت عن الأنظار، وأعلنت إسلامها؛ لتتوالى أمواج السباب والشتائم؛ خلا التقييح والتشويه والتسفيه لتلك التي كفرت بالمسيح - بحسب رأيهم - وخسرت الخلاص الأبدي، وعافت بيتها وأولادها وزوجها.

حين سمع عماد السباب لأمه داخل العائلة؛ تأذى كثيراً، لكن الأذى الجلل وقع في درس الثلاثاء - حيث يواظب عماد مع أقرانه على حضور درس الكنيسة المخصص للشباب القبطي - فقد نظر القس إلى عماد نظرة تحسبها كسيرة، وهمهم بصوت يخفي مكرماً خادعاً: إن والدة أختنا عماد كفرت بالمسيح، وتورطت في قضية مخلة بالآداب، وهي الآن في السجن .. وهذا جزاء إلهي لها لتركها دين المسيح!

اكفهرت الدنيا في عيني عماد، وكاد قلبه أن يتوقف، فالكل يحدق فيه، والأرض لم تحقق له أمنيته بابتلاعه من بين زملائه، فلسان حاله: ﴿يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ (مريم: ٢٣).

خرج عماد من الكنيسة وبراكين تغلي في صدره، تتقاذف شتى الهواجس والخواطر أمام مخيلته .. هل يزور

السجن ليقتل تلك التي فضحته بين أصحابه؟ أم يذكر لها أمومتها؟ .. خطواته في الشارع كانت بطيئة ثقيلة تحكي ضياعه وانهياره.

انتشله من أحزانه صوت حانٍ لطالما استمتع بلحنه (يا عمدة)؛ إنه الاسم الذي اعتادت أمه الحنون أن تناديه به، لكنه يسمعه هذه المرة من امرأة محجبة ترقبت خروجه من الكنيسة، وقد طال شوقها إليه .. لحظات وانطفأ البركان الذي في قلبه، وانجلت الغمة بدموع الأم وهي تحتضن ابنها، وتكذب كل الدعاوي الكاذبة التي سمعها عماد من القس في الكنيسة.

أعطت أم عماد ابنها عنوان منزلها الجديد، فزارها فيه بعد خمسة أيام ، أسمعته آيات سورة الإخلاص في مشهد مهيب .. رأى صلاتها وخضوعها لربها، «وكان ذلك الموقف لا يوصف، كان له أثر طيب على مشاعري ، تمنيت أن أجلس على الأرض، وأقبل قدمي أمي وهي تصلي ، شعرت بشيء ما يغسل قلبي ، دخل عليّ صفاء وحب، امتلكني شعور غريب .. إنها روح جديدة تسري في جسدي».

وجاء يوم الثلاثاء، فقصد عماد الكنيسة من جديد، ليستمع إلى القس الكاذب وهو يعظ الشباب بثياب الحملان وقلوب الذئاب، ولم يفته في ختام موعظته أن يذكر الشباب الأغرار بمصير أم عماد التي خانت المسيح، زاعماً أنه زارها بالأمس في سجنها الذي تقبع فيه .

لم يَخْفَ عماد هذه المرة من نظرات الجالسين، ولم يتهيب من مواجهة الأفاق الكذاب الذي يتدثر بثياب الدِّين، فوقف - بشجاعة لم يعتد عليها شعب الكنيسة - ليخبر الجميع بأن قسيسهم كاذب مخادع، وأن عماداً زار أمه بالأمس، وأنها ليست في السجن، فلا جريمة لها إلا أنها اختارت الإسلام.

غالبَ عماد وحدته وأحزانه، وقرر قراءة الكتاب المقدس مبتدئاً بسفر التكوين، فازداد منه بُعداً، وكاد يصعق لما قرأ قصة اختباء آدم من الله بين أشجار الجنة، وأن الله مشى في الجنة وبحث عنه حتى وجده، فسأله مستفهماً: «من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟»، ثم أمر الملائكة بحراسة شجرة الحياة حتى لا يحوز آدم الخلود كما حاز المعرفة الإلهية: «وقال الرب الإله: هوذا الإنسان قد صار كواحد منا، عارفاً الخير والشر، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً، ويأكل ويحيا إلى الأبد»، والقصة مسطورة في الإصحاح الثالث من سفر التكوين التوراتي.

سأل عماد زملاءه النصارى يوماً: ما تقولون في رجل سكر وزنا بيناته؟ فقال واحد: كافر .. ! وقال الآخر: ابن ال... ! ، وحقُّ لهم، فما من عاقل أو شريف أو وضيع يفعل هذا المنكر المستبشع.

أجابهم عماد: إن الكتاب المقدس ينسب هذه الرزية إلى نبي من الأنبياء.

تبرمت الشفاه، وشهقت الأنفس، وانقسموا بين متشكك ومكذب ومتعجب، لكن للأسف هذا ما يذكره الكتاب المقدس في سفر التكوين (١٩ : ٣٣-٣٥) عن نبي الله لوط عليه السلام.

ثم سألهم عماد: هل تدرون أيها المثقفون ما قاله كتابنا المقدس عن نوح عليه السلام!؟

فسكتوا ولم يجروا على الكلام، فقرأ لهم من سفر التكوين (٩ / ٢٠-٢١) ما لم يخطر لهم على بال: « وابتدأ نوح يكون فلاحاً، وغرس كزماً ، وشرب من الخمر ، فسكر وتعرى داخل خبائه» .

بعد أيام وقف عماد في درس الشباب مجدداً، وسأل القس: يا أبونا ... هل يرى أحدٌ الله؟!  
أجاب القس على الفور : كتابنا المقدس يقول في (يوحنا ١/١٨): «الله لم يره أحد قط».

ألقي عماد نظرة تحدي، وقال: يا أبونا ، الكتاب المقدس الذي قال: «الله لم يره أحد قط» يقول في سفر الخروج (٣٣ / ١١): «ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه، كما يكلم الرجل صاحبه».

احمر وجه القس واصفر، وكاد أن يردد ويزبد، لكنه ابتلع ريقه، وقال: «يا عماد بطّل فلسفة» !!! كان هذا غاية ما يملكه القس من جواب.

اشتد عجب عماد حين قرأ سفر المزامير، فوجده يتنبأ بنجاة المسيح من الصلب، مناقضاً ما جاء في الأناجيل عن

المسامير التي ثقت يدي المسيح ورجليه، فالمزمور يناقضه بالقول: «كثيرة هي بلايا الصديق، ومن جميعها ينجيه الرب، يحفظ جميع عظامه، واحد منها لا ينكسر» (المزمور ٣٤/١٩-٢٠)، فكيف سلّمت جميع عظامه وقد ثقت المسامير يديه ورجليه؟! معضلة دونها خرط القتاد.

وهكذا قادت نصوص الكتاب المقدس عماداً بعيداً عن النصرانية ، فكان إيمانه يذوي كلما قرأ في أخباره العَجَبَ العَجَاب: «عدتُ ثانية إلى الإنجيل أمسكه، ولم أزل ممسكاً به، فزاددتُ كآبتي، واشتد حزني ، وكثرت علامات الاستفهام من حولي .. مَنْ المتحدث في كل هذا؟ .. ولماذا تتعدد الروايات وتختلف، وتتناقض أحياناً؟ ولمَ يوجدُ فيها الكثير من الخرافات؟ ... لقد شعرتُ بملل غير عادي من القراءة في الإنجيل، وظهرتُ علامات استفهام أخرى».

على كرسي الاعتراف في الكنيسة، قال عماد للقس: «هناك أسئلة كثيرة أحتاج إلى الإجابة عنها، هناك أسئلة في الإنجيل لم أجد من يُجيب عنها».

ولأن القس - ككل رجال الكنيسة- لا يملك جواباً ، فقد ماطله بالقول: «وعدّ مني يا (عماد أفندي) أن نجلس معاً ، وأجيبك عن جميع أسئلتك»، وأهداه صليباً من الذهب الخالص .. يريد أن يشتري ضميره، ويطفئ - بوجهه الأصفر - شمعة عقله.

جرأة عماد وصراحته واتقاد ذهنه كلفته غالياً، فقد

حكمت الكنيسة عليه وعلى أخته بالمكث - وإن شئت فقل بالسجن - في دير الشمامسة في مدينة بني سويف، شهور ستة عانى فيها وأخته مرَّ العذاب النفسي، وهو يجبر على تلقي الدروس الدينية، كما رُسم شماساً، وهي مرتبة دينية تؤهل صاحبها لإلقاء المواعظ في الكنيسة ومعاونة القسس في أداء الخدمات الدينية والصلوات الكنسية.

نقلت الكنيسة عماداً وأخته إلى المنيا، فأقام خمسة شهور فيما سمي بيت النعمة - أو النعمة كما يسميه عماد - ، وقد حاول الهرب منه فلم يتمكن .. كل يوم يقضيه في هذا السجن كان يزيده بُعداً عن النصرانية، ويحيل حلم سجانيه برسمه قساً إلى سراب.

رقَّ والد عماد لرسائل ابنه التي تستعطفه ليخلصه وأخته من هذا العذاب، فأخرجه من بيت النعمة (أو النعمة)، وهو يكاد يجزم أن عذابات تلك الشهور قد أنست عماداً أمَّه، لكن هيهات، فما لبث أن عاود السؤال عنها ، والتقى بها مرات ومرات، وفي كل مرة كان يتعلم المزيد عن الإسلام منها ومن الشيخ حسين أحمد عامر؛ إمام المسجد الذي بجوار بيتها.

دُعي الشماس عماد إلى ممارسة عمله في الكنيسة كواعظ لشعب الكنيسة ، لكن لم يطل به المقام، فبعد تسعة أسابيع أعلن إسلامه، ليتحول إلى صف الدعاة إلى الله تعالى بعد أن أقبل على تعلم العلم الشرعي عند شيخين جليلين من علماء أرض الكنانة، وهما الشيخ

محمد صفوت نور الدين، والشيخ صفوت الشوادفي  
(رحمهما الله) ، ومنذ ذلك الحين وعماد يتصدى لدعوة  
أتباع دينه القديم إلى الإسلام من خلال جولاته وبرامجه  
في الفضائيات.

فلأخ عماد مني التحية، والله أسأل أن يستعملنا جميعاً  
في طاعته والهداية إلى دينه.

\* \* \*

## المذبة كريستيان بيكر

في ستينيات القرن الماضي ولدت كريستيان بيكر في مدينة هامبورج الألمانية في أسرة برتسنتية، ومع بلوغها العشرين تألفت كصحفية محترفة تعمل في إذاعة محلية في مدينة هامبورغ، لتشارك مع الآلاف في مسابقة لقناة (MTV) الشهيرة، ثم تفوز من بينهم بالعمل كمقدمة لأهم البرامج الغنائية في هذه القناة الأوربية صاحبة الزخم الكبير في عالم الفن والموسيقى، التي فتحت لكريستيان أبواب الشهرة، فجالت بعدها في عواصم أوروبا، وهي تعرض على الشاشة من يسمون بنجوم الفن العالمي، وتجري معهم عشرات اللقاءات في برامجها التي يتابعها الملايين من محبي الموسيقى في أوروبا<sup>(١)</sup>.

عمل كريستيان بين هؤلاء المشاهير منحها شهرتهم وحفاوة الجمهور بهم، بل وكان سبباً في نيلها بعض أهم الجوائز العالمية، حين منحت جائزة «الكاميرا الذهبية»، وغيرها من الجوائز المحلية والعالمية.

نالت كريستيان في عالم الأضواء الكثير من الزخرف والبهرج والمال، لكنها لم تكن سعيدة، فقد تحدثت في أحد برامجها إلى جمهور يقدر بسبعين ألفاً، ثم بعد دقائق شعرت في بيتها بالوحدة والقلق، فما زال ينقص حياتها

---

(١) نقلاً عن موقعها الشخصي على شبكة الإنترنت:

(www.kristianebacker.com).

شيء مهم تفتقده مع كثيرين ممن يشاركونها عالم الشهرة، لقد انتهى بهم الحال أن أصبحوا زبائن مواطنين على عيادات الطب النفسي، قبل أن تضج القنوات والصحف العالمية بأخبار انتحارهم أو وفاتهم بسبب جرعة زائدة من الأدوية المهدئة والمنومة، فقد افتقدوا جميعاً السعادة وراحة البال وطمأنينة النفس والتصالح مع الذات التي خلقها الله لعبادته، فأفنوها في حياة المتع والشهوات<sup>(١)</sup>.

شعرت كريستيان أن لا جدوى في حياة هؤلاء وأمثالهم وحواشيهم، ولا ثمرة ترتجى في وجودها بينهم، كما احتقرت صناعة الإعلام التي تهدر كرامة المرأة من خلال تسويق الجنس والتركيز على ثقافة الترفيه وتهتك الملابس التي ما تزال تقصر وتقصّر حتى لم يعد بالإمكان تقصير شيء منها، فقد خرجت عن كل حدود الحشمة والأدب.

على متن الطائرة التي تقل كريستيان لتصوير حلقة من برنامجها في بلجيكا همهمت في نفسها: لو سقطت الطائرة بي لن أهتم لذلك كثيراً.

لقد فقدت لذة الحياة، ولم يستطع البذخ والثراء والنجومية أن يضمّنوا لها مكاناً في قائمة السعداء، فحياتها لا مغزى لها ولا معنى، وكما تقول: إن في الروح فراغاً لا يملأه إلا معرفة الله تعالى والأنس به «لقد كنت في القمة،

---

(١) انظر المصدر السابق.

ولكن كانت تجربة محطمة للروح... لم أستطع أن أستمر»<sup>(١)</sup>.

لم تكن كريستيان تعرف عن الإسلام أكثر من بعض المعلومات السخيفة التي تعودنا على سماع طينها من الطاعنين في الإسلام، الذين دأبوا على اتهامه بالانغلاق وعدم التوافق مع الحياة العصرية، وأنه دين تقوم مبادئه على اضطهاد المرأة وقتل الناس، وأنه يناهض الحريات العامة، وتقويض النموذج الغربي الحضاري بكل مكوناته.

في عام ١٩٩٢م التقت كريستيان في لندن نجم الكريكت العالمي عمران خان، فكان أول مسلم تلتقيه في حياتها، ومنه تعرفت على الإسلام لأول مرة، وقد حدثها عمران عن الله رب الكون وخالقه، الرب الذي يحب المؤمنين ويحبونه، فيجعلونه بؤرة حياتهم وغايتها.

ثم سافرت كريستيان إلى باكستان، وزارت مشروع عمران خان لبناء مستشفى خيري كبير لمعالجة فقراء مرضى السرطان في لاهور، ورأت في جهود عمران - والمتطوعين معه - نبلاً وإنسانية، ثم تجولت في شوارع لاهور، وتحدثت مع المسلمين بمختلف مراتبهم العلمية والمادية، والتقت أناساً فقراء لكنهم سعداء، بسطاء لكن نور الله - كما تصف كريستيان - يظهر على محياهم،

---

(١) اعتمدت في كثير من معلوماتي عن قصة إسلام كريستيان على مقابلي لها شخصياً في أستانا بتاريخ ٢٠/٥/٢٠١٢م، وقد زودتني بملف «وورد»، ضمته الكثير مما نشرت ملخصه بين يدي القارئ.

أناس كرماء يسعون جميعاً لغاية وهدف أعلى هو رضا الله تعالى، يأكلون باسمه، ويشربون باسمه، وتدور حياتهم حول مراضيه، يعبدونه في كل حركة وسكنة في حياتهم. صدمة ثقافية أصابت كريستيان وهي تقارن بين مسلمات الباكستان وأولئك اللاتي عرفتهم في حياتها؛ نساء ثريات تثقلهن الحلئي والضغوط، يقضين حياتهن في التردد على عيادات التجميل وإجراء عمليات الشد والنفخ والترميم والشفط والتكبير والتصغير؛ تقول: «كنت دائماً أعود بتفكيري للوراء إلى تلك المشاهد الهستيرية الجامحة التي عايشتها بانتظام، عندما كنتُ أقدم البرامج والعروض الموسيقية على الهواء، وكنتُ أشاهد الفتيات الصغيرات يفقدن وعيهن من الإثارة عند رؤية نجم البوب المفضل لديهن على مسرح العرض، هل كان هذا الافتتان أو الهيام يقارب العبادة؟ أمّا السؤال الأهم من ذلك فهو: هل كنتُ الأداة الميسرة والمحرضة على ذلك؟».

ثلاث سنوات تلت؛ قضتها كريستيان في التنقل بين عواصم الدول الإسلامية (إسلام آباد - اسطنبول - سراييفو - الرباط - الدوحة ..)، أعجبت خلالها - وهي المعنية بالفن - بما تسميه (الموسيقى الصوفية) لشعر المدائح، وبهرها ما أنتجته الحضارة الإسلامية من روعة البناء في المساجد العتيقة كمسجد ابن طولون في القاهرة، والأموي في دمشق، والأزرق في تركيا، وقصر الحمراء في غرناطة، وحديقة المنارة في مراكش، ودار في خُلدها أن

هذه الحضارة - ولا بد - نتاج دين عظيم.

حتى تقف كريستيان على باعث هذه النهضة وينبوعها؛ قرأت ترجمة معاني القرآن الكريم وبعض الكتب الإسلامية، ومن أهمها «الطريق إلى مكة» للدكتور محمد أسد، و«الإسلام ومصير الإنسان» للدبلوماسي البريطاني المهتدي غاي إيتون، و«النبى محمد ﷺ وفقاً لمصادر أقرب» للمهتدي مارتن لينغس.

لفت نظر كريستيان في الإسلام أمور مهمة، يجعلها أن الله إله واحد، يُعبد مباشرة من غير وسطاء، وأن العباد مسؤولون عن أفعالهم، وغير محاسبين عن خطيئة أبيهم آدم، كما أدهشها ما في آيات القرآن من إعجاز علمي يدفع قارئه إلى التساؤل الممزوج بالدهش عن مصدر هذه المعطيات العلمية التي ينطق بها رجل أمي عاش قبل تفجر الثورة العلمية بما يربو على عشرة قرون.

أعجبها في الإسلام مفهومه للمغفرة، وحثه على التوبة، وتساميه على فكرة إلزامية العقوبة على السيئة، ليحولها ويبدلها إلى حسنة ينعم بها المؤمن في سجلاته؛ بدل أن يحمل وزرها ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُخْلَدُ فِيهِ. مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ (الفرقان: ٦٨-٧٠).

ورأت كريستيان أن الإسلام يجيب عن أسئلة لطالما أرهقها التفكير فيها: من أنا؟ ولماذا وجدت؟ وما المطلوب مني؟ وإلى أين المصير؟ «من يبحث عن إجابات الأسئلة الجوهريّة الكبيرة.. وعن ممارسات روحية يسيرة الفهم والتطبيق، الإسلام طريق رائع له».

أعجب كريستيان قول الشيخ عبد القادر الجيلاني: «إن الله ينظر إلى قلبك؛ لا إلى صورتك، ينظر إلى ما وراء الثياب والجلود والعظام، ينظر إلى خلوتك، لا إلى جلوتك»، وهذه «الفكرة - كما تقول كريستيان - تركت صدى عميقاً في حياتي، وجعلتني أدرك أنني أمضيت سنوات في الإفراط مشغولةً بمظهري كما تُملي عليّ طبيعة عملي، ورأيت أنه ينبغي علي أن أكون جيدة، وليس فقط أن أبدو جيدة».

بدأت كريستيان تستجيب لهدي القرآن، وتغير من نمط حياتها وطريقة تفكيرها، فقد تعلمت من القرآن عدم الاستسلام للضغوط التي لا تقدر على مواجهتها ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وتعلمت من المسلمين أن يفعل المرء وُسْعَه، ثم يرضى إذا ما سارت الأمور على غير مراده ومشتهاه.

ووصل التغيير إلى ملابس كريستيان، فطالت بعد قصر، واتسعت بعد ضيق، وظهرت عليها مظاهرٌ هي أقرب للوقار والحشمة، و«استيقظ الضمير، وصرتُ أميّز بين الخير والشر» ورأت في ذلك مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿سَرُّهُمْ أَيْنَمَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾

(فصلت: ٥٣)، فالله يجعل في أنفسنا أدلة تدلنا عليه وعلى محبوباته.

كما بدأت كريستيان في تغيير نوعية البرامج التي تقدمها في (MTV)، فاتجهت من البرامج الترفيهية العبثية الهابطة إلى البرامج الهادفة التي تُعنى بقضايا البيئة والعلاقات المجتمعية والصحة وغيرها مما يبني في المجتمع ولا يهدم.

هذا التغيير في سلوك كريستيان وبرامجها؛ قرأته وسائل الإعلام الغربية بطريقة سلبية، إذ بدأت تهمهم بإسلام كريستيان، وقد سئلت في أحد البرامج التلفزيونية: هل أنت مسلمة؟ فأجابت: لا، ولكن قلبي مسلم «وكانت تلك هي الحقيقة».

هذه الإجابة جعلت كريستيان - التي لم تسلم بعد - في مرمى نيران الصحافة الألمانية ووسائل الإعلام الأوربية التي أوسعت مساحة كبيرة للتهكم على كريستيان التي قد تصبح مسلمة إرهابية، وتقدم برامجها وهي محجبة، وكل ذلك لم يمنع كريستيان من التقدم إلى الإسلام رويداً رويداً.

ضغط الإعلام عليها دفعها للجوء إلى الصلاة، فصلَّت لله لأول مرة بصلاة المسلمين، وشعرت بأهميتها في جلاء الروح وتثبيت النفس، وتطهير داخل الإنسان ﴿ أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

(العنكبوت: ٤٥).

أيام معدودات ثم أصبحت بعدها كريستيان مسلمة، وشهدت بالتوحيد في أحد مساجد لندن في أبريل ١٩٩٥م، وسرعان ما طردت من وظيفتها بعد سبع سنوات من التألق والنجومية الزائفة.

وزاد الإعلام في وتيرة الإساءة إليها؛ بغية تشويه صورتها عند جمهورها، واستعدائه عليها.. ثم فاجأها المهتدي غاي إيتون بأن ما تتعرض له من هجمة إعلامية ليس مفاجئاً له، فهو ضريبة الإيمان الذي اعتنقته، وهو اختبار من الله، ودليل على محبته لها، «إذا أحب الله قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»<sup>(١)</sup>، فكانت كريستيان بعدها تتعزى بقول النبي ﷺ لما رجع من الطائف: «إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي»<sup>(٢)</sup>.

واصلت كريستيان إبحارها في سفينة الإيمان، متخطية هذه الصعاب «الإسلام كنزي الأثمن، وهو مصدر قوتي، وهو سبيلي إلى السماء، أنا سعيدة وراضية، أياً كانت الأمور السيئة التي ستواجهني في حياتي».

وتقول: «لم أشعر أبداً بأي ندم على اعتناق الإسلام رغم الهجوم الذي تعرضت له من الإعلام الألماني، ووقف برنامجي في قناة (MTV) الموسيقية، وطردي من العمل فيما

(١) أخرجه الترمذي ح (٢٣٩٦)، وابن ماجه ح (٤٠٣١).

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية (٢/٢٦٨).

بعد، إيماني ساعدني على تخطي الأوقات الصعبة ، ولم أشعر بالندم على ضياع النجومية والمال»<sup>(١)</sup>.

في سنة ٢٠٠٥م حجت كريستيان إلى بيت الله الحرام، ثم كتبت كتابين مهمين، أشهرهما كتابها «من MTV إلى مكة»، وهو ليس دعاية فارغة لمعتنق جديد للإسلام، بل دراسة نقدية وحوار صريح مع الذات ، تعزو فيه إسلامها إلى ما وجدته في الإسلام من قيم يجهلها الغربي القابع خلف أسوار سوء الفهم المتعمد للإسلام، كما تبحث في كتابها المشكلات التي تعترض المسلم الجديد في واقعه الأسري والمجتمعي، وقد كتبه بالألمانية، ونشر أيضاً بالإنجليزية والهولندية، وهو بصدد النشر قريباً بالعربية والأندونيسية والماليزية والتركية.

وأما كتابها الثاني فهو «الإسلام نهج الفؤاد» ، وتقرر فيه - مستدلة بآيات القرآن الكريم واجتهادات العلماء والمفكرين المسلمين - أن الإسلام دين متسامح منفتح في علاقاته مع الآخرين، وأنه الدين الذي بمقدوره إسعاد البشرية في دنياها وأخرها.

ما تزال كريستيان تستغل خبرتها الإعلامية في شرح الإسلام عبر المشاركة في البرامج الإعلامية في القنوات الأوروبية، كما تدير جمعية خيرية لمساعدة الفقراء، إضافة إلى اهتمامها بمسألة الحوار الديني والحضاري.

---

(١) في مقابلة قناة الجزيرة، برنامج بلا حدود، ٢٥ أغسطس ١٩٩٥م.

نسأل الله لنا ولها الثبات على دينه.

## يوشع إفانس

يوشع إفانس<sup>(١)</sup> شاب أمريكي مولود في عائلة نصرانية متدينة محافظة تسكن ولاية كارولينا جنوب الولايات المتحدة الأمريكية، وتولى جداه تربيته تربية محافظة، جعلته من المداومين على الذهاب إلى الكنيسة الميثودية والمشاركين في أنشطة الجمعيات النصرانية الشبابية، التي تنظم الرحلات والمخيمات والبرامج الرياضية والوعظية. توطدت العلاقة بين يوشع إفانس وواعظ كنيسته الشاب الذي يدرس اللاهوت في جامعة «بوب جونز»، حيث اعتاد يوشع على معاونته في إنجاز واجباته الدراسية، وبخاصة في مواد النقد النصي الكتابي التي تبحث في مخطوطات الكتاب المقدس، مما مكنه من الإلمام باللغات القديمة للكتاب؛ العبرية واليونانية.

اتفق يوشع إفانس مع صديقه الواعظ على قراءة الكتاب المقدس، إذ كانا يعتبرانه رسالة الله إلى البشرية، ومن اللائق بهما - وهما المتدينان - أن يقرأ هذه الرسالة من أولها إلى آخرها؛ لا أن يكتفيا بترديد أو سماع المقاطع التي يقولها الوعاظ في الكنائس.

في قراءته لأول سفر من أسفار الكتاب؛ تلقى يوشع صدمته الأولى وهو يقرأ في سفر التكوين التوراتي أن

---

(١) اعتمدت في قصة يوشع على محاضراته عن قصة إسلامه المنشورة في موقعه الإلكتروني (www.yushaevans.com).

نبي الله نوحاً - وحاشاه عليه السلام - كان مدمن خمر (انظر التكوين ٢٠/٩ - ٢٧)، وإفانس يرى أن مدمن الخمر لا يصلح للعمل في مطعم لبيع البرجر؛ فضلاً عن أن ينقذ البشرية من طوفانٍ عرمرم، وتساءل يوشع: كيف للرب أن يخصص بوحيه رجلاً سكيراً؟

توالت الصدمات تترى على يوشع كلما قلب صفحات كتابه المقدس، فلكل نبي من أنبياء الله الكرام في الكتاب سقطة، وأية سقطة!! فالأسفار التوراتية لا ترى حرجاً في نسبة القبائح إليهم.. قبائح يتنزه عنها سفهاء الناس، فضلاً عن أفاضلهم، كيف يصدق عاقل أن نبي الفضيلة لوطاً عليه السلام زنى بابنتيه بعد أن أسكرتاه وهو لا يعلم؟ (انظر التكوين ٣٠/١٩ - ٣٧) وكيف يصدق ما يقال عن إخوانه من الأنبياء في سفر التكوين التوراتي؟

لكن قصة داود عليه السلام في (صموئيل (٢) ٢/١١ - ٢٦) كانت القاصمة التي ألقت بثقلها على عقل وعاطفة يوشع أفانس، فقد كان معجباً بشخص داود عليه السلام وبطولاته، ففاجأه كتابه المقدس بتلك القصة المشينة التي تزعم - زوراً - أن داود عليه السلام - وحاشاه - زنى بزوجة قائده أوريا الحثي، ثم قتله خشية افتضاح أمره!! فكيف ينسجم أن يكون هذا المتآمر القاتل الزاني نبياً يوحى إليه الله معاني العدل والفضيلة ليعلمها الناس!؟

تأكد يوشع أن في قصص التوراة عن هؤلاء الأنبياء الكثير مما لا يمكن أن يكون صحيحاً، فلجأ إلى قس

كنيسته يستجدي منه ما يحفظ المتبقي من إيمانه، فسمع الجواب الصاعق: يا بني لا تدع أشياء بسيطة تحطم إيمانك، خلاصك بالإيمان، وليس بالمعرفة .. يا بني قصص العهد القديم تحكي عن بني إسرائيل وهم قساة القلوب، اتركها، وتحول إلى العهد الجديد، فسيكون الحال أفضل.

إلتهم يوشع صفحات العهد القديم لينتقل إلى العهد الجديد، حيث ظن أن الحال سيكون مختلفاً، لكن صدمته كانت أكبر، وفاجعته كانت الأقسى، فالأنجيل الأربعة تُنسب إلى (متى ومرقس ولوقا ويوحنا)، ولا يستطيع أحد على وجه الدنيا تقديم معلومة موثقة عن هؤلاء المؤلفين الذين يُزعم أنهم يكتبون وحي الله، وهم لم يدعوا ذلك.

لكن الأمر الإيجابي الذي لحظه يوشع هو أن الأنجيل تقرر - كما التوراة - عقيدة وحدانية الله تعالى وعبودية المسيح له، وتندد بالشرك، وتعتبره أحد أكبر الآثام والذنوب، وهو ما يتعارض تماماً مع المعتقدات التي ألف القسس تردادها في الكنيسة، فأى توافق يرتجى بين عقيدة التثليث وقول المسيح بحسب إنجيل (يوحنا ٣/١٧): «الحياة الأبدية أن يعرفوك: أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته»، فالتثليث الكنسي يدعو إلى عبادة ثلاثة آلهة، بينما المسيح كان يدعو إلى عبادة الله وحده.

ولاحظ يوشع أن المسيح عليه الصلاة والسلام دعا

مراراً - بحسب الأناجيل - إلى الالتزام بشرائع التوراة والعمل بها؛ منها قوله: «لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل، فإنني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض؛ لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس، حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى، وعلم الناس هكذا يدعى: أصغر في ملكوت السماوات» ( متى ١٧/٥ - ١٩ ).

وهذه الوصية تخالف ما جاء في رسائل بولس الإنجيلية التي تلغي الشريعة الإلهية ، لأن المسيح غدا «مبطلاً بجسده ناموس الوصايا» (أفسس ١٥/٢)، وتعتبر الرسائل البولسية الشريعة الموسوية عديمة النفع «فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها، إذ الناموس لم يكمل شيئاً، ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به تقترب إلى الله» ( عبرانيين ١٨/٧ - ١٩ )، وغير قادرة على خلاص المؤمنين «لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة.. ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله» ( غلاطية ١٠/٣ - ١١ ).

أمام كل هذه المفاجآت ترنح إيمان يوشع، ولم يُجد معه نفعاً قول قس الكنيسة: «يوشع أنت تغوص في مياه عميقة .. أنت الآن بدأت تشك في العهد الجديد، ربما

أصابتك مَسٌّ من الشيطان».

تساءل يوشع: إذا كان القس لا يملك جواباً فلم لا أجرب أستاذ اللاهوت؟ وتوجه مع صديقه الواعظ إلى جامعة «بوب جونز» ليحظى هذه المرة بإجابة وافية، لكنها كانت كارثية، فقد أخبره البرفسور المتخصص في تعليم الكتاب المقدس أن هذا الكتاب من تأليف البشر، وأنه تعرض على مرّ العصور إلى التحريف والتبديل بسبب تدخلات النساخ وأخطائهم وخلفياتهم الدينية.

ولم ينس البرفسور في خاتمة اللقاء تقديم بعض المواعظ التي تشبه الشنشنة التي كثيراً ما سمعها من القسس في الكنيسة: يا بني، استمسك بالإيمان، فما يقدر العقل على معالجة مثل هذه الأمور.

كلمات خرقاء بلهاء مجّها عقل يوشع الذي قرر ترك المسيحية وكتابها المليء بالأخطاء، وشرع في البحث عن الدين الحق، من خلال دراسة كتب الأديان المختلفة، وعرضها على عقله، إذ رأى أن الكتب المقدسة فقط هي المعيار الصحيح الذي ارتآه للحكم على الأديان، فدرس يوشع كتب الهندوسية والبوذية والكونفوشوسية والطاوية، وغيرها من الأديان التي أقنعتة جميعاً بطلانها، وأوصلته إلى الإلحاد والغضب من الإله الذي جهد في البحث عنه ولم يساعده، ليبدأ في حياة اللهو والطيش والحفلات الماجنة.

دين واحد لم يقرأ يوشع كتابه، إنه الإسلام الذي لم

يجد أدنى دافع للقراءة عنه .. كان يظن أنه يعرف كل شيء عنه، فقد قرأ إبان دراسته كتاباً بعنوان: «لماذا لا أريد أن أصبح مسلماً؟»، وكما هو ظاهر من عنوانه، فالكتاب من تأليف شخص كاره للإسلام، وهو مليء بالأفكار المغلوطات عن الإسلام والمسلمين؛ إذ يزعم مؤلفه أن الإسلام دين خاص بالعرب، يعبدون صندوقاً أسود في الصحراء، وأنهم يضطهدون المرأة، ويقتلون من خالف دينهم.. إلى غير ذلك من الترهات التي تضحك لها الثكلى؛ مما تمتلئ به كتب الغربيين عن الإسلام.

تعرف يوشع على صديق مسلم دعاه لزيارة المسجد في يوم الجمعة، فزاره متوجساً مرتاباً في كل ما يحدث حوله، فالخطيب يخطب بالعربية، فلعله يحدث هؤلاء المسلمين عن قتله .. فكر بالهرب من المسجد، وأخذ يغدو الأشخاص الذين يحولون بينه وبين الباب، ويرسم خطته للتغلب عليهم، وقبل أن يشرع بالتنفيذ؛ بدأ الخطيب يترجم خطبته إلى الإنجليزية، فيحدث مستمعيه عن الله الواحد عز وجل خالق السماوات والأرض، خطبة أشعرته بأنه كان -طوال سنين - ضحية مؤلف أرعن لم يرع أمانة القلم.

التف المصلون حول يوشع بعد صلاة الجمعة، فكل يطمع في الأجر .. يريد تعريفه بالإسلام، فاکتفى بسؤالهم: هل لديكم كتاب تؤمنون به؟ فأعطوه القرآن، وأرادوا أن يشرحوا له، فأجابهم: أرجوكم دعوا كتابكم يتحدث عن نفسه.

رجع يوشع إلى بيته ، وشرع في تلك الليلة يقرأ القرآن من أوله ، يصف يوشع تلك الليلة، فيقول: «أعطيت قلبي للقرآن في تلك الليلة، في غرفتي، بكيت وبكيت، لأنني كنت أبحث عن الحقيقة كل هذا الوقت»، إنه كتاب يتحدث عن الله عز وجل وعن أنبيائه الكرام (إبراهيم ولوط وموسى وداود وعيسى)، أسماء يعرفها يوشع جيداً ، إنها ذات الأسماء التي أساء إليها العهد القديم، لكن القرآن يضعها في محل القدوة والأسوة، فهنا شيء مختلف عما في التوراة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا يَكْفُرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمْ آقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (الأنعام).

أعجبت يوشع قصة المسيح عليه السلام في القرآن ، وكانت «أجمل قصة سمعتها في حياتي»، ورأى في كلام المسيح في المهد برهان براءة مريم العذراء البتول من اتهام اليهود المشين لها، ذلك البرهان الذي غاب عن أسفار الكتاب المقدس، فلا يجد قارئه ما يبرئ البتول ويفند إفك اليهود عنها.

وخلال ثلاثة أيام أنهى يوشع قراءة القرآن كاملاً، ورأى فيه مضامين الفضيلة وحقائق الهداية، وفي الجمعة التالية في شهر ديسمبر من عام ١٩٩٨م أعلن يوشع إسلامه، وشهد لله وبالوحدانية، ولنبيه الخاتم بالرسالة

والنبوة، وانظم إلى قوافل المؤمنين.  
منذ أسلم يوشع لم يفتر عن التعريف بالإسلام من  
خلال موقعه المعنون باسمه (www.yushaevans.com)،  
ومن خلال جولاته حول العالم، وهو لا يسأم فيها ولا  
يمل من حكاية تفاصيل قصة هدايته، لا بقصد التسلية، بل  
«لأجعل الجميع يدركون بأن هناك ملايين وملايين من  
الناس مثلي، يبحثون عن الحقيقة ولا يجدون طريقاً  
لذلك.. يبحثون عن الحقيقة، وقد سئموا تلك التفاهات  
التي تُلقى عليهم مراراً وتكراراً، سئموا من صندوق  
الشیطان يملي عليهم تلك الأكاذيب، سئموا من كون  
العالم وحياتهم في هذه الحالة المزرية.. نحن المسلمين  
نملك كل الحلول لكل مشكلة من مشاكلهم، لكننا نخفيها  
عنهم في المسجد».

ويضرب يوشع مثلاً بمشكلة الاقتصاد الأمريكي الذي  
يتآكل، وبخاصة في قطاعي المصارف والإسكان، بينما  
تشير الأرقام إلى ثبات وصعود بطيء ومستمر للسوق  
المصرفية الإسلامية وسوق الإسكان الإسلامية، مما دفع  
الاقتصاديين لدراستهما وأخذ العبرة منهما، وأخيراً بدأوا  
يعرفون أن الإسلام فقط هو القادر على حل مشكلاتهم.

ويؤكد يوشع على أهمية إسهام المسلمين في استنقاذ  
ما يمكن إنقاذه من الملايين التائهة الحائرة، ويرى أن  
تقصيرنا في أداء البلاغ والتعريف بالإسلام خيانة لكل  
الباحثين عن الحق، ولن تشفع لنا عند الله الأعذار التي

نعتذر بها لأنفسنا، حين نتذرع تارة بضيق أوقاتنا، وأخرى بافتراضنا أن الناس لن يستفيدوا من قبس النور الذي نحمله .. إلى غير ذلك من التبريرات الباردة التي لن ترفع عنا أمانة البلاغ.

لم يتقاعس يوشع عن السعي في استنقاذ من يقدر على إنقاذه ، فأسس مشروعاً يوزع فيه أسطوانات (DVD)، يُعرّف فيها بتجربته مع الإسلام، ويجب عن الأسئلة التي تدور في أذهان الغربيين عن الإسلام، وهو جهد شخصي، لكنه مؤثر ، إذ يسلم بسببه شخصان في كل شهر. نسأل الله أن يبارك في جهوده، وأن ينفع به كل ظامئ إلى الحق.

\* \* \*

## الدكتور لورنس براون

لورنس براون أمريكي مثقف ولد في عائلة تنتمي لطائفة الكويكرز البروتستنتية، وتعيش في سان فرانسيسكو في محيط ملحد يتنكر للقيم ، ويغرق - رويداً رويداً - في لجج الإباحية والمادية التي أثّرت بالشاب اليافع، فجعلته كغيره ممن يعيش للدنيا؛ وبها يلهو ويجمع ، وعاش حياة الإلحاد التي تعززت عنده إبان خدمته في الجيش الأمريكي برتبة رائد، ثم دراسته لطب جراحة العيون في جامعة كورنل، ثم جامعة جورج واشنطن.

في عام ١٩٩٠ وُلدت هيلن ابنة لورنس الثانية ، وسرعان ما رقدت في غرفة الإنعاش، فزُرقة جسدها تنبئ بخطورة حالتها، وتفاقم معاناتها تسجله همهمة الأطباء التي أخبرت لورنس بالضيق الذي تعانيه في شربانها الأبهـر.

أقدام لورنس لم تعد تقوى على حمله، فهو الطبيب الذي يدرك أبعاد ما يتحدث عنه زملاؤه الأطباء .. شعر بالضياـع والقنوط، فمن ذا الذي يستطيع إنقاذ الصغيرة من الموت المتربص بها؟ .. حملته قدماه نحو غرفة مخصصة للعبادة في ردهة المستشفى، جثا على ركبته لأول مرة في حياته، ينادي الرب الذي يشك في وجوده، لكنه الفرصة الأخيرة لتعيش الطفلة هيلن.

دعا لورنس قائلاً: «يا إلهي، لا أدري إن كنت موجوداً

أم لا؟! لكن إذا كنتَ موجوداً فإنني أريد عونك .. أنقذ ابنتي .. إن أنقذتها وأرشدتني إلى الدين المحبب إليك؛ فإنني أعاهدك على الإيمان به».

عشرون دقيقة قضاها لورنس وهو يدعو الله بكل جوارحه .. لقد سأله بتضرع أن ينجي الصغيرة هيلن قبل أن يمضي إلى غرفتها من جديد؛ ليرى ما لم يكن يخطر له على بال، الأطباء يفتغرون أفواههم دهشة لما يحدث .. هيلين تعود إلى الحياة من جديد .. لقد عادت طفلة طبيعية لا تحتاج إلى جراحة ، بل ولا إلى دواء.

حاول الأطباء تفسير ما أسموه (معجزة طبية)، لكنه كان بالحقيقة (معجزة أو رحمة إلهية) خارجة عن المعهود علمياً، واستمع لورنس إلى تفسيراتهم وهو يتمتم: «ربما هذه التفسيرات تناسبكم، لكنها لا تناسبني، لقد دعوتُ الله، وعلِّي أن أقر بأن الله قد مد لي يد العون».

أيام معدودات وخرجت هيلن من المستشفى، يقول لورانس: «عايشت المعجزة، وأدركت أنني قد قطعت عهداً على نفسي، وأدركت أنني لو نكثت العهد لاستحقت اللوم .. فلقد وعدت خالقي .. وإن أعظم شيء خفته؛ هو أن أموتَ وأنا لم أوف بوعدي».

وشرح الدكتور لورنس في إنفاذ الوعد الذي قطعه على نفسه، وقرر دراسة أديان العالم بحسب تاريخ ظهورها، ولم يستغرق الأمر منه طويلاً بحثاً؛ ليكتشف أن الهندوسية والبوذية والطاوية أديانٌ وثنية لا يمكن أن تكون

الحق الذي يريده الله من البشر.

بدأ لورنس في مكابدة نفسه وحملها على الإيمان باليهودية، لكن الإيمان تبعثر سراعاً من عقل لورنس الذي أنف من تصديق ما تقوله أسفار العهد القديم عن مصارعة يعقوب عليه السلام لله عز وجل، وانتصاره عليه، واغتصابه البركة منه؛ قبل أن يطلقه يعقوب ليصعد إلى السماء من جديد (انظر التكوين ٣٢/٢٤-٣٠)، هل يعقل أن إنساناً - لا يعدو أن يكون فقاعة في مخلوقات الله - يهزم الله خالق الكون بمجراته ونجومه وكواكبه؟!!

وكيف لعقل الدكتور لورنس أن يصدق سفر أخبار الأيام التوراتي، الذي يزعم أن الملك أخزيا بن يهورام كان أكبر من أبيه بستين، فالسفر التوراتي يقول: «كان [يهورام] ابن اثنتين وثلاثين سنة حين ملك، وملك ثماني سنين في أورشليم، وذهب غير مأسوف عليه، ودفنوه في مدينة داود» (الأيام ٢) (٢٠/٢١)، فقد مات وعمره أربعون سنة.

ثم يكمل النص الحكاية « وملك سكان أورشليم أخزيا ابنه الأصغر عوضاً عنه» فكم كان عمر الابن الأصغر ليهورام؟ « كان أخزيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك» (الأيام ٢) (٢٢-١)، إن عاقلاً في الدنيا - فضلاً عن طبيب متخصص في طب العيون - لن يقبل مثل هذه الباطلة التي تجعل الابن الأصغر أكبر من أبيه بستين؟!.

يئس لورنس من تصديق قلبه باليهودية، فحاول إقناعه بالنصرانية، فقرأ الإنجيل، وجال بين فرق النصرانية أربع

سنوات، كلما التزم كنيسة من الكنائس أرهقته الأسئلة حول معتقداتها وممارساتها، فبحث عما يشفي غليله منها عند القسس، فإذا هزوا أكتافهم وقلّبوا شفاههم استبان له عجزهم؛ فغادرهم إلى كنيسة أخرى ناشداً راحة نفسه وطمأنينة قلبه.

أربع سنوات تنقل فيها لورنس بين مختلف الكنائس المسيحية (السبتيين.. المورمون.. الكويكرز.. المعمدانين .. الكاثوليك .. الأرثوذكس...) لقد كان صادقاً في عهده مع الله أن يتبع دينه، لكنه لم يرَ عند واحد من هؤلاء دلائل الحق، فقلّب لورنس وعقله يضحج من الإيمان بثلاثة آلهة [الآب والابن والروح القدس]، بينما المسيح - الذي لم يذكر (التثليث الموحد) على لسانه مرة واحدة - يدعو إلى عبادة إله واحد.

إن التثليث صناعة المجامع بعد المسيح بثلاثة قرون، وأرادت أن تكسبه أصالة عند متبعيها، فأقحمت في العهد الجديد نصاً يدل عليه، وهو قول يوحنا «فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد» (يوحنا ١) (٧/٥)، وهو نص كان لورنس يسمعه من القسس كلما سألهم عن دليل التثليث.

لكن ما يطول له عجب براون ودهشه أن القسس يعلمون أن هذا النص غير أصيل في الكتاب المقدس، وأن ناسخاً أقحمه في مخطوطات الكتاب المقدس اليونانية

المتأخرة، والتي كتبت في القرن الميلادي الخامس عشر، فكان يلح في سؤاله: لماذا تبشرون بهذا النص وتستدلون به مع علمكم أنه مزيف ودخيل على الكتاب؟ لِمَ تزورون الحقيقة؟ ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (٧٠) ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَلْسُونَهُ بِالْبَطْلِ وَالْحَقُّ وَالْحَقُّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧٠-٧١).

وخلص الدكتور لورنس من قراءاته في النصرانية وكتبها إلى نتيجة مهمة، وهي الإيمان بتعاليم المسيح الواردة في الأناجيل، والكفر بما سواها من إضافات (القديس) بولس، فالمسيح - في الإنجيل - لا يدعي الألوهية ولا بنوة الله، بل يصرح بإنسانيته، وأنه عبد الله: «أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله» (يوحنا ٤٠/٨)، كما يصرح بوحدانية الله واستحقاقه وحده للعبادة دون سواه: «للمرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد» (متى ١٠/٤).

أيقن لورنس أن النصراني اليوم ليسوا من أتباع المسيح، بل هم «بولسيون»؛ أي من أتباع بولس، الذي اخترع قصة ألوهية المسيح ونسج أسطورة فدائه للبشرية على أعواد الصليب، وهو الذي نادى بإبطال كل الشرائع التوراتية التي أوصى المسيح - عليه السلام - بحفظها والعمل بها، فكان بولس المؤسس الحقيقي للنصرانية. وفي إثباته نقل لورنس عن الكاتب الشهير مايكل

هارت قوله في كتابه «الخالدون المائة»: «المسيحية لم يؤسسها شخص واحد، وإنما أقامها اثنان: المسيح عليه السلام والقديس بولس .. فالمسيح أرسى المبادئ الأخلاقية للمسيحية، وكذلك نظراتها الروحية وكل ما يتعلق بالسلوك الإنساني، وأما مبادئ اللاهوت [أي العقائد] فهي من صنع القديس بولس».

استوقف الدكتور لورنس - طويلاً - نص إنجيلي مهم، ينقل حواراً بين يحيى عليه السلام واليهود، فقد أرسلوا إليه كهنة ليسألوه ثلاثة أسئلة: «من أنت؟ فاعترف ولم ينكر وأقر: إني لست أنا المسيح.

فسألوه إذاً ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا.

[فسألوه سؤالاً ثالثاً مهماً]: النبي أنت؟ فأجاب: لا»

(يوحنا ١٩/١-٢١)، فالنص يتحدث عن انتظار اليهود لثلاثة أشخاص (المسيح وإيليا والنبي المنتظر).

أما الشخص الأول الذي تحدث عنه يوحنا «إني لست

أنا المسيح»، فكان المسيح عيسى عليه السلام.

وأما الثاني «إيليا أنت؟» فهو يوحنا المعمدان، رغم أن

نص يوحنا صريح في إنكار المعمدان أن يكون هو إيليا

القادم: «لست أنا»، فإن الإنجيلي متى نقل عن المسيح

قولاً ينقضه: «ولكني أقول لكم: إن إيليا قد جاء ولم

يعرفوه، بل عملوا به كل ما أرادوا... حيثئذ فهم التلاميذ

أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان» (متى ١٧/١٢-١٣)،

فإيليا القادم هو المعمدان.

والسؤال المهم: من هو الشخص الثالث المنتظر الذي يسميه اليهود والمعمدان «النبي»؟.

في جواب هذا السؤال؛ بدأ الدكتور لورنس يقرأ عن الإسلام، فقرأ ترجمة معاني القرآن الكريم، وأتبعه بكتاب المستشرق مارتن لينجس عن سيرة النبي ﷺ، فوجد لورنس ما كان يبحث عنه، فالقرآن الكريم أجاب بمنطقية وحكمة عن كل الأسئلة التي كانت تتلجلج في صدر الطبيب الشاب، يقول: «أسئلتني وجدت إجابتها جميعاً في الإسلام، سعدت فيه، ودخلت الطمأنينة قلبي، وأدركت أنه الدين الذي تتجمع فيه كل قطع الأحجية»، فأعلن الدكتور لورنس إسلامه، ليبدأ حياة جديدة تمتزج فيها السعادة بالألم، والبلاء بالرضا، فقد أقبل من عمله، وفارقت زوجته مصطحبة أبناءه الذين حكمت المحكمة بحرمانه من رؤيتهم إلا تحت حراسة الشرطة، كما ألزمته بالخروج من بيته والتخلي عنه لصالح طليقته وأبنائه.

لقد كان البلاء كبيراً على لورانس، لكن المؤمن يستعذب في سبيل دينه العذاب: «خلال تلك الفترة عندما كنت أواجه هذه المحن والابتلاءات، أتذكر أن تلك الأيام من أفضل أيام حياتي، الله ملاً قلبي بالطمأنينة والرضا، وأراني حقارة الدنيا ... حينما تُسلم أمرك لله يمنحك رضئاً؛ ترى به الدنيا كلها لا قيمة لها».

لقد تنبه الدكتور لورنس إلى حقيقة مهمة، وهي أن الإسلام أقرب إلى دين المسيح عليه السلام من دين

الكنيسة وتعاليمها، ويضرب لذلك أمثلة ، منها أن المسيح - حسب جميع الصور التي تعرضها الكنيسة له - كان يشبه المسلمين في سمتهم وملابسهم، بل وعباداتهم، فبحسب هذه الصور كان المسيح عليه السلام يلبس الثوب لا البنطال، وكان صاحب لحية، ويقابل تلاميذه بالسلام؛ تحية المسلمين، فيقول: «سلام لكم» (انظر لوقا ٢٤/٣٦، يوحنا ٢٠/١٩، ٢١، ٢٦)، وكذلك أمه عليها السلام ، فبحسب جميع الصور التي تصورها الكنيسة؛ كانت امرأة محجبة، تشبه في لباسها المرأة المسلمة.

وتمتد صور التشابه بين المسيح والمسلمين إلى أمور أعمق وأهم، فصلاة المسيح - حسب الأناجيل - تشمل على سجود يشبه سجود المسلمين في صلواتهم (انظر مرقس ١٤/٣٥)؛ بينما صلاة الكنيسة لا سجود فيها، والمسيح عليه السلام اختتن، وشعب الكنيسة بعده لا يختنون، والمسيح اجتنب الخنزير والربا، بينما الكنيسة تحل هذه الأمور وغيرها مما حرمه المسيح عليه السلام.

غادر الدكتور لورنس أمريكا، ليعمل في السعودية قريباً من مسجد النبي ﷺ في المدينة المنورة، لبدأ حياة جديدة وثَّابة، يتطلع فيها إلى نشر دينه وبلاغه إلى العالمين من خلال مقالاته ومقاطعته المصورة الموثقة في موقعه: «الحقيقة الواضحة» ([www.leveltruth.com](http://www.leveltruth.com))، وعن طريق مجموعة من الكتب القيمة التي نشرها بمختلف التراجم العالمية، وأهمها كتابه: «من وجدوا الله» (God'ed)،

وكتابه «من فقدوا الله» (MisGod'ed)، وكتابه «شهود  
الحق» (Bearing True Witness).  
نسأل الله تعالى لنا وله الثبات على الإيمان، وأن يؤتية  
أجره مرتين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

\* \* \*

## محمّد أزواو

ولد محمّد أزواو لأبوين مسلمين جزائريين، لكنّه -  
ككثيرين من أبناء المسلمين - لا يعرف من الإسلام إلا  
اسمه، والتردد على المسجد في المناسبات السنوية لأداء  
صلاة العيد، وأما معرفته بدينه فلا تُشبع شيئاً من جوعه  
التدين الفطرية في قلبه، ولا تملأ فراغ الروح في ضميره.

هذا الفراغ ملأه الشيطان بأحاييله، حيث أهدى صديق  
نصراني لمحمّد نسخة من الإنجيل باللغة الفرنسية، فأعجبه  
أسلوبها الأدبي، وشدته بعض عباراتها المنمقة التي عمّق  
تأثره بها كلمات صديقه الماكرة التي استغلت الخواء  
الروحي الذي يعيشه محمّد، فأفاض عليه - بخشوع  
شيطاني - حديثاً مسهباً عن حاجة البشر الخُطاة إلى فادٍ  
يحبهم، ويبذل حياته ليحميهم من عاقبة خطاياهم، وقد  
كان المسيح هو الفادي الذي أنقذ حياة هذا الصديق  
وحولها إلى حياة ملؤها الحب للجميع وتهذيب العواطف  
والنوازع .. كلام معسول أصاب مقتلاً في قلب محمّد  
الفارغ، الذي صدق فيه قول الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

فصادف قلباً خالياً فتمكنا<sup>(١)</sup>

تنصّر محمّد، بل شرع بالدعوة إلى دينه الجديد في

---

(١) انظر مقابلة إذاعة القرآن الكريم في الجزائر مع الأخ محمّد، وهي منشورة  
على شبكة الإنترنت.

أوساط أصدقائه في حياة اللهو والضياع، فقد جمعهم جميعاً جهلهم بالإسلام وأحكامه وعقائده، فاستمال محند الكثير منهم إلى النصرانية، وقد وصل به الحماس للتنصير إلى كتابة العبارات التبشيرية على ورق الشجر، وتوزيعها على أبواب البيوت والسيارات.

قرأ محند الإنجيل، وأفاق من سكرة أدب النص الفرنسي الجميل على حقائق صدّعت رأسه، فقد بدأ القلق يساوره من تعارض فكرة فداء المسيح الكفاري لجميع الخطاة مع قول المسيح في إنجيل مرقس: «ولكن من جدّف على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد، بل هو مستوجب دينونة أبدية» (مرقس ٣/٢٩)، فالمجدّف أي الطاعن في الروح القدس محروم - بحسب النص - من المغفرة، فما بال القسس في الكنيسة يقولون بأن المسيح مات كفارة لكل الخطايا؟<sup>(١)</sup>.

كما لاحظ أزواو وجود بعض النصوص الإنجيلية التي تُكذّب دعوى ألوهية المسيح، وتحيلها إلى أوهام؛ إذ كيف يستقيم كون المسيح إلهاً وهو يخبرنا أنه لا يعلم موعد الساعة: «أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن، إلا الأب» (مرقس ١٣/٣٢)، أوليس من حق محند أن يستنكر دعوى ألوهية ذلك الذي كان يساوي نفسه بالخلق من حيث

---

(١) كنت نصرانياً، محند أزواو، ص (١٤).

عبوديتهم جميعاً لله تعالى، فيقول: «إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» (يوحنا ١٧/٢٠)، وهو كذلك يعترف لله بالعظمة، ويكذب دعوى تساويه به التي تندن بها الكنيسة، فيقول: «أبي أعظم مني» (يوحنا ١٤/٢٨).

وتساءل محند: كيف أقبل ألوهية رجل مات، وكان - بحسب الإنجيل - يصرخ على الصليب «إلهي إلهي لماذا تركتني؟!»، وكيف تركه الإله، وهو الذي يقول: «والذي أرسلني هو معي، ولم يتركني الأب وحدي، لأنني في كل حين أفعل ما يرضيه» (يوحنا ٩/٨)<sup>(١)</sup>!

في بادئ الأمر تجاوز محند هذه المشكلات؛ بإقناع نفسه بأن الشيطان يريد اختطافه من الإيمان، وأن ما يواجهه من مشاكل سببه قلة العلم وحادثة العهد بالدين، لكن الأسئلة أفضت مضاجعه، واستولد السؤال المزيد من الأسئلة، فكان يقول: «هل أنا على الملة الحقّة؟ .. توالى الأيام، وإذ بي أجدني جدُّ منعزل، وأجدني - في قرارة نفسي - أعيش في وحشة شديدة، الاضطراب والغمّ كانا يلازمانني، كنت أتعذب كثيراً وفي صمت .. لقد كانت من أصعب أيام حياتي، وبكلمة واحدة: إنه السقوط. لم أستطع التحمل أكثر، نفذ صبري، قلت في نفسي: إذن حان الوقت لأن أواجه الحقيقة، وأقبلها كيفما كانت»<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق، ص (٢١).

(٢) المصدر السابق، ص (١٧).

شمرَّ محند عن ساعد الجد والبحث والتنقيب، وبدأ يقرأ في كتب الشيخ أحمد ديدات والدكتور موريس بوكاي وعلماء النقد الكتابي، فأنكشفت له الكثير من التناقضات الكتابية التي تثبت أن الكتاب المقدس عند النصارى ليس وحي الله تعالى، إذ كيف لعاقل كمحمد أن يصدق أن سفري الأخبار وصموئيل من كلام الله، وقد اختلفا في تعداد غنائم داود عليه السلام في حربه مع ملك صوبة؟ إذ زعم سفر صموئيل أن داود أخذ من ملك صوبة «ألفاً وسبعمائة فارس» (صموئيل ٢) (٣/٨)، بينما زعم سفر أخبار الأيام الأول أن داود أخذ «ألف مركبة وسبعة آلاف فارس» (الأيام ١) (٣/١٨).

فأي الرقمين هو الصحيح ١٧٠٠ فارس أم ٧٠٠٠؟.. تناقض لم ولن يجد له محند عند أحد في الدنيا جواباً. وكيف لعاقل أن يوفق بين تعارض اثنين من الأناجيل في نقل وصية المسيح لتلاميذه، فقد زعم إنجيل مرقس أنه «أوصاهم أن لا يحملوا شيئاً للطريق غير عصا فقط» (مرقس ٦/٨)، بينما ينقل إنجيل لوقا نقيضه، فيقول أنه «أوصاهم «لا تحملوا شيئاً للطريق، لا عصا ولا مزوداً» (لوقا ٩/٣)، فقد تناقض الإنجيلان في وصية المسيح بخصوص العصا، ولا جواب عند كل الذين سألهم محند عن حل هذه المعضلة.

وكذلك توقف محند ملياً مع تناقض الأناجيل في زمن وقوع معجزة شفاء الأعمى، فإنجيل متى يقول بأن المسيح

صنع هذه المعجزة «فيما هم خارجون من أريحا» (متى ٢٠/٢٩)، وأما إنجيل لوقا فيذكر أن المسيح صنع هذه المعجزة «لما اقترب من أريحا» (لوقا ١٨/٣٥) أي قبل دخوله إليها، والسؤال المؤرق: هل شفى المسيح الأعمى قبل دخول أريحا أم بعد خروجه منها؟.

هذه التناقضات الكتابية وغيرها - مما ذكره في كتابه «كنت نصرانياً» - أوصلته إلى قرار مهم: «ينبغي أن أفعل شيئاً ما، لم يكن لي اختيار، إما أنني على طريق الحق؛ أو على طريق الضلال .. كفاني كذباً على نفسي وعلى الآخرين، لا يمكنكم تصور العذاب الشديد الذي عانيته بعد اكتشافي لهذه التناقضات في الكتاب المقدس، كان جدُّ صعباً عليّ أن أسلم بذلك ، إحباطي كان كبيراً، عقيدتي [النصرانية] أصبحت موضع نظر»<sup>(١)</sup>.

أما قاصمة الظهر التي خلصت محند من أحابيل الغواية؛ فكانت اللبس الذي وقع فيه الكتاب المقدس، حين نسب الأمر بإحصاء بني إسرائيل إلى الشيطان مرة، وإلى الله مرة أخرى، ففي سفر أخبار الأيام: «ووقف الشيطان ضد إسرائيل، وأغوى داودَ ليحصي إسرائيل» (الأيام ١) (١/٢١)، فالأمر لداود بإحصاء بني إسرائيل صدر من الشيطان، وهذا يناقض قول سفر صموئيل الثاني: «حمي غضبُ الرب على إسرائيل، فأهاج عليهم داودَ

---

(١) المصدر السابق، ص (٢١).

قائلاً: امض وأحصِ إسرائيل ويهوذا» (صموئيل (٢) ١/٢٤)، فالرب - حسب هذا السفر - هو من أمر داود بإحصاء بني إسرائيل.

صرخ محند من أعماقه رافضاً هذا الخلط بين الرب العظيم والشيطان الرجيم «كنت أطرح سؤالاً على نفسي مثل المجنون : "من هو الرب؟ ومن هو الشيطان؟" فكان ثمّة التباس [في النص التوراتي بينهما]، على كل حال كنتُ على يقين بأنّ الكتاب المقدّس قد حُرّف، وأنّ الحقيقة موجودة في موضع آخر»<sup>(١)</sup>.

أما عقيدة التثليث فرأى محند أنها أكبر بهتان عرفته البشرية ، لأنه اقتنع أنّ لا أحد من النصارى يملك اليقين على هذه العقيدة الأساس ، والكل يشك فيها، ولا يستطيع تصورها في عقله ، ولا قبولها في ضميره<sup>(٢)</sup>.

لم يجرؤ محند في البداية على البوح بأسئلته لأحد من أصدقائه أو معلميه في الكنيسة، ثم استجمع قواه واتصل بأحدهم، وأخبره بما يجول في قلبه من شكوك تكاد تخرجه من النصرانية إلى غير رجعة، فلم يجد جواباً إلا ترداد الكلمات الجوفاء التي تنصحه بالتوبة والعودة إلى وصايا الرب يسوع! «أحسست أنّي غرقت كما تغرق السفينة في البحر، وانهرت انهياراً شاقولياً [من أعلى إلى أسفل]؛ كما انهارت عمارتي مركز التجارة العالمي بعد

(١) المصدر السابق، ص (٢٢).

(٢) انظر المصدر السابق، ص (٣٨).

اعتداءات ١١ من سبتمبر»<sup>(١)</sup>.

عاد محند إلى القرآن الكريم، فقرأه من أوله إلى آخره، فتلاّأت أمامه أنوار الهداية التي كان الران قد طمسها، وعاد إليه الاطمئنان القلبي .. اطمئنان حقيقي هذه المرة كشف له عن زيف الخشوع والروحانيات التي تدعيها الكنيسة، ودفعته للتساؤل: «لو كانت النصرانية تضمن الطمأنينة وتحققه لأتباعها؛ لما وجدنا أنّ النسبة الكبرى للضياع في العالم توجد في المناطق التي يدين أهلها بالنصرانية، رغم ما يتمتع به سكانها من رفاه مادّي، وبحبوحة عيش»<sup>(٢)</sup>.

في أحد الأيام تحدث محند مع أحد أصدقائه النصارى حول ما يقرأه في القرآن الكريم من مسائل الإعجاز العلمي والتشريعي والروحي: «عبّرتُ له عن انبهارى وتفاجئي الكبيرين بهذا الكتاب ، وطلبت منه - بكلّ سداجة - أن يخبرني: من أين جاء القرآن؟ فأجابني بأنّ القرآن كلمة الشيطان».

خابوا وخسروا، فالقرآن كذّبهم في فريتهم: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾<sup>(٢٥)</sup> فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ<sup>(٢٦)</sup> إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ<sup>(٢٧)</sup> لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿ (التكوير: ٢٥ - ٢٨)، يقول محند: «بقراءتي هذه الآيات اهتزّت فرائصي من منبت شعري إلى أحمص

(١) المصدر السابق، ص (٢٢).

(٢) المصدر السابق، ص (٣).

قدمي» ، وحق له .. كيف تلوك ألسنة هؤلاء هذا الكلام السمج، أما قرؤوا قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (النحل: ٩٨)؟ أفيوحى الشيطان القرآن ثم يأمر بالاستعاذة منه عند بدء كل قراءة؟ أيوحى الشيطان كتاباً يملأه بلعنه والتحذير من خطواته وأحاييله؟! يقول محند: «وأنا أفكر في كل هذا ، نظرت إلى السماء، وأنا أبكي وأردد من أعماق قلبي دعاء يونس (عليه السلام) الذي أحبه كثيراً: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٧) ، استلقيت على السرير، ورفعت يدي نحو السماء ، وبدأت أدعو الله أن ينقذني ممّا أنا فيه .. دعوت الله أن يغفر لي جميع ذنوبي، وأن يقبل توبتي .. أوكد لكم بأنني لم أدرك عظمة الله مثلما أحسست بها تلك الليلة، إلى درجة أنني لم أتوقف عن البكاء، أحسست وكأنّ السماء مفتوحة لي، وأن كل كلمة أنطق بها كانت عند الله مسموعة .. ألححت عليه ، وطلبت شيئاً واحداً فقط: الهداية إلى صراطه المستقيم»<sup>(١)</sup>.

كانت ليلة تاريخية في حياة محند، فقد نطق في بكورها الشهادتين بعد ثلاث سنين من الضياع «كنت أسلك السبيل الخطأ، ضللت الطريق، ورجائي ذهب سدى، أنا الذي ظننت أنني وصلت قمة المجد، أدركت أنني كنت في الهاوية، أنا الذي ظننت أنني أمتلك الحقيقة، وإذا

(١) المصدر السابق، ص (٣٠).

هي بهتان مبين .. رسالة محرّفة أصلاً من طرف عقول وأيد مفسدة، هدفها الوحيد خداع الناس وصرفهم عن الحقيقة ليس إلا»<sup>(١)</sup>.

بدأ محند باكتشاف الإسلام من جديد والقراءة عنه، وسجل ملاحظة مهمة، وهي: «كلما تعمّقت في معرفتي بالإسلام؛ كلما ازددت يقيناً ووضوحاً، عكس النصرانية، إذ كلما تعمّقت في معرفتها كلما راودني الشكّ، واكتفني الغموض»<sup>(٢)</sup>، لتبدأ بعدها حياة جديدة للداعية محند أزواو الذي يطوف الجزائر مجيباً عن شبهات النصارى، وداعياً لهم إلى دينه القويم، وقد أسلم بسببه ناس كثير، كما كتب خلاصة تجربته في كتابه «كنت نصرانياً».

كما كتب : "التوحيد: الوصية الكبرى"، "من ينتظر المسيح الحق"، "محبة الله بين الاسلام والنصرانية"، "الخشوع الرباني والتزيين الشيطاني"، "الفرقان بين قبضة الطوائف والتدين الحق".

كتب الله له عظيم الأجر.  
\* \* \*

---

(١) المصدر السابق، ص (٢٢).

(٢) المصدر السابق، ص (٣١).

## وأخيراً : لماذا أنا مسلم؟

كثيراً ما سألتُ نفسي: لماذا أنا مسلم؟  
هل أنا مسلم لأنني ولدتُ لأبوين مسلمين فحسب؟ ألا  
يمكن أن تكون الحقيقة قد خفيت عليّ، وأنها كامنة في  
أديان آخرين وُلِد أتباعها على غير الإسلام؟  
تجلجل السؤال في صدري سنوات طويلة، وكنت في  
كل يوم أقف على شواهد من ممن لله عليّ في أنني فتحت  
عيني على الإسلام، وأني هُديت إليه منذ أن تحركت  
الروح في جوانحي وأنا جنين في بطن أمي ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ  
الَّذِي هَدَنَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَنَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَ رَبِّنَا بِالْحَقِّ  
وَنُودُوا أَنْ تَلَکُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ٤٣).

لا ريب أن كثيرين ممن ولدوا على غير الإسلام  
يظنون أن الحقيقة مكتنزة في إيمانهم وعقائدهم، لكنني  
جازم بأنه لو قدر لهؤلاء التعرف على حقائق الإسلام أو  
إجراء مراجعة جادة لعقائدهم وشرائعهم، لوصلوا إلى ما  
وصلتُ إليه، لكنهم بقوا أسارى الإلف المريح، فأثروه  
على النظر والتأمل ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا  
أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا ءِأُولُو كَات ءِآبَاءُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا  
يَهْتَدُونَ ﴿١٧﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا  
دُعَاءَ وَنِدَاءَ ءِصُمُّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فَهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

لقد نعى القرآن الكريم على الكافرين إغلاقهم

لعقولهم؛ واكتفاءهم بترداد ما دان به الآباء والأجداد من معتقدات بالية، فحالهم كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولُو كَانٍ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (المائدة: ١٠٤).

والجهل وتعطيل العقل صفة لازمة للكافرين: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَعَبُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٧١)، هم لا يعقلون رغم توافر الأدلة الداعية إلى الإيمان، لكن هيهات لها أن تخلصهم من الجهل الضارب بأطنابه في عقولهم: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُونَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيَوْمِنَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِن أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ (الأنعام: ١١١).

القرآن الكريم يؤكد دوماً على دور العقل في الوصول إلى الحقيقة، فما زال يطالبنا بإعمال الفكر والعقل: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٥، ومواضع أخرى كثيرة)، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٦٥، ومواضع أخرى)، ﴿إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الشعراء: ٢٨، ومواضع أخرى)، فالعقل هبة الله الذي ميز به بين الإنسان المكلف عن الحيوان الأعجم، ومن قصر في استخدامه كان أخط من العجماوات التي لم تكلف لفقدانها آلة التكليف ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٢).

وقد وجدت أن الأديان بجملتها تخشى من سلطان العلم، وتتقاصر أمام سطوة العقل، فترهب جانبه، وتذوي أمامه، ولربما ردد بعض مقدميها كلاماً سخيفاً وهدياناً ظاهراً: «العقل والإيمان لا يجتمعان»، فزعموا بينهما المنافرة، ثم خيروا الناس بين نزعتين فطريتين (العلم والإيمان)؛ والحق أنهما صنوان؛ لا نقيضان، وأن الدين الصحيح لا يرهب العلم، ولا يخشى العقل الذي هو واحد من أهم أدواته ووسائل تحصيله.

ليس في الإسلام ما قاله الأولون: «أغلق عقلك واتبعني»، فآيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ ثرة في الأمر بإعمال العقل وإيقاظ الوعي، والتحرر من ربة الخرافات والخزعبلات، بل جعلت العقل أصلاً في إثبات أصول الدين وأهم مبانيه، فإذا ما ثبتت وصح اليقين بها وقام الدليل والبرهان عليها، فإن المسلم يسلم في الأمور الفرعية والتفاصيل والجزئيات الثانوية.

والنبي ﷺ استخدم المحاجة العقلية في إثبات أصول الدين، فقد لقي ﷺ حُصيناً الخزاعي، فقال له: «يا حُصين كم تعبد اليوم إلهاً؟ فقال: سبعة، ستة في الأرض، وواحداً في السماء، فقال ﷺ: فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء»<sup>(١)</sup> فلسان الحال والمقال يدعوه: أيحسن بك يا حُصين أن تتكل على الله في أمورك التي تحبها أو

---

(١) أخرجه الترمذي ح (٣٤٨٣).

تحذرها، ثم إذا جاء وقت العبادة عبدت معه غيره مما لا يضر ولا ينفع؟ ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (الحج: ١٢-١٣).

وإذا كانت ألوهية الله ووحدانيته وتفردة أهم أركان الإيمان، فإن الدلالة عليها ناصعة بدليل الشرع من قرآن وسنة؛ ولكن يلزمنا التنبه إلى أن القرآن قد أثبتها بدليل عقلي تتصاغر أمامه الفهوم ولو لم تؤمن بوحى القرآن، قال الله تعالى: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (المؤمنون: ٩١)، فالإلهية تستلزم أن يكون الإله كاملاً في مشيئته وقدرته وتصرفه، والتعدد يقتضي وجود عدة إرادات وقدرات مطلقة؛ فلو شرطنا توحيد هذه الإرادات واجتماعها في مشيئة وقدرة واحدة، لكان عبثاً تعددها؛ إذ واحد من هذه الآلهة يقوم بمقام الجميع.

أما إذا اختلفت هذه الإرادات وتعددت تلك المشيئات - كما ينبغي أن يكون - فلا مناص حينئذ من أن تتقاسم الآلهة المدعاة مناطق النفوذ والسيطرة، فلا يحكم واحد منها في مراع الآخر، لأنه ليس رباً فيه، أو أن تصطرع الآلهة وتتقاتل بينها، كما في دين الهندوس الذين يقولون بتعدد الآلهة، وتغص كتبهم المقدسة بقصص حروبها مع بعضها، وأما اليونان فحللوا مشاكل آلهتهم

الكثيرة بأن جعلوا لكل منها اختصاصاً، فهذا إله للنجوم، وذاك للرياح، وآخر للحب، ورابع للبغض، صنعوا هذا حذراً من تصارع الآلهة على معبوداتها؛ إذ لا يستقيم - مع تعدد الآلهة وتنافسها - نشوء حضارة أو تأسيس مدنيّة: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُبَشِّرُونَ﴾ (٦١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿ (الأنبياء: ٢١-٢٢).

وكذلك فإن الإسلام دعا إلى إعمال العقل في التحقق من ثمانية مسائل الإيمان، وهي نبوة النبي ﷺ، فقد جحد الكافرون نبوته، وقالوا: ساحر، شاعر، كاهن، مجنون، فدعاهم الله لإعمال عقولهم في التحقق مما يدعون ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ شِئْءٍ وَأَنْ تَكُونَ لَكُم مَّا يَصَاحِبُكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (٤٦) قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿ (سبأ: ٤٦-٤٧).

قال القرطبي: «إنما قال: ﴿مِثْلَىٰ شِئْءٍ وَأَنْ تَكُونَ لَكُمْ مَّا يَصَاحِبُكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ لأن الذهن حجة الله على العباد، وهو العقل، فأوفرهم عقلاً أوفرهم حظاً من الله، فإذا كانوا فرادى كانت فكرة واحدة، وإذا كانوا مثلى تقابل الذهنان، فترأى من العلم لهما ما أضعف على الانفراد»<sup>(١)</sup>.

ويزيده الزمخشري شرحاً، فيقول: «أي مثل هذه

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣١١/١٤).

الدعوى لا يتصدى لها إلا رجلان: إما مجنون لا يبالي بافتضاحه إذا طولب بالبرهان ، وإما عاقل راجح العقل لا يدعي مثله إلا بعد صحته بالحجة، وإلا فما يجدي العاقل دعوى شيء لا بينة عليه؟ وقد علمتم أن محمداً ﷺ ما به من حجة، بل علمتموه أرجح قريش عقلاً، وأرزنهم حِلماً، وأثقبهم ذهناً، وأصلهم رأياً، وأصدقهم قولاً، وأجمعهم لما يُحمدُ عليه الرجال، فكان مظنةً لأن تظنوا به الخير، وترجّحوا فيه جانب الصدق على الكذب»<sup>(١)</sup> ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرِكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يونس: ١٦).

وقد كانت مسألة البعث بعد موت من أصعب المسائل التي واجهت الأنبياء عليهم السلام، فالكافرون متبلدو الإحساس كانوا يرددون: ﴿ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾<sup>(٢)</sup> أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿ (ق: ٢-٣)، وهي دعوى سبقهم إلى التعني بنشازها سفهاء الأمم السابقة، والحجة التي ساقها هؤلاء وأولئك واحدة: ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿<sup>(٤)</sup> لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون: ٨١-٨٣).

ومسألة البعث بعد الموت قضية غيبية تستغلق على أسارى الإيمان بالمحسوس، فهم يرون في تعاقب الأيام

(١) الكشف (٣/٥٩٠).

على جثمان الميت ما يبليه، فالفساد في كل يوم يسري إليه، ويبعده أكثر عن قابلية الحياة ، وهكذا فالكفار جاحدون لهذا البعث بدليل الحس البليد.

وأما القرآن فعمد إلى إيقاظ عقولهم، واستنقذهم بدليله من عجزهم وقبوعهم عند مشهد تناثر عظام الموتى وتآكل لحومهم، فذكرهم بأن الذي خلق السماوات والأرض وما فيهما من أجرام ووهاد لن يعجزه خلق الإنسان؛ وهو المخلوق الضئيل الذي يعيش في كوكب صغير في أطراف الكون الفسيح ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر: ٥٨).

ومن خلق الإنسانية من العدم أول مرة لن يعجز عن إعادة خلقها من أشلاء باليات: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ. قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿يس: ٧٧-٨١﴾.

وحين تناقش الآيات القرآنية مسألة البعث؛ فإنها تُذكر قارئها دوماً بصفات الله التي ينساها منكرو البعث، ولو تذكروا لعلموا عظمة الرب وكمال قدرته التي يهون معها إحياء الرميم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ

يَعَى بِخَلْقِهِنَّ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ، عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿  
 (الأحقاف: ٣٣)، ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْثِقُوا لِي وَلِيِّي لِنُبْذَنَّهُمْ لِلنَّبِيِّينَ  
 بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (التغابن: ٧)، ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجْمَعَ  
 عِظَامُهُ، ﴿٢﴾ بَلَى قَدِيرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ، ﴾ (القيامة: ٣-٤).

ولئن حدثنا العلم الحديث عن الخلية الحيّة الواحدة التي تحمل كافة شفرات صاحبها وجيناته وخصائصه العامة والدقيقة، والتي مكنتهم من استنساخ المخلوق من خلية واحدة؛ لما أودعها الله من معلومات الكائن؛ فإن القرآن والسنة أشارا في مسألة البعث إلى كمال علم الله، وأن لديه كتاباً حفيظاً يحفظ أعمال الخلق وآجالهم، وكذلك خصائصهم وما يكون فيه معادهم حين يعيد خلقهم: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيزٌ ﴾ (ق: ٤)، وفي الحديث ما يفسر بعضاً من هذا الكتاب الحفيظ، قال ﷺ: «يُنزَلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى؛ إِلَّا عِظْماً وَاحِداً، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يَرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

وقد ضرب الله ورسوله ﷺ للناس مثلاً لإعادة الحياة للميت مما يشهدونه في بيئتهم المحيطة، فحين ينزل المطر تخضر الأرض الجرداء القاحلة، وتنبت فيها الحياة من بعد طول موات، كذلك يحيي الله الموتى.

سأل أبو رزِين العَقِيلِيُّ النَّبِيَّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ

(١) أخرجه البخاري ح (٤٩٣٥)، ومسلم ح (٢٩٥٥).

يحيي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ فأجابه النبي ﷺ  
بذكر مثال يشاهده دوماً حوله: «أما مررت بوادي أهليك  
مَحَلًّا؟ .. أما مررتَ به يهتز خضراً؟ .. ثم مررتَ به مَحَلًّا؟  
.. فكذلك يحيي الله الموتى، وذلك آيته في خلقه»<sup>(١)</sup>، وهو  
مصدق قول الله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَلِذَا أَنْزَلْنَا  
عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۗ ذَلِكَ يَنْبَأُ  
اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ  
لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ۗ ﴾ (الحج: ٥-٧).

وهكذا ، فليس في الإسلام ما عُرف في بعض الأديان  
الأخرى من اعتبار الإيمان شيئاً خارج دائرة العقل والفكر،  
وأنه يؤخذ بالتسليم المطلق في الأصول والفروع، حتى  
وإن عارضه البرهان الصريح ولم يرتضه العقل الصحيح.  
والمتمفحص لعقائد الإسلام وأصوله - بل وفروعه -  
لن تخطئ عينه رؤية الهدى والنور الذي أودعه الله في  
جنبات مسائل الإيمان التي دعانا للإيمان بها؛ على نحو لا  
نجده عند دين من أديان العالمين، فالإسلام - مثلاً - يقدم  
الصورة الوحيدة التي تعظم الله عز وجل بما يليق بجلاله  
وعظمته، ويؤسس لعلاقة صحيحة بين العبد وربّه.

وبداية، فإن الإقرار بوجود الله والتسليم بذلك أمر  
مركوز في أعماق الإنسان وفطرته، ودليله إقرار الأمم  
البشرية كافة بوجود هذا الرب الذي لا يجحد وجوده إلا

(١) أخرجه أحمد ح (١٥٧٥٩).

شُدَّاذ الأفكار ، والشاذ لا حكم له، بل حتى المدارس الإلحادية الحديثة باتت تؤمن بوجود الله، لكنها تعطل عنه صفات الربوبية، فهو عندهم إله قديم خلق الخلق وتخلي عنه.

وفي القديم لما قيل لأعرابي: بِمَ عَرَفْتَ رَبِّكَ؟ أَجَابَ بِعَفْوِيَةِ ذَكِيَّةٍ: البعرة تدل على البعير، والروث يدل على الحمير، وآثار الأقدام تدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على العليم القدير. قد يستدل بظاهر عن باطن

حيث الدخان يكون موقد نار<sup>(١)</sup>

وإذا كان وجود الله موضوعاً يشترك فيه أهل الأديان، فبأية مزية يتفرد الإسلام؟

الإسلام هو الدين الوحيد الذي نَزَّهَ اللهُ عَنْ الشَّرِيكِ وَالْمِثْلِ وَالنَّظِيرِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، وهو الله الواحد الأحد الصمد ﴿لَمْ يَكُنْ لَكُمْ يُولَدٌ ﴿٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ (الإخلاص: ٣-٤)، وأما معتقد الآخرين فيه فلم يخل من صورة من صور الشرك، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (يوسف: ١٠٦)، فمنهم من عبد معه الحجر والشجر، ومنهم من عبد معه البشر أو الملائكة أو الجن،

(١) نفخ الطَّيِّب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني (٢٩٠/٥).

لكن هؤلاء جميعاً لا يملكون من الله برهاناً على صحة عباداتهم التي اصطنعوها من بنات أهوائهم ووحى شياطينهم ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (الحج: ٧١)، فالله عز وجل لم يوح بشيء من مثل هذا الهراء، وقد أرسل جميع رسله بتوحيد الله تعالى والبراءة من عبادة غيره، كائناً ما كان هذا الغير ﴿وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ (الزخرف: ٤٥).

لقد رفض الإسلام - دون سائر الأديان - كل مظاهر الشرك ، وحارب جميع صورها، حتى تلك التي تدرت في ظاهرها بلبوس التوحيد، كزعم الزاعمين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (الزمر: ٣)، فالله - بحسب هؤلاء - هو المستحق للعبادة، لكنهم يعبدون معه الوساطة التي تقربهم إليه: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَهَرُ مِنْ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يَضِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ هُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابٌ الْأٰخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ (الرعد: ٣٣-٣٤).

لقد رفض الإسلام بعض صور الشرك البسيطة حماية لجناب التوحيد الذي وصفه النبي ﷺ بأنه «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»<sup>(١)</sup>، فحتى مع اطمئنان

(١) أخرجه البخاري ح (٦٢٦٧)، ومسلم ح (٣٠).

قلب المسلم بتوحيد الله؛ فإن الإسلام لا يقبل العبارات الموهمة التي تؤثر في جناب التوحيد، فقد قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت! فقال ﷺ: «أجعلتني والله عدلاً، بل ما شاء الله وحده»<sup>(١)</sup>، فكره ﷺ أن تُذكر مشيئته - وهو العبد الضعيف - إلى جنب مشيئة الله الذي لا تحد مشيئته تبارك وتعالى.

وحراسةً لجناب التوحيد نهى النبي ﷺ عن الصلاة في المقابر؛ حتى لا يظن ظان أن الصلاة فيها عبادة لأصحابها، وزاد في النهي عن الصلاة عند قبره الشريف، فكان - وسكرات الموت تعالجه - يكشف الغطاء عن وجهه، ويقول: «لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، قال الراوي: يحذر ما صنعوا.

تقول عائشة رضي الله عنها: «لولا ذلك لأبرز قبره، خشي أن يتخذ مسجداً»<sup>(٢)</sup>.

وقد تأملت الأديان كلها فلم أجد فيها مثل هذا التوحيد لله تعالى، فالكل يعظم من شأن نبيه أو عالمه، حتى يرفعه من مقام العبودية، فيلج به إلى مقام الألوهية أو الربوبية، وهما من خصائص الله الواحد: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

(١) أخرجه أحمد ح (١٨٤٢).

(٢) أخرجه البخاري ح (٤٤٤١)، ومسلم ح (٥٣١).

قَبْلَ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا  
أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْكَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ  
مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ (التوبة: ٣٠-٣١)، وإذا كان  
هذا حال الأديان التي تسمي نفسها توحيدية كاليهودية  
والنصرانية، فكيف يكون الحال إذاً عند من يؤمن صراحة  
بتعدد الآلهة، وبأن للحب إلهاً ، وللرياح إلهاً، وللبحار  
إلهاً، وهكذا سلسلة من الآلهة التي لا يُحصي عددها إلا  
الله تبارك وتعالى.

وقد تميز الإسلام عن الأديان الأخرى أيضاً في تنزيهه  
لله تبارك وتعالى عن كل ما يشين من الأسماء والصفات  
والأفعال، ذلك أنه دين الله ووحيه، والمؤمنون به لا  
يسمون الله إلا بما سمى به نفسه من أسماء حسنى، ولا  
يصفونه إلا بما وصف به نفسه من صفات الكمال  
والجلال، وقد نعت لنا الرب نفسه فقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا  
إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ  
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ  
الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ  
اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ (الحشر: ٢٢-٢٤).

وليس من الحسن في شيء ما نقرأه في كتب غير  
المسلمين من نسبة الندم والنسيان والتعب والفقر وغيرها

من صفات الضعف إلى الله عز وجل، وقد نعى القرآن عليهم مثل هذا: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُونِ عَذَابِ الْحَرِيقِ﴾ (آل عمران: ١٨١)، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (التوبة: ٦٤).

ولقد نجد في كتب الآخرين ما نستبشع نسبته إلى الله تعالى، كما في قول التوراة التي يؤمن بها اليهود والنصارى أن الله أراد معاقبة المصريين، ولما كان الإسرائيليون يسكنون معهم، فقد أمرهم بتلطيح عتبات بيوتهم بالدم ليميزها عن بيوت المصريين: «ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها، فأرى الدم، وأعبر عنكم، فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر» (الخروج ١٢ / ١١ - ١٣).

وكذلك نجد فيها أن الرب خاف من عزم أهل بابل على صنع برج «رأسه بالسما» فيذكر سفر التكوين أن الله قال: «هوذا شعب واحد، ولسان واحد لجميعهم، وهذا ابتداءؤهم بالعمل، والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه. هلم نزل ونبلبل هناك لسانهم، حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض» (التكوين ١١ / ٥ - ٧)، فتوقف بناء البرج بسبب عدم فهم الناس على لغات بعضهم البعض. وهكذا - أخي القارئ الكريم - تميز الإسلام بتعظيمه

لله تعالى، ووصفه بما هو أهل له، وهو ما دعاني لأن أكون مسلماً، فله الحمد كثيراً كما أنعم كثيراً.

وثمة مسألة مهمة أخرى لم أجدتها في دين من الأديان سوى الإسلام، وهي تعظيم أنبياء الله، فالعقل السليم يدرك أن الرسول على قدر المرسل، وأن الله حين يصطفي بعض البشر لحمل رسالته؛ فإنما يختار الخُص منكم، الأتقياء، الأنقياء، الكُمَّل ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَكِيمٌ بَصِيرٌ﴾ (الحج: ٧٥).

لكن الأديان جميعاً تزدي منصب النبوة، فتنقسم الأديان الوضعية والأمم الكافرة جميعاً إنكار النبوة وتكذيب الأنبياء؛ بل وقتلهم وإيذاءهم: ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ (٢٣) ﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثَّا وَجِدًا نَبَّعَهُ؛ إِنَّا إِذْ لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٢٤) ﴿أَلَيْسَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾ (٢٥) (القمر: ٢٣-٢٥).

وقد تمسك الجاحدون في كفرهم بحجة أن الأنبياء بشر كسائر الناس، وأن رسل الله ينبغي أن يكونوا من جنس الملائكة ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ (١٤) ﴿قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمَشُّونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًَا رَسُولًا﴾ (١٥) (الإسراء: ٩٤-٩٥).

وأما النصرانية واليهودية فقد آمن أتباعهما بمبدأ النبوة، واعترفوا بنبوة كثير من الأنبياء، لكنهم نسبوا إليهم من القبائح والرذائل ما لا يصنعه دهماء الناس؛ فضلاً عن

أشرفهم وعيونهم ، فضلاً عن رسل الله وحملة رسالته، بل وأقول: نسبت كتب اليهود والنصارى في بعض الأحيان إلى أنبياء الله ما ينتزه عنه أراذل الناس وسفهاؤهم، إلا فهل يقترب السفهاء اليوم نكاح المحارم الذي تنسبه توراة اليهود والنصارى إلى نبي الفضيلة والطهر لوط عليه السلام؟

ولئن حار السامع في سر الوحشية التي تسري في جوانح هتلر النازي وهو يأمر بحرق أعدائه في الأفران، فإنه لن يفهم كيف يصح أن ينسب مثل هذا الفعل الشنيع مشفوعاً بالتقطيع بالمناشير إلى نبي كريم بعثه الله بالخير والرحمة، فالتوراة تنسبه إلى داود عليه السلام، وحاشاه، يقول سفر صموئيل الثاني: إن داود عليه السلام غزا بني إسرائيل بعض مدن فلسطين، ثم: «أخرج الشعب الذي فيها ، ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد، وأمّرهم في أتون الآجر [أحرقهم في أفران اللبّن]، وهكذا صنع بجميع مدن عمون، ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم» (صموئيل (٢) ٣١/١٢)، فهل يفعل هذا إلا قلب مُلئ إجراماً ووحشية؟ حاشا لرسول الله أن يكونوا كذلك.

إن داود عليه السلام هو النبي الذي مدحه الله بقوله:

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَا بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ

وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ ﴿٦٠﴾ (ص: ١٧-٢٠).

ومن قبل أثنى القرآن على جميع أنبياء الله ووصفهم بما يليق برسول الله والمبلغين عنه من فعل الحسن والجميل: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَىٰ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَطُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْنِبَتِهِمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هُنَّآءَ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَتْهُمْ أَقْتَدَةُ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (الأنعام: ٨٤-٩٠).

وأيضاً، آمنت بالإسلام ديناً ، لأنه الدين الذي يتواءم في أصوله وفروعه مع فطرة الله التي فطر الإنسان عليها: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّيْلَ لِحَافِظِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِن مَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (الروم: ٣٠).

وصور توائمه مع الفطرة لا تكاد تُحصى لكثرتها وتنوعها، منها أنه الدين الذي يجمع لأتباعه بين الدنيا

والآخرة، ولا يخيرهم بينهما ، فقد ضمن الرب تعالى للمؤمنين سعادة الدنيا والآخرة؛ رغم ما قد يخترمها من نقص في المال أو الولد أو الصحة أو غيره من متاع الدنيا الذي يصرفه الله عن المؤمن ابتلاء واختباراً ﴿ مَنْ عَمَلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٧).

وأما الأديان الأخرى فخيرت أتباعها بين الدنيا والآخرة، وكأنهما عدوان لا يجتمعان ، فالعهد الجديد - الذي يؤمن به النصارى - يزعم أن المسيح قال لأحد أتباعه: « الحق أقول لكم : إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من دخول غني إلى ملكوت الله» (متى ١٩/٢٤ - ٢٥)، فبحسب هذا النص النصراني، لن يصل الناس إلى الملكوت - أي الجنة - إلا بالتخلص من أموالهم، والتحول من حال الغنى إلى الفقر والعوز.

وفي نص آخر يضيف الإنجيل سبباً آخر لدخول الملكوت: «يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات، من استطاع أن يقبل فليقبل» (متى ١٩/١٢)، فكيف يستقيم الإيمان بدين يحارب النوازع الإنسانية التي جبلنا الله عليها، ويجعل ذلك طريقاً وحيداً لدخول الجنة؟ أين هذا من شمول الإسلام للدنيا والآخرة معاً، كما في قول الله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ

أَلْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿ (القصص: ٧٧)،  
 فالآية تجمع للمسلمين خيري الدنيا والآخرة، وقد علمنا  
 ربنا أن نسأله هذين الخيرين جميعاً: ﴿ رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا  
 حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ  
 نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿ (البقرة: ٢٠١-٢٠٢).

وكما وعد الله المؤمنين حسنة الدنيا، فقد وعدهم  
 حسنة الآخرة، وهي أعظم وأكرم: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ  
 بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا  
 يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ٤١)، وقد آتاها من قبل أبانا إبراهيم عليه  
 السلام: ﴿ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾  
 (النحل: ١٢٢)، فالمسلم يستطيع الجمع بين حسنة الدنيا  
 والآخرة، بل كما قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «إن لله في  
 الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة»<sup>(١)</sup>.

ومن موائمة الإسلام للفطرة؛ موازنته بين حاجات  
 الروح والجسد، فقد خلق الله الإنسان مُرَكَّباً من كليهما،  
 ولا سعادة للإنسان بشقاء واحد منهما - خلافاً لما زعمته  
 الأديان الشرقية، وتابعتها فيه النصرانية - حيث جرى  
 التفريط بحق الجسد بزعم أن الروح لا تتسامى ولا تترقى  
 إلا بتعذيب الجسد وحرمانه من ملاذحه وحاجاته، ومن ذلك  
 أنهم زعموا أن «اهتمام الجسد هو عداوة لله» (رومية ٧/٨)،

(١) مدارج السالكين، ابن القيم (١/٤٥٤).

وعليه فالأكل والشرب والنوم والزواج ... وغيرها من حاجات الإنسان الفطرية، إنما يمارسها الإنسان وهو خارج عن الدين، وقد أغضب الله تعالى وعاداه! فهل يعقل هذا؟. وفي العهد الجديد نصوص تركز هذا الشقاق المصطنع بين الروح والجسد، ومنه قول بولس: «الجسد يشتهي ضد الروح، والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون» (غلاطية ١٧/٥)، وهذا الصراع الموهوم بين الروح والجسد يشوّه الحياة الإنسانية التي لا تسعد إلا بالتكامل بين رغبات الروح وحاجات الجسد.

وفي مقابل هذا الإجحاف بحق الروح؛ نجد الإسلام يوازن بين متطلبات الروح والجسد، فلا يسمح لواحد منها أن يطغى على الآخر، ولذلك قال ﷺ موجهاً عثمان بن مظعون لما رغب في تعذيب جسده، بهجر النوم والنساء والدوام على الصيام: «يا عثمان، أرغبتَ عن سنتي؟.. فإنني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، فضم وأفطر، وصل ونم»<sup>(١)</sup>.

ولما جاء ثلاثة من الصحابة إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، قال أحدهم: أما أنا فإنني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثالث:

(١) أخرجه أبو داود ح (١٣٦٩).

أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم وقال: «أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(١)</sup>، فالإسلام لا يقبل هذه القسمة البغيضة بين الروح والجسد أو بين الدنيا والآخرة.

ومن موائمة الإسلام للفترة، أنه جاء بشريعة عظيمة تصلح معها الحياة وتستقيم .. شريعة تحفظ الضروريات الخمس التي تدور حولها مصالح الناس الدنيوية والأخروية، وهي: الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وكما قال ابن القيم: «فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله .. وهي العصمة للناس، وقوام العالم، وبها يمسك الله السماوات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطي العالم، رفع إليه ما بقي من رسومها، فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب الفلاح،

---

(١) أخرجه البخاري ح (٥٠٦٣).

والسعادة في الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup>.

وتظهر روعة هذه الشريعة وصلاحتها لكل زمان ومكان، بما أمر الله فيها من إباحة الطيبات النافعات وتحريم الخبائث المضرات، فالنبي ﷺ بُعث بما وصفه به ربه: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفِصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٢).

وقد حرم الله تعالى سيئ الأخلاق والفعال؛ كالشرك والظلم والبغي والبخل والفجور والفواحش والعقوق والقتل بغير حق: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ تَحْنُ نَزْفُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥١-١٥٢).

وفي آية أخرى يقول الله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية (٣/٣).

مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا  
وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿ (الأعراف: ٣٣).

وفي مقابل هذه المحرمات من الفواحش والخبائث؛  
فإن الله أحل لنا كل الطيبات التي خلقها الله لنا، وخلقنا  
لها، ودعانا إلى مكارم الأخلاق والخلال، كالصدق  
والعدل والأمانة والحياء والعفاف: ﴿ وَزَكَّأْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ  
تَيِّبِنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ  
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ  
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿ (النحل:  
٨٩-٩٠).

كما تمتاز شريعة الإسلام الإلهية بجمعها بين المثالية  
والواقعية، فلم تجنح في شرائعها إلى العالم المثالي الذي  
لا يتحقق إلا في عقول الحالمين، كجمهورية أفلاطون  
الفاضلة التي لم تجاوز عقله وقلمه.

وشريعة الإسلام حين رفضت المثال الجامح في  
الأوهام، لم تتصالح أو تعترف بالواقع البائس الجاثم على  
المجتمع، بل عملت على تصحيح هذا الواقع بصورة  
مثالية واقعية، ولو شئنا أن نمثل لذلك فإننا نقارن بين ما  
ذكر في الإنجيل والقرآن من شرعة التعامل مع الظالم  
والباطل، إذ يحدثنا إنجيل لوقا على لسان المسيح، فيقول:  
«من ضربك على خدك الأيمن فاعرض له الآخر، ومن  
أخذ رداك فلا تمنعه ثوبك ... ومن أخذ الذي لك فلا

تطالبه به» (لوقا ٦/٢٨ - ٢٩)، فالنص الإنجيلي يحكي مثالية تغري المعتدي بمزيد من العدوان، ولو قدّر لكل خيّر أن يعرض وجهه للضاربين، وأثاث بيته ولباسه للسارقين لفسدت الأرض وغدت مرتعاً للعابثين والظالمين، وصدق من قال: «من أمن العقوبة أساء الأدب».

لكن في مقابل هذا، لم تجعل شريعة الإسلام الانتقام السبيل الوحيد لرد الظلم وإحقاق العدل، بل شرعت من العقوبة والقصاص ما يردع الجاني ويمنعه من التمادي، ورغبت أيضاً في العفو والمسامحة والصفح، قال تعالى:

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۗ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٤٠ ﴾

وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾

وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾

(الشورى: ٤٠-٤٣).

وما سطرته؛ فإنما هو طرف مما جعلني أوقن بأحقية الإسلام على سائر الأديان التي لا يقبلها الله ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٥)، وأنه دين الله الذي ارتضاه: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة: ٣).

لأجل هذا وغيره أسلمتُ لله رب العالمين، فله الحمد على ترادف نِعْمه وتتابع مَنِّه.

## خاتمة وأبرز النتائج

• الإسلام دين الله، وخاتمة رسالاته، الذي ارتضاه الله للبشرية ديناً، وبه تمت النعمة، وكملت الشريعة، وضمن الله للمؤمنين به سعادة الدنيا والفلاح في الآخرة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

الإسلام وحده هو الذي يجيب عن أسئلة الإنسان ويزيح حيرته في فهم الحقائق الكبرى للكون، وهو الذي يوائم في معتقداته وشرائعه بين توأم العقل الصحيح والروح السامية، فيقدم برهانه ودليله بما تقوم به حجة الله على جميع خلقه؛ رغم تباين ثقافتهم وطرائق تفكيرهم، يقول البروفسور إدوارد مونتيه: «الإسلام في جوهره دين عقلي، بأوسع معاني هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية. فإن تعريف الأسلوب العقلي **Rotionalism** بأنه طريقة تقييم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق، ينطبق عليها تمام الانطباق.. ومن العسير أن نجد في غير الإسلام ما يفوق تلك المزايا»<sup>(١)</sup>.

• الإسلام فقط هو من يجمع لأتباعه بين خيري الدنيا والآخرة، وهو فقط من يوازن بين حاجات الروح

(١) الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ص (٤٥٥)، نقلاً عن " La

. "propaganda chrétienne et ses adversaries musulmans

ومتطلبات الجسد، وهو فقط من يجيب عن الأسئلة الفطرية التي تختلج بين جوانحنا.

• الأديان لا تدخل إلى القلوب بقوة السيف والحديد، وتاريخنا الإسلامي الناصع لم يسجل في واحد من أسفاره إجبار أحد على الدخول في الإسلام، وما من عاقل يقبل دعوى انتشار الإسلام بحد السيف التي يكذبها التاريخ في القديم والحديث، وبخاصة في عصرنا الذي يشهد تسابق الناس إلى الإسلام رغم ضعف المسلمين وعجزهم عن حماية المسلمين الجدد؛ فضلاً عن إجبارهم على الدخول في الإسلام.

• الإحصاءات العالمية في مختلف بلدان العالم تؤكد أن الإسلام أسرع الأديان انتشاراً في العالم، والناس يدخلون إليه أفواجا، رغم التخلف التقني المريع للمسلمين في كثير من بقاع العالم، والمسلمون مدعوون اليوم إلى الأخذ بزمام التقنية الحديثة، وتسخيرها في بلاغ الدين إلى العالم الكبير الذي يغلب على سكانه «الأمية الدينية» لعدم سماعهم بالإسلام جملة وتفصيلاً.

• انتشار الإسلام وسؤدده في الأرض قدر الله الغالب، لا يتأثر بضعف المسلمين ولا تقصيرهم في الدعوة إلى دينهم، كما لا يقدر كيد الكافرين ومكرهم الليل والنهار على إيقاف أمواجه ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَآنَ يُمْرُّ نُورُهُ. وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وَلَوْ

## كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿ (التوبة: ٣٢-٣٣).

• ما يتعرض له الإسلام اليوم من استهداف لنبيه وكتابه وأصوله وفروعه عبر الهستيريا التي تجتاح الإعلام الموجه الذي يكرس «الإسلاموفوبيا» هو محاولات في الوقت الضائع لإقامة السدود بين الإسلام والظالمين إليه، والشمس لا تحجب بالغربال، والواجب على المسلمين تصحيح الصورة النمطية عن دينهم والذّب عنه، والبعد عن المواقف الطائشة والتصرفات المتشنجة التي تجعلنا ممن قال فيهم ﷺ: «يا أيها الناس، إن منكم منفرين»<sup>(١)</sup>، وهؤلاء يأمرهم النبي ﷺ: بإراحة الآخرين من إفسادهم: «تكف شرك عن الناس؛ فإنها صدقة منك على نفسك»<sup>(٢)</sup>.

• المسلم الجديد غالباً ما يتعرض للاضطهاد من أهله ومجتمعه، والواجب على الهيئات الإسلامية رعايته مالياً واجتماعياً وصون حقوقه، والمحافظة عليه «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره»<sup>(٣)</sup>.

• الهجمة السافرة التي يتعرض لها الإسلام محنة، لكنها لا تخلو من منحة، فقد تساءل الكثيرون عن سر هذه الهجمة، فقادهم التساؤل إلى رحاب الإسلام العظيم.

• المسلمون الجدد يفدون إلى الإسلام من كل صقع،

(١) أخرجه البخاري ح (٧٠٢)، ومسلم ح (٤٦٦).

(٢) أخرجه مسلم ح (٨٤).

(٣) أخرجه مسلم ح (٢٥٦٤).

يجمعهم جميعاً جدهم في البحث عن الحقيقة، وتشوفهم إليها، ورحمة الله الذي هداهم إلى الحق الذي اختلف عليه الناس ، ثم أعانهم على اتخاذ قرارهم الشجاع باعتناق الإسلام ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ﴾ (٧٣) يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ (آل عمران).

- المسلمون الجدد لم يكونوا في يوم ما ضيوفاً على المجتمع المسلم، بل كانوا أرباب البيت وحراسه، فقد جردوا معارفهم وخبراتهم القديمة للدعوة إلى الإسلام بحماسة من عرف الجاهلية ثم ذاق حلاوة الإسلام، فأبلوا بلاء حسناً، وكان منهم الدعاة المبرزون الذين اهتدى الألوفاً على أيديهم.

- الدعوة إلى الإسلام هي واجب الجميع، كل بقدر طاقته، وقد كانت حماسة عوام المسلمين لدينهم سبباً رئيساً في انتشار الإسلام، كما نقل توماس أرنولد: « سارت الدعوة الإسلامية قُدماً في حماسة بالغة، فقد كان كل مسلم ساذج أمة داعية إلى دينه، وعجزت القبائل الفقيرة الجاهلة الأمية من الوثنيين أو أشباه الوثنيين عن أن تقاوم هؤلاء الدعاة... يتحولون إلى الإسلام ، ثم يعودون إلى قراهم حُمساً يجلبون معهم أفكاراً إسلامية يكون لها

أثرها في بيوتهم»<sup>(١)</sup>.  
والله نسأل أن يستعملنا في الدعوة إلى دينه، وأن يرزقنا  
القبول والأجر وخالص العمل، وصلى الله على نبينا  
محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

\* \* \*

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ص (٢٨١).

## أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- كتب السنة النبوية
- الكتاب المقدس (نسخة الفانديك)
- أحمد فارس الشدياق، محمد الهادي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٩م.
- الإسلام كبديل، الدكتور مراد هوفمان، مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين أحمد المقرئ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- إني آمنت بربكم فاسمعون، إميلي براملت، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- أوروبا والإسلام، د. عبدالحليم محمود، ط٤، دار المعارف.
- تاريخ عمر، ابن الجوزي، تحقيق: علي محمد عمر، دار البيان العربي.
- تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

- الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، كتاب إلكتروني.
- حضارة العرب ، غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- حوار مع الأستاذ رجاء جارودي، عدنان سعد الدين، ط ١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- حوار مع صديقي الملحد، د. مصطفى محمود، نسخة إلكترونية.
- الدعوة إلى الإسلام، السير توماس أرنولد، تعريب: الدكتور حسن إبراهيم حسن والدكتور إسماعيل النحراوي والدكتور عبد المجيد عابدين، ط ٣، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧١م.
- رحلتي من الشك إلى الإيمان، د. مصطفى محمود، ط ٥، دار المعارف.
- رحلتي من الكنيسة إلى المسجد. لماذا؟، ماري ويلدز [بدون معلومات نشر].
- الساق على الساق في ما هو الفاريق، أحمد فارس الشدياق، طبعة باريس ١٨٥٥م/١٢٧٠هـ.
- السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام المعافري ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، ١٤١١هـ.

- شمس العرب تسطع على الغرب ، زيغرد هونكه، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، ط ١٠، دار صادر، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- الصراع من أجل الإيمان، الدكتور جفري لانغ، تعريب: منذر العبسي، ط ٦، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٩م.
- الطريق إلى مكة (الإسلام) ، محمد أسد، تعريب: محمد البعلبكي، ط ٩ دار العلم للملايين، ١٩٩٧م.
- الطريق إلى مكة، الدكتور مراد هوفمان، ط ١، دار الشروق، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- الغفران بين المسيحية والإسلام، إبراهيم خليل أحمد، ط ١، دار المنار، القاهرة، ١٤٠٩هـ.
- فتوح البلدان ، البلاذري ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة.
- فتوح مصر، لابن عبد الحكم، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرون، الناشر: دار الجيل، بيروت، لبنان، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.
- الكامل في التاريخ، أبو الحسن الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي ، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

- كنت نصرانياً وأسلمت. إعداد: محي الدين عبد الحميد، ط ٢، ١٣١٣هـ/١٩٩٣م.
- كنت نصرانياً، عبد الله سعد (واصف الراعي)، بدون معلومات نشر.
- الكويت، وقصة إسلامي، كارمن سركيسيان، ط ١، دار الصفوة، بيروت، ١٤١٣/١٩٩٣م.
- لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، رجاء جارودي، إعداد: محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن، القاهرة.
- لماذا قبلت الإسلام؟ (قصص للمسلمين الجدد)، د. خالد حامدي فلاح، ط ٤، إدارة شهادة حق، دلهي، ٢٠٠٩م. الكتاب باللغة الهندية.
- الله واحد أم ثلوث؟ د. محمد مجدي مرجان، ط ٢، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- لهذا أسلمت (رحلة البحث عن معنى)، نوح كلر، ط ١، دار السلام للطباعة والنشر، عمان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- مالكوم إكس (سيرة ذاتية)، إليكس هاليبي، ترجمة: ليلي أبو زيد، ط ١، دار بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، ١٩٩٦م.
- محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، د. إبراهيم خليل أحمد، ط دار المنار، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- محمد رسول الله ﷺ، ناصر الدين دينيه وسليمان بن إبراهيم باعامر، ترجمة: د. عبدالحليم محمود، وابنه محمد، مكتبة نهضة مصر.
- المسيح إنسان أم إله؟ د. محمد مجدي مرجان، ط ٢، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- مباحكات التأويل في مناقضة الإنجيل، أحمد فارس الشدياق، تحقيق: د. محمد أحمد عمارة، ط ١، دار وائل، عمان، ٢٠٠٣م.
- المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة، محمد زكي الدين النجار، دراسة وتعليق: محمد بن عبدالله السحيم، بدون معلومات نشر.
- المناظرة بين الإسلامية والنصرانية، ط ٢، طبع بإشراف الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد، مكتبة دار خزيمة، الرياض، ١٤١٢هـ.
- موسوعة الدفاع عن رسول الله ﷺ، جمع وإعداد علي بن نايف الشحود، كتاب إلكتروني.
- هل تعرف لماذا غيرت دين آبائي؟ مقابلة مع حذيفة عبد الرحيم الأمريكي، ط ١، مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- هؤلاء المثقفون اختاروا الإسلام، محمد عثمان، دار الرشيد، ٢٠٠٤م.
- وعود الإسلام، د. روجيه جارودي، ترجمة: ذوقان قرقوط، ط ٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٥م.

- يوميات ألماني مسلم، الدكتور مراد هوفمان، ط ١، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

## المواقع الإلكترونية:

- [www.leveltruth.com](http://www.leveltruth.com)
- [www.kristianebacker.com](http://www.kristianebacker.com)
- [www.islamstory.com](http://www.islamstory.com)
- [www.yushaevans.com](http://www.yushaevans.com)



## فهرس الموضوعات

ص	الموضوع
٣	مقدمة .....
١٢	لماذا أسلم السابقون إلى الإسلام؟ .....
٢١	لهذا أسلم أهل الشام ومصر وسمرقند وسائر البلدان .....
٣٣	(أحمد) فارس الشدياق .....
٤٣	البرفسور (عبد الأحد داود) بنجامين ديفيد .....
٥١	الدكتور عبده عبد الملك إبراهيم .....
٥٨	المستشرق (ناصر الدين) ألفونس إيتين دينيه .....
٦٨	(محمد أسد) ليوبولد فايس .....
٧٧	المستشرق (عبدالكريم) جولا جرمانوس .....
٨٦	(محمد) زكي الدين النجار .....
٩٤	الدكتور القس إبراهيم خليل فيلبس (أحمد) .....
١٠٢	الدكتور (محمد ضياء الرحمن الأعظمي) بانكي رام .....
١١١	(مريم جميلة) مارجریت ماركس .....
١١٩	الدكتور المستشار (محمد) مجدي مرجان .....
١٢٧	(الحاج مالك شباز) مالكوم إكس .....
١٣٦	إميلي براملت .....
١٤٤	واصف الراعي .....
١٥٣	(أحمد سامي عبدالله) تناغو سامي قصد الله .....

ص	الموضوع
١٦١	الدكتور مصطفى محمود .....
١٧٠	الشماس ( محمد ) فؤاد الهاشمي .....
١٧٨	نوح حاميم كلر .....
١٨٦	الدكتور ( عبدالواحد عمر ) جاري ملر .....
١٩٤	كارمن سركيسيان .....
٢٠١	( حذيفة عبد الرحيم ) واين بنيت .....
٢٠٩	الدكتور ( مراد ) فليفردهوفمان .....
٢١٧	القس إسحاق هلال مسيحة .....
٢٢٥	( شكران واحدة ) ماري ويلدز .....
٢٣٣	البرفسور ( رجاء ) روجيه جارودي .....
٢٤١	( عمر ) شيام غوتم .....
٢٤٩	البرفسور جيفري لانغ .....
٢٥٨	القس ( يوسف ) جوزيف إستس .....
٢٦٦	الشماس فوزي السيسي (المهدي) .....
٢٧٤	الشماس عماد جت ( المهدي ) .....
٢٨٢	المذيعة كريستيان بيكر .....
٢٩١	يوشع إفانس .....
٣٠٠	الدكتور لورنس براون .....
٣٠٩	مهند أزواو .....
٣١٨	لماذا أنا مسلم؟ .....

ص	الموضوع
٣٤٢	خاتمة وأبرز النتائج .....
٣٤٧	أهم المصادر والمراجع .....
٣٥٣	فهرس الموضوعات .....

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

AB